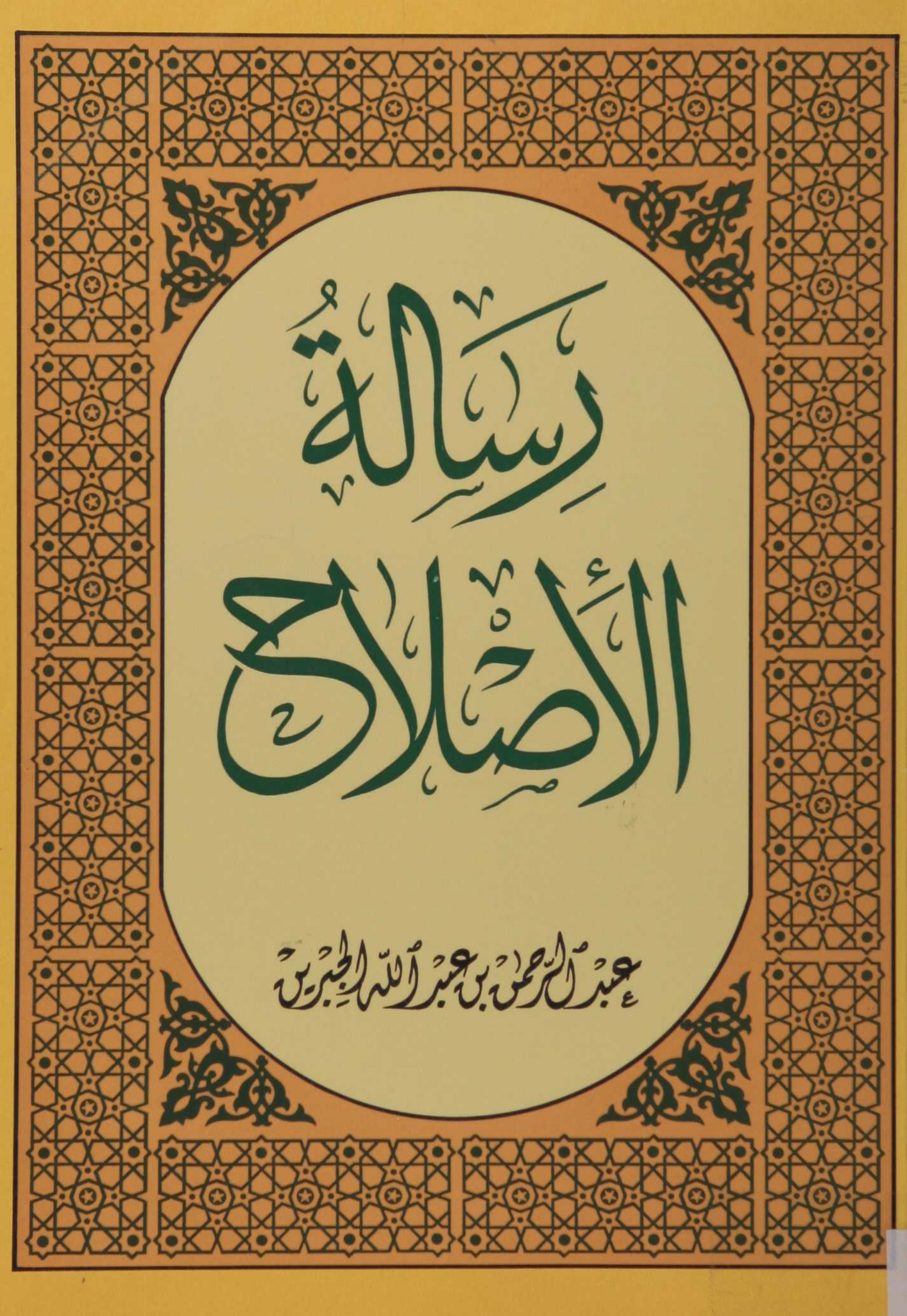

رسالة الإصلاح
عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين


رسالة
الإصلاح

الطبعة الأولى في بيروت
محرم ١٤١٣ هـ

رسالة الإصلاح

عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ
لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ
وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم
مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ
ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾
لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ
جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾
وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ
سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ
﴿٤٩﴾ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ
مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ
وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ
ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ

قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾



المقدمــة

إن الحمـد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا الله حقَّ تقاته ولا تموتنَّ إلاّ وأنتم مسلمونَ﴾. [سورة آل عمران، الآية: ١٠٢].

﴿يا أيُّها النَّاس اتَّقوا ربَّكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وخلق منها زوجها وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتَّقوا الله الذي تساءَلونَ بهِ والأرحام إنَّ الله كان عليكم رقيبًا﴾. [سورة النساء، الآية: ١].

﴿يـا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا الله وقولوا قولاً سديدًا يُصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يُطِعِ الله ورسوله فقد فازَ فوزًا عظيمًا﴾. [سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١].

أمـــا بعـــد:

فإنَّ الله قد بعث رسله بالهدى ودين الحق، وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقـوم النـاس بالقسط، وأمر عباده بالعدل والقسط حتى ولو كان ذلك مخالفًا لرغباتهم وشهواتهم. فقال تعالى: ﴿يا أيُّها الذينَ آمنوا كونوا قوَّامين لله شهداءَ بالقسط ولا يجرمنَّكم شنآن قومٍ على ألاّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتَّقوى واتَّقوا الله إنَّ الله خبيرٌ بما تعملون﴾. [سورة المائدة، الآية: ١٠٨].

وبسبب الشهوات ورغبات النفس فإنَّ كثيراً من الناس يرتكبون الظلم في حقِّ الآخرين، فيحوِّلون الحقَّ إلى باطل، والرُّشد إلى ضلال، فيسيئون إلى عباد الله من حيث يشعرون أو لا يشعرون.

والعاصم من ذلك أمران:

أولهما: البراءة من حظوظ النَّفس وشهواتها، والصدع بكلمة الحقِّ ولو كانت على حساب مصالح النفس ورغباتها.

الثاني: أن يكون الحكم على الناس على ضوء الموازين والمعايير التي جاء بها الشَّرع كما قال تعالى: ﴿**وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم النَّاس بالقسط**﴾. [سورة الحديد، الآية: ٢٥].

وانطلاقًا من هذا المنهج أضع بين يدي القارىء هذه **المناقشات الهادئة** لرسائل معالي الدكتور «**غازي بن عبدالرحمن القصيبي**» التي طبعها في مجموعة بعنوان: «**حتى لا تكون فتنة**» وضمنها **خمسًا من الرسائل هذه أسماؤها**:

١ ـ يا أخي ناصر العمر اتق الله. مجادلة بالتي هي أحسن.

٢ ـ نعم.. تتغير الفتوى.

٣ ـ يا أخي عايض القرني.. الله.. الله في دماء المسلمين.

٤ ـ يا أخي سلمان العودة.. اعذرنا.. لا مكان لولاية الفقيه عندنا.

٥ ـ يا علماء المسلمين.. بيّنوا ما يجوز فيه الخلاف بين المسلمين.

والذي يبدو من الرَّسائل ـ كما سأبيّن بعد بالتفصيل ـ أن سبب كتابتها هو سماع الدكتور ثلاثة أشرطة، لثلاثة من مشايخ المملكة:

أحدها: شريط بعنوان: «**السكينة.. السكينة**» لفضيلة الدكتور ناصر بن سليمان العمر.

والثاني: بعنوان: «**سهام في عين العاصفة**» لفضيلة الشيخ عايض بن عبدالله القرني.

والثالث: بعنوان: «**الشريط الإسلامي ما له وما عليه**» لفضيلة الشيخ سلمان بن فهد العودة.

وكنت قد كتبت هذه الورقات قبل عام تقريبًا، ولما رأيت بعض المشايخ رد على القصيبي هممت بالعدول عن نشر ماكتبته، وبخاصة لما بلغني أن سماحة الشيخ

عبدالعزيز بن باز رغب في الكف عن هذا الموضوع.

وظننت أن القضية قد انتهت بعد هذه المدة، وأن الدكتور رضي من الغنيمة بالإياب، لكنه وصلني هذه الأيام كتاب له بعنوان «**أزمة الخليج محاولة للفهم**»، عقد فيه فصلاً بعنوان «وجاء الورثة»، ركز فيه على النيل من الدعاة إلى الله في داخل هذا البلد وخارجه، مع لمزهم والتعرض لهم في فصول الكتاب الأخرى.

فاستعنت بالله على نشر هذه الرسالة، التي حرصت فيها على تحقيق أصل القضية، ودوافع الرجل ومنطلقاته، حيث بحثت حقيقة العلمانية وأساليب العلمانيين، ثم قدمت الرجل على أنه أنموذج من النماذج.

وقد قسمت هذه الرسالة إلى قسمين:

القسم الأول: بعنوان: «**الصراع مع العلمانية والعلمانيين**» عرضت فيه تفصيل الصراع بين الحقّ والباطل، وأردت أن يكون كشافًا يفضح العلمانيين الذين يجهلهم كثير من المسلمين.

والقسم الثاني: بعنوان: «**وقفات مع القصيبي ورسائله**» عرضت فيه الملحوظات والمؤاخذات على الرَّسائل المذكورة وكاتبها.

ولم أُرِدْ بهذه الرسالة التي أسميتها: «**رسالة الإصلاح**» إلاّ الإصلاح والنَّصيحة المحضة لولاة أمر هذا البلد وعلمائه ومفكريه وعقلائه، وإذا كانت اتَّسمت بشيء من الصراحة والوضوح وتعداد الأخطاء وبيان المخالفات وذكر بعض الأسماء، فإنَّ الدَّافع إلى ذلك هو نقد الذَّات ولا يكون هذا إلاّ بالصِّدق مع الذَّات ومصارحتها كما يصارح تمامًا الطبيب مريضه العاقل بمرضه ويعالجه أحيانًا بما يكرهه.

وقد تُحمَّل هذه الرسالة مالا تحتمل، وقد يُقال في صاحبها ما ليس فيه ممَّا قيل في قوم ٍ هم أفضل منه كالأنبياء وكبار الدّعاة عبر التاريخ، ولذا فإنّي أتمثَّل قول نبي الله فيما قاله الله عنه: ﴿**إن أريد إلاّ الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب**﴾. [سورة هود، الآية: ٨٨].

أسأل الله أن يُحسن نيتي وأن يُهلمني الرُّشد ويعينني على قولِ كلمة الحق، وأن يجزي الدّعاة إلى الله خير الجزاء ويثبّتهم على الحق، وأن يهدي ضالّ المسلمين ويكفينا شرّ أعدائنا الأقربين والأبعدين، ويجعل تدميرهم في تدبيرهم إنّه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

نـــداء

* إلى وُلاة أمرنا في هذا البلد الآمن الذين يدركون أن العلماء لا يريدون سوى أن نكون خير أمَّة أخرجت للناس.. ***ليعرفوا خطر من يفرق بينهم وبين العلماء.***

* إلى علماء هذا البلد الذين يتمثَّلون قول الله تعالى: **﴿وإن تصبروا وتتَّقوا لا يضرُّكم كيدهم شيئًا﴾**. [سورة آل عمران، الآية: ١٢٠]. ***حتى يستمروا في الطريق الذي عاهدوا الله عليه.***

* إلى شباب هذا البلد الحريص على دينه وبلده، ليأخذ بطرق العلم الصحيح وتراث الآباء، ***ويحذر أساليب الغزو وكيد الأعداء.***

* إلى عامّة المسلمين في بلادنا، الذين يتمسَّكون بولاة أمرهم وعلمائهم ***ليعلموا من يفصل بين الدعاة والولاة، فيجتنبوه ويفضحوه.***

* إلى الذين خُدِعوا بالعلمانية من شباب الإسلام رجاء أن تكشف هذه الورقات الزيف الذي غطَّى وجهها وأخفى حقيقتها.

* ***وأخيراً إلى العلمانيين ـ للعلم فقط ـ حتى يدركوا أن الله مخرج أضغانهم ومبدٍ سرائرهم.***

القسم الأول

الصراع مع العلمانية والعلمانيين

مدخـــل

يعلم القُّراء الكرام أن العلمانيين ـ بالمفهوم العام ـ يمثلون الباطل، وأن العلماء ومعهم المسلمـون جميعًا يمثلون الحقّ، ولا ريب أن الصّراع بين الحقّ والبـاطل هو سنَّة هذه الحياة منذ خلق آدم إلى قيام الساعة، فلا يُستغرب أن يحصل الصّراع بين العلماء والعلمانيين:

- **صراع في الفكر والثّقافة والأدب.**
- **صراع في التّوجيه والتّعليم والتّأثير في النّاس.**
- **صراع في الحصول على المناصب المؤثّرة لنشر الفكر من خلالها.**
- **صراع على الحكم وقيادة الأمَّة لتعزيز وجود هذه الأفكار في واقع النّاس.**

فهو صراع عنيف ومستمر يقوى ويضعُف بحسب قوة الجانبين وضعفهما.

وقد شاع في هذه الأيام اتهام الدّعاة والعلماء بالسَّعي للسلطة وتسميتهم بالأصوليين، ولذلك أرى أنّا بحاجة إلى وقفات تحليلية نتعرَّف فيها على أفكار كلٍّ من العلمانيين والدُّعاة ومواقفهما من الحكم والسُّلطة وقيادة الأمَّة.

وسيكون كلامنا ـ إن شاءالله ـ في هذا المبحث مرتَّبًا على ثلاث نقاط هي:

أولاً: العلمانية والعلمانيون.

ثانيًا: الأصولية والأصوليون.

ثالثًا: ماذا يريد العلماء والدّعاة من الحكم وما يريد العلمانيون.

وأعتـذر للقّـراء الكرام عن استخدام مصطلح **«الأصوليين»** هنا، وأعد بمناقشته في الموضع المناسب وبيان أنّه مصطلح دخيل على المسلمين.

فلنبدأ مستعينين بالله سبحانه وتعالى.

أولاً: العلمانية والعلمانيون (المنافقون)

ينقسم الناس تجاه الإسلام إلى ثلاثة أقسام:

مسلمون، كفار، منافقون

ومع خطورة الكفار على الإسلام والمسلمين إلّا أن المنافقين أشدّ خطرًا منهم، فقد ذكرهم الله في ثلاث عشرة آية من سورة البقرة في حين لم يذكر الكفار سوى فى آيتين فقط، وقد بلغت الآيات الواردة فيهم ـ أعني المنافقين ـ أكثر من ثلاثمائة وأربعين آية موزَّعة على عشرين سورة من سور القرآن الكريم.

وممّا يؤسف له أن كثيراً من النَّاس لا يشعر بهذا الصّنف. بل ربما لا يعده موجودًا، وقد أسف لهذا من قبل شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: «**فإنَّ كثيراً من المتأخِّرين ما بقي في المظهرين للإسلام عندهم إلا عدل أو فاسق، وأعرضوا عن حكم المنافقين**»[1].

ومع تنوّع المنافقين واختلاف درجاتهم إلّا أن الهدف العام للنِّفاق هو ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿**ودُّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سَواء**﴾. [سورة النساء، الآية: ٨٩].

وهو هدف يشاركهم فيه الكفَّار الصرحاء بمختلف أجناسهم، كما قال الله عن المشركين: ﴿**إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودّوا لو تكفرون**﴾. [سورة الممتحنة، الآية: ٢]. وكما قال عن أهل الكتاب: ﴿**ودَّ كثيرٌ من أهل الكتاب لو يردّونكم من بعد إيمانكم كفارًا**﴾. [سورة البقرة، الآية: ١٠٩].

وعبر تاريخ الإسلام لبس النفاق مختلف الأقنعة وتشكَّل بكثيرٍ من الأشكال، حتى جاء هذا العصر الذي ضعف فيه المسلمون بسبب البُعد

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٧/٢١٢.

والإبعاد عن الدّين الصحيح الصافي، ومع هذا فلم يكشف النِّفاق عن وجهه الحقيقي وأهـدافـه الصَّريحة، بل ظلَّ يقبع خلف عدد غير قليل من الأقنعة، **كالقوميّة، والوطنيّة، والبعثيّة، والاشتراكيّة، والثوريّة، والعلمانيّة، وتُعدّ الأخيرة الإطار العام لكثيرٍ من هذه الأقنعة وغيرها**، وكلّ هؤلاء إلا النُّزر اليسير، يدعي الإسلام بل يدّعيً حبّ الإسلام والدّفاع عنه، لأنهم يدركون أن عملهم بهذه الصفة يجعلهم في مأمنٍ من غضب النَّاس، مع قوة تأثيرهم، وانخداع النَّاس بهم.

ولنعد الآن إلى موضوع الحديث وهو العلمانية.

إن كلمـة «**علمانية**» ترجمة لكلمة غربية هي: (SECULARISM) وهم لا يقصـدون بها تركيبًـا مرادفًـا للعلمية أي الاهتـمام بالعلم، وإنّـما يعنـون بها: الـدنيوية، أو المـادية، أو اللادينية، ولعلّ هذا المعنى الأخير أظهر لأنها حركة اجتماعية تهدف إلى نقل النَّاس من الاهتمام بالآخرة إلى العناية بالحياة الدُّنيا، ولذا جعلها مصنفو دائرة المعارف البريطانية من «**الإلحاد العملي**» حيث هي لا تظهر الكفر بالله صراحة ولكنها تسعى لإبعاد الدين عن شئون الحياة كلها، **ولهذا يخدع جمهور النَّاس وبخاصّة المسلمين بها وبدعاتها لعدم تصريحهم بالكفر**[1].

وإذا كان لهذه الحركة مايسوغها عند النصارى ونحوهم من تسلط رجال الدين ومحاربتهم للعلم، فإنَّ سؤالاً مُهمًّا يطرح نفسه وهو:

كيف نشأت هذه الحركة في بلاد المسلمين وغزت ديارهم؟!

إنَّ الإسلام لم يكن يحارب العلم، ولم يتسلَّط علماء المسلمين على النَّاس فيمنعوهم حتّى من التفكير.

ولكن لما تيقن النَّصارى ونحوهم من الكفَّار أن المسلمين لو تمسَّكوا بدينهم حقَّ التمسك لسادوا العالم، عملوا جادّين لإبعاد المسلمين عن الإسلام.

---

(١) محمد شاكر شريف، العلمانية وثمارها الخبيثة، نشر دار الوطن سنة ١٤١١هـ والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ـ الندوة العالمية للشباب الإسلامي ط ٢ سنة ١٤٠٩هـ صفحة /٣٦٧.

من هنـا ظهر ما يسمى بـ «**الغزو الفكري**» وظهرت الحاجة إلى طابور خامس أو نوعية خاصَّة من أبناء المسلمين، يمكن عن طريقهم توجيه المسلمين لما يريد أعـداؤهم دون أن يشعـروا بالخطر، واستغلَّت البعثات الدراسية التي سافرت لأخذ العلم المادي عن الغرب في تكوين هذه النَّوعية الخاصَّة، فبرز ما يسمى في البلاد الإسلامية بالعلمانيين أو المثقفين أو الطبقة الوسطى الجديدة.

تورد لنـا المـوسـوعـة الميسَّرة في الأديـان والمـذاهـب المعاصرة معتقدات العلمانيين في العالم الإسلامي فتقول:

١ ـ الطَّعن في حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة.

٢ ـ الزَّعم بأن الإسلام استنفذ أغراضه، وأنَّه عبارة عن طقوس وشعائر روحية.

٣ ـ الزَّعم بأن الإسلام لا يتلاءم مع الحضارة ويدعو إلى التَّخلف.

٤ ـ الدَّعوة إلى ما يُسمى تحرير المرأة وفق الأسلوب الغربي.

٥ ـ تشوية الحضارة الإسلامية وتضخيم الحركات الهدَّامة في التاريخ الإسلامي والزَّعم بأنها حركات إصلاح.

٦ ـ إحياء الحضارات القديمة.

٧ ـ اقتباس المناهج والأنظمة اللادينية عن الغرب.

٨ ـ تربية الأجيال تربية لا دينية.

٩ ـ فصل الدين عن السياسة وإقامة الحياة على أساس مادي[1].

لن أستعرض معك أخي القارىء أفعال العلمانيين وأقوالهم التي تدلُّ على وجود هذه النقاط، وإن كانت تختلف في توافرها من بلدٍ إلى آخر، لكنِّي سأتركك تتأمَّل الواقع وستجد الكثير الكثير ممَّا يشهد لوجودها، **وبخاصة إذا تذكَّرت أن هؤلاء لا يصارحون الناس بما يريدون**، وإنما يسلكون المسالك الملتوية وباسم الإسلام أحيانًا والغيرة عليه، ليصلوا إلى مرادهم الذي هو إبعاد المسلمين عن دينهم وجعلهم يسيرون في ركاب الغرب.

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة / ٣٧٠ ـ ٣٧١.

وإن كنت أعترف أن هؤلاء ليسوا على درجة واحدة، لأن منهم من تكون هذه النزعة كامنة في شعوره الخفي فهو لا يدري ما الذي يدفعه ويجرّه إلى هذه الحركة، فيكون مخادعًا لنفسه[1] كما حكى الله عن المنافقين في قوله: **﴿ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾**. [سورة البقرة، الآية: ١٢].

يقول الإمام ابن القيم: «أما النِّفاق فالدّاء العُضال الباطن يكون الرَّجل ممتلئًا منه وهو لا يشعر فإنَّه أمر خفيٌّ على النَّاس وكثيرًا ما يخفى على من تلبَّس به فيزعم أنه مصلح وهو مفسد» اهـ[2] ولهذا كان كثير من الصحابة يخافون النِّفاق على أنفسهم.

فبعض العلمانيين يكون ملحدًا كافرًا وقد يصرّح بذلك وربما لا يصرّح ولكنه يركب الموجة ويرفع راية الإسلام ويستشهد بالآيات والأحاديث، وبعضهم يكون مخدوعًا ـ كما ذكرنا ـ يؤمن بالله ويؤدّي أركان الإسلام، لكنه يعتقد أن الله لا علاقة له بحياة الإنسان[3] فالسياسة، والتعليم، والاقتصاد، والعلم، والأدب، والفن، والإعلام، بل الحياة كلّها لابدّ من عزلها في نظره عن الدّين، فهذا داخل في حكم المنافقين وهو لا يشعر. **وإذا وصفته بالنِّفاق والعلمانية وطالبته بالتوبة والعودة ثار عليك وزعم أنَّك تريد جعل الناس كلّهم من العلمانيين!!**

وداء العلمانيين الأول الذي جرَّهم إلى ما هم فيه هو **الجهل بدين الإسلام** والذي أقصده: هو **أنهم جهلوا مذهبية الإسلام في الكون والحياة والإنسان، جهلوا أحكام شريعة الإسلام ومقاصدها النبيلة، جهلوا قيم الإسلام وخصائص حضارته ومراحلها وظروفها التاريخية، لم يعرفوا من هو رسول الله، ﷺ، وما مقامه في الوجود، جهلوا أسباب تقدّم المسلمين وأسباب تأخّرهم.**

---

(١) محمد بن أحمد المقدم، عودة الحجاب، القسم الأول، ط ٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، صفحة / ٢٠.

(٢) الإمام ابن القيم، صفات المنافقين، المكتب الإسلامي، ط ٤ سنة ١٣٩٩هـ صفحة / ١٥.

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة / ٣٧٠.

فهم عندما واجهوا الغرب واجهوه بقلوب فارغة وعقول خاوية ونفوس مجرّدة من معاني الأصالة والعزّة واستقلال الشخصية، واجهوه مواجهة سطحيّة من مواطن الجهل والذّلة والشّعور بالدونية والهزيمة، فانبهروا بكل ما عنده دون مناقشة[1].

وهذا الجهل بالإسلام لم يصل في بعض منهم إلى الدرجة التي يقررون فيها الخروج من الإسلام تمامًا، لذلك وقع هذا النوع في حيرة وتردّد، ففطرته وحياته الأولى في بلاد الإسلام تجذبه برفق إليها، وانبهاره بالحضارة المادية ورغبته في أن يصل مجتمعه إلى ما وصلت إليه تجذبه من جهة أخرى بقوة، ومن هنا نشأ ما يسمى بعملية التلفيق فيأخذون من الإسلام الجانب الروحي، ويحكمون المذاهب المادية ماركسية كانت أو رأسمالية في معظم شئون الحياة، ويظنّون أن ذلك لا يعارض الإسلام ولا يؤثّر عليه مع أن استقراء الواقع في العالم الإسلامي يفيدنا أن محاولات التلفيق هذه تنتهي إلى التّضحية بالإسلام[2].

وأختم هذه النقطة بفقرتين من كلام الدكتور القصيبي، يوضّح فيهما موقف المفكرين من الحضارة الغربية، يقول الدكتور:

«لقد انقسمت الصفوة من القادة والمفكرين أمام زحف الحضارة الغربية المكتسحة إلى فريقين:

أحدهما: فُتن بهذه الحضارة وقرَّر الانسياق معها والانسلاخ عن تراثه وتاريخه.

والآخر: رفض هذه الحضارة رفضًا باتًّا محاولاً أن يجد في التراث مأوى يعصمه من الطوفان»[3].

---

(١) د. محسن عبدالحميد، أزمة المثقفين تجاه الإسلام في العصر الحديث، مكتبة أسامة بن زيد بالرباط، ط ١ سنة ١٤٠٥هـ صفحة ٥١ ـ ٥٢.

(٢) د. محسن عبدالحميد، المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري، سلسلة كتاب الأمة صادر عن رئاسة المحاكم والشؤون الدينية بدولة قطر، ط ١ سنة ١٤٠٤هـ صفحة ٢٧ ـ ٣١.

(٣) مجلة الفيصل العدد ٤٦ صفحة ٣٤.

«إنَّ أزمة المجتمع العربي كله تتلخص في كلمة واحدة: إن القادرين على فهم هذا المجتمع عاجزون عن تطويره، والقادرون على تطويره عاجزون عن فهمه»[1].

ومع ما على هذا الكلام من ملحوظات إلّا أنَّه يؤكّد أن هذه النوعية لا تعرف الإسلام ولا تفهم المجتمع الإسلامي وما يصلح له، وهذا ما نريد أن نصل إليه هنا.

والدكتور القصيبي أغفل قسمًا ثالثًا ـ لعلَّ القارىء لا يجهله ـ وهو يمثل جلَّ علماء المسلمين، الذين يفهمون الإسلام حقَّ الفهم، ويعرفون المجتمع الإسلامي وما يصلح له، وبالإضافة إلى ذلك يقفون موقفًا معتدلاً من الحضارة الماديّة فيأخذون منها ما حسن وأفاد دون ما قبح وضرّ، وأورد هنا كلمة لعلم من أعلام الإسلام في العصر الحاضر يمثل هذا الصنف، وهو سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز حيث يقول: **«دين الله دين شامل يشمل مصالح العباد في المعاش والمعاد، ويشمل كل ما يحتاج إليه النَّاس في أمر دينهم ودنياهم.. وعليك يا أخي أن تأخذ الإسلام كلّه ولا تأخذ جانبًا دون جانب.. بل خذ الإسلام كلّه. خذه عقيدة، وعملاً، وعبادة، وجهادًا، واجتماعًا، وسياسة، واقتصادًا، وغير ذلك خذه من كل الوجوه، كما قال سبحانه: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا ادخلوا في السِّلم كافَّة﴾.** [سورة البقرة، الآية: ٢٠٨]»[2].

فهل ـ يا ترى ـ من يقول هذا الكلام يقال عنه: إنه يحاول أن يجد في التراث مأوى يعصمه من الطوفان؟!

وأقول: هذا لا يستغرب من الدكتور ـ هداه الله ـ وقد حصر العلمانية

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الشيخ عبدالعزيز بن باز، الدعوة إلى الله وأخلاق االدعاة، رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد سنة ١٤٠٢هـ صفحة ٢٦.

ـ فقط ـ في الحكومات التي تحكم بالقوانين الوضعية[1]، متناسيًا جحافل العلمانيين من المفكرين والأدباء والمثقفين والفنانين وغيرهم، ممّن ينطبق عليهم بعض أو كلّ ما ذكرته الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة الذي سبق أن نقلناه عنها، ولهذا فنحن بحاجة إلى عرض الصّفات العامّة التي يتميّز بها العلماني أيًّا كان تخصّصه وهو ما سنعرضه في الفقرة التالية:

كيف تعرف العلماني؟

لن أسرد قائمة بأسماء العلمانيين فليس هذا منهج الإسلام من حيث العموم، بخلاف من أظهر علمانيته ونفاقه ممّن يجب فضحه وهتك أستاره.

ولهذا ذكر الله سبحانه في القرآن الكريم كثيرًا من صفات المنافقين، ولم يسمِّ واحدًا منهم.

سأذكر صفاتهم الخَلْقِيّة والخُلُقيَّة، وأفعالهم، وأساليبهم في العمل، ووسائلهم، محصيًا ما استطعت من ذلك مستندًا إلى ما ذكر في القرآن والسنَّة مستشهدًا بما يحكيه الواقع وتؤيّده الحال ولنبدأ في **استعراض الصفات**:

الصفة الأولى: الاهتمام بالمظهر والشكل الخارجي:

من صفاتهم الظاهرة **الاهتمام بالمظهر والشّكل الخارجي**، قال تعالى: **﴿وإذا رأيتهم تُعجبكَ أجسامهم﴾**. [سورة المنافقون، الآية: ٤]. وقال تعالى: **﴿ولا تعجبك أموالهم وأولادهم﴾**. [سورة التوبة، الآية: ٨٥]. وانظر إلى واقعنا تجد معظم هؤلاء كما وصفهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ ينمّق شكله حتى يُعجب بشكله النَّاس إذا ظهرت صورته في التلفاز أو الصحافة، يحرصون على السيارات الفارهة، والبيوت الفسيحة، والحدائق الغنَّاء، والأثاث الفاخر، وكل ما يلفت نظر النَّاس من خدمٍ وحَشَمٍ، يفعلون ذلك دون اهتمام بحدود الشَّرع وأحكامه سواء فيما

---

(١) د. غازي القصيبي، مجموعة رسائل «حتى لا تكون فتنة»، مطبعة الاتحاد بالبحرين، الرسالة الثالثة صفحة ١٤.

يتعلّق بالأفعال، أو بطرق الكسب فتجده **يكذب، ويشي، ويرشي، ويرتشي، ويسرق، ويغش، ويخدع، ويفعل كل بائقة ومحرَّم** في سبيل الحصول على هذه الميزات التي يخدع بها عامّة النّاس، **ولكن كذبه ورشوته وسرقته ونحوها بأساليب نظاميّة لا تجد العقوبة معها إليه سبيلاً**، وبهذه الطريقة يُقرِّب بعضهم بعضًا ويُمكِّن بعضهم لبعض، حتى يكبروا في أعين العامّة ممَّن لا يعرفون مكائدهم، فهم يتميَّزون عن المؤمنين الذين يتمتعون بما يبسطه الله لهم من رزق **بأنهم لا يراعون حلالاً ولا حرامًا ولا يهتمون ببواطنهم.**

الصفة الثانية: تعلقهم بركاب الفصاحة:

ومن الصفات البارزة الظاهرة لبعضهم في زمننا هذا، **تعلّقهم بركاب الفصاحة** وادعاؤهم البيان والبلاغة، سواء في الشعر أو النثر أو الخطابة، وقد حكى الله ذلك عن أسلافهم بقوله: **﴿وإن يقولوا تسمع لقولهم﴾**. [سورة المنافقون، الآية: ٤]. وقوله: **﴿ومن النَّاس من يعجبك قوله في الحياة الدّنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألدّ الخِصام﴾**. [سورة البقرة، الآية: ٢٠٤]. فهم يتصنّعون الفصاحة، وعباراتهم تتميَّز بالجدل والمراوغة لقمع كل معارضة تقف أمامهم[1]، وسبب نجاحهم في ذلك: استخدامهم الخداع والكذب حتى في الأيمان والعهود والمواثيق.

الصفة الثالثة: ثقل الطاعات على نفوسهم:

ومن الصفات التي تميّز هذه الطائفة بوضوح **ثقل الطاعات على نفوسهم**، فلا يكاد أحدهم يذكر الله، ولا يقوم إلى الصَّلاة - إن كان ممَّن بقي في قلبه خيطٌ ضعيف يربطه بها - إلا إذا أوشك الوقت على الخروج، ولكنهم أمام النّاس يتظاهرون بالمحافظة على الطاعات، بل يدعون إليها ما داموا يرون في ذلك مصلحة لهم لحمايتهم أو تمكينهم، فإذا زالت المصلحة زال هذا الحرص. **﴿إن**

---

(١) الشيخ عبدالرحمن الدوسري، النفاق آثاره ومفاهيمه، مكتبة دار الأرقم بالكويت، ط ٤ سنة ١٤٠٠هـ صفحة ٧٤.

المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصَّلاة قاموا كسالى يرآءون النَّاس ولا يذكرون الله إلاّ قليلاً﴾. [سورة النساء، الآية: ١٤٢]. وإذا كان هذا حالهم مع الصَّلاة التي هي من أوجب الواجبات، فلا تسأل عن السُّنن والمندوبات فلن تجد لها أثرًا لا في أقوالهم، ولا في أفعالهم، إلاّ من باب الرّياء، وإن الواقع الذي نعيشه ليترجم هذه الكلمات إلى وقائع يراها النَّاس، فلا أجد نفسي بحاجة إلى بيان، **اجتماعات على مختلف المستويات، ومباريات، وبرامج مختلفة، ورحلات، ومحاضرات جامعية، كل هذه تعقد وبكثرة في أوقات الصَّلاة فالله المستعان.**

الصفة الرابعة: كراهيتهم للحق وأهله:

ومن الصفات الخبيثة التي تكنّها قلوبهم وتبديها أفعالهم وقد تظهرها ألسنتهم، **كراهيتهم للحقّ وأهله**، وهم وإن أظهروها بألسنتهم حينًا إلا أنهم يحاولون أن يكون أسلوبهم في ذلك غير مبدٍ لما في نفوسهم ممّا يجري في عروقهم وتمتلىء به قلوبهم من الحقد والغلّ الذي يكاد يشوي قلب المنافق شيًّا، لكن جهودهم في إخفاء ذلك لا تنجح **﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم﴾**. [سورة محمد، الآية: ٢٩]. **﴿يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا إن الله مخرج ما تحذرون﴾**. [سورة التوبة، الآية: ٦٤].

إنهم يريدون تطوير المجتمع وإنقاذه من براثن التخلّف وتخليصه من الرَّجعية والرَّجعيين، ولو أزَلْتَ عن هذه الكلمات الأصباغ والمساحيق لوجدتهم يريدون بها الإيمان والمؤمنين، ولذا لا تجد اصطلاحًا محدّدًا لكلمة [الرجعية] يجتمع عليه قادة الاشتراكيين واللبراليين إلاّ إرادة الإسلام والمسلمين، فهم لا يكفون عن أذى المسلمين والدّعاة بمثل هذه الكلمات، وبالسّعي فيهم لدى السلطات بتخويفها منهم وبتهميش دورهم شعبيًا ورسميًا. **﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات** بغير ما **اكتسبوا فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا﴾**. [سورة الأحزاب، الآية: ٥٨]. يفرحون بكل ما يؤذي المؤمنين من فقر وسجن ومرض وغيرها **﴿ودّوا ما**

عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تُخفي صدورهم أكبر﴾ . [سورة آل عمران، الآية: ١١٨].

ومع هذا البغض الذي تبدي الأفواه بعضه وتجيش الصدور بأكثره، تجد من المسلمين من يحبهم ويدافع عنهم ويواليهم، يدفعه إلى ذلك إعجابه بانجازاتهم وانبهاره بأقوالهم التي تفيض حبًّا للوطن والمواطنين، فيظنّ أن هذا دليل إخلاص وتنسيه هذه المشاهد الحاضرة الخطوات الوئيدة التي تجرّ المجتمع إلى العَنَت، بالبعد عن الدّين وإشاعة الفاحشة وتعطيل الشريعة وسوق الأمّة إلى مهاوي الفساد، ويظنّ أن جولة تفتيشية أو نظامًا متطورًا، أو مسجدًا في زاوية مصنع أو مستشفى، أو آيات قرآنية تزين بها الجدران، يظنّ أن هذه ونحوها دليل الإخلاص، متناسيًا ما دبّره هذا المنافق أو ذاك من اختلاط في المستشفيات والجامعات، وتعريض عورات المسلمات للأجانب واستقدام الآلاف المؤلفة من الكفّار والكافرات الذين لهم التأثير الكبير على المجتمع وأخلاقه، وغيرها مما قد يرد له أمثلة في غير هذا الموضع، ويتناسى هذا المسلم ذو القلب الطيّب قول ربه جلّ وعلا: ﴿ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كلّه وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضّوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إنّ الله عليمٌ بذات الصّدور، إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتّقوا لا يضركم كيدهم شيئًا إن الله بما يعملون محيط﴾ . [سورة آل عمران، الآيتان: ١١٩، ١٢٠]. ومع هذه الدسائس والمكائد إلا أن الله سبحانه سيظهر دينه ويعلي كلمته كما أخبر بقوله: ﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتّى جاء الحقّ وظهر أمر الله وهم كارهون﴾ . [سورة التوبة، الآية: ٤٨].

ومما ينبني على هذه الصفة الخبيثة صفة أخرى وهي كراهيتهم لحكم الله وعدم رضاهم به كما قال تعالى: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودًا﴾ . [سورة النساء، الآية: ٦١]. وقال

سبحانه: ﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريقٌ منهم معرضون. وإن يكن لهم الحقّ يأتوا إليه مذعنين. أفي قلوبهم مرضٌ أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولـئك هم الظالمون﴾. [سورة النور، الآيات: ٤٨ ـ ٥٠].
وانظر إلى الواقع تجد الشائعات التي يتداولها بعض العامّة عن القضاء والقضاة، وأهل العلم، وإذا بحثت عن مصادرها وجدت أحد هؤلاء هو الذي يصدرها، وانتقل إلى العمل تجد المشروعات والمقترحات المقدّمة لتطوير القضاء وإحداث المحاكم المتخصّصة (التجارية، الصناعية، العمال. . إلخ) وفيها مواد وبنود ربما لا تكون الآن كلها مخالفة للشّرع لكنها كما يقولون: خطوة إلى الأمام، ومرحلة أولى، والزمن كفيل بالحلّ!!

الصفة الخامسة: شعورهم بالكبر والغطرسة:

إنّهم مع الصفات السابقة يشعرون بالكبر والغطرسة، والأنفة والشموخ لا على الكافرين والظالمين، فإنهم أمامهم أذلّة ضعفاء ولكن على المؤمنين، وبخاصّة من يوجه إليهم النصيحة، ويطلب منهم التوبة. ﴿وإذا قيل له اتق الله أخذته العزّة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد﴾. [سورة البقرة، الآية: ٢٠٦]. ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدّون وهم مستكبرون﴾. [سورة المنافقون، الآية: ٥]. يرمون من دعاهم إلى التوبة بتهم عديدة، فهو عندهم الذي يُكفِّر جميع النّاس، ويريد احتكار الدّين، وإعادة عهود الكهنوت، وإصدار صكوك الغفران، ونحو ذلك[1].

الصفة السادسة: خوفهم وجبنهم وفزعهم:

وتحت هذا الاستكبار والشموخ الظاهر تختفي قلوب غارقة في الجبن، متسربلة بالخوف، خوارة، رعديدة، فهي تخاف من الموت أولاً فما لجأت إلى النفاق إلاّ فرارًا منه فهم وإن قالوا ليهود ﴿لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدًا أبدًا وإن قوتلتم لننصرنكم﴾. (سورة الحشر، الآية: ١١). فالله يشهد إنهم

(١) النفاق آثاره ومفاهيمه ٨٢.

لكاذبون لما يعلمه عن قلوبهم من جبن وهلع ألجأهم إلى النفاق، فلذا قال تعالى: **﴿والله يشهد إنهم لكاذبون، لئن أُخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قُوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولنَّ الأدبار ثم لا يُنصرون﴾**. [سورة الحشر، الآيتان: ١١، ١٢].

وانظر لوصف الله لهم إذا نزل بالمسلمين شدّة وخوف **﴿فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت﴾**. [سورة الأحزاب، الآية: ١٩]. فقد ذهبت تلك الأنفة والكبر والشموخ لأنها لا رصيد لها.

وتخاف هذه القلوب ثانيًا من المؤمنين الصادقين الذين يملكون البصائر النافذة، التي تكشف الزّيف وتبدي العُوار، ولا تعترف بالأصباغ والمحسِّنات ولا يخدعها التقلُّب والتَّلوُّن فهي ترى بعين البصيرة لا بعين البصر وحدها، ولذلك فقلوبهم ترتعد خوفًا من المؤمنين **﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾**. [سورة المنافقون، الآية: ٤]. فالوحشة لازمة للمنافقين والرّعب والفزع لا يفارقهم، لأن في قلوبهم وحشة من وحي الله أولاً، ومن عباد الله القائمين بأمره ثانيًا[1]، **ولذلك يحرصون على إسكات الأصوات الحرَّة النزيهة التي تقود الأمّة إلى برّ الأمان بحجة إثارة الفتنة، والكلام فيما لا يعنيها والتدخّل في السياسة، والمساس بالشّخصيات الرّسمية، وغير ذلك من الأعذار الملفّقة لفظًا أو معنى.**

والعجب أن خوف هؤلاء من المؤمنين، الذي لا يجعلهم يظهرون ما يقولونه في خلواتهم لا يدفعهم إلى التوبة، بل يدفعهم إلى مزيد من الكيد والإفساد والوقيعة بالصالحين.

ومع هذا الخوف وزعم التخفي فإنهم كالنَّعام ـ فيما يُحكى عنه ـ يدسّون رؤسهم في الرّمال ويحسبون أنهم لا يُرون. قال الله تعالى: **﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصّواعق حذر الموت﴾**. [سورة البقرة، الآية: ١٩]. فهم يظنّون أن وضع الأصابع في الآذان كافٍ في صرف الصواعق عنهم، وهذا غاية السَّفه

(١) النفاق آثاره ومفاهيمة ٤١ ـ ٤٢.

والبله، وكذلك هم في زماننا يبالغون في الاختفاء والتلوُّن، ولكن الله لهم بالمرصاد لكشفهم وفضحهم على يد أوليائه وحملة دينه.

وأعظم من هذا السَّفه عدم خوفهم من الله، مع ما رأيناه منهم من الخوف من النَّاس. قال الله تعالى: **﴿لأنتم أشدّ رهبةً في قلوبهم من الله ذلك بأنَّهم قومٌ لا يفقهون﴾.** [سورة الحشر، الآية: ١٣].

فسبب ذلـك: قلة الفقه، وسفه العقل. ونتيجته: مرض القلب الذي ملكه الشيطان، وأصبح يسرح فيه ويمرح. **﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكـر الله أولئك حزب الشيطان ألا إنَّ حزب الشيطان هم الخاسرون﴾.** [سورة المجادلة، الآية: ١٩].

فهم حزب الشيطان وأولياؤه، ولهـذا اتَّخذوا ما يستطيعونه من الأساليب والوسائل للوصول إلى أهدافهم، بل هدفهم الوحيد، وهو كفر المسلمين **﴿ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾.** [سورة النساء، الآية: ٨٩]. فلنلق الضّوء على بعض أساليبهم ووسائلهم.

أساليب المنافقين (العلمانيين) ووسائلهم لتحقيق أهدافهم

الأسلوب الأول: مد الجسور مع القوى التي تساعدهم في مهمتهم:

وهم الكفار بمختلف أشكالهم (يهود، نصارى، ملحدين، مشركين) لا فرق عندهم بين هؤلاء ما داموا يخدمون الهدف.

فهؤلاء المنافقون الذين يمثلهم اليوم العلمانيون، مصابون بضعف الشخصية، وجمود الفكر، إضافة إلى الجبن، فهم بحاجة إلى إخوانهم في الطريق، وزملائهم في المهنة الذين هم الكفار.

﴿بشر المنافقين بأن لهم عذابًا أليمًا الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعًا﴾. [سورة النساء، الآيتان: ١٣٨، ١٣٩]. **وهم لا يصرحون بهذه الولاية، بل يبالغون في إخفائها، فينسقون مع الكفار على أنهم سيطيعونهم في الظاهر في حدود ما تسمح به الظروف المتاحة ﴿ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم﴾**. [سورة محمد، الآية: ٢٦]. ويعتذرون للمؤمنين بأن هذه الطاعة **تمليها الظروف السياسية، والمصالح القومية، لأنهم يملكون من السلاح والعتاد ما لا نملكه، فنريد أن نكسبهم إلى جانبنا ضد أعدائنا ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة﴾**. [سورة المائدة، الآية: ٥٢]. **ولكن الحقيقة هي الولاء التام للكفار، والمحبة الصادقة لهم، والرغبة في تمليكهم رقاب المسلمين، ولا تتبين هذه الحقيقة إلا إذا جاء نصر الله الساطع، الذي يزيل الرُكام ويبدد الظلام ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين﴾**. [سورة المائدة، الآيتان: ٥٢، ٥٣]. **عند**

ذاك يتبين المصلح من المفسد، والعدو من الصديق.

الأسلوب الثاني: توفيـر مـادة النفـاق (الأشخاص):

وهم بعد أن يطمئنوا إلى وجود المصدر الذي يلجأون إليه، يسعون ثانيًا ـ بمساعدة هذا المصدر ـ لتوفير مادة النفاق ـ أعني الأشخاص الذين يحملون رايته ويُسيِّرون مركبه ـ.

فهم يبحثـون عن النفوس الضعيفة التي تتهاوى إذا لُوِّحَ لها بالشهوات الدنيوية كالجاه، والمنصب، والمال، والنساء، ونحوها، ويركزون على الأقليات العرقية والدينية التي تسعى لإثبات وجودها بأي صورة.

فإذا ظفروا بهذه النوعية صاغوها بالصياغة التي يريدونها، ولقنوها الأفكار التي يرغبونها، حتى تكون هذه النوعية أداة لهم بل جزءًا منهم.

ثم يتم تلميع هؤلاء وتعـريف النـاس بهم ليكونوا أعلامًا، يعرفهم كل أحد، ويكون ذلك عن طريق وسائل الإعلام المختلفة بالمقابلات، والمقالات، ونحوها، وقد يكون التلميع عن طريق تضخيم بعض ما يقوم به هذا العلماني أو ذاك ليكون وحيد عصره، وقائد ركب الإخلاص للوطن، والتضحية في سبيله، وبعـد ذلـك تمسك هذه العصبة أو العصابة ـ التي تظاهرت للناس بإنجازاتها وإخـلاصها وتضحيتها ـ بالمناصب، وتبدأ في استغلال المناصب لتنفيذ المآرب والغايات، والخُطط المُعدَّة سلفًا.

ولن أسترسل في هذا الأسلوب وبيان أسبابه وخطره، لأنه سيأتي له مزيد بيان، حين الكلام عن موقف العلمانيين من الحكم إن شاءالله.

الأسلوب الثالث: الكذب والتقلب والتلون:

ومن أسـاليبهم الماكرة، **الكذب والتقلب والتلون**، وهو أسلوب خبيث يندر مع وجوده أن يظفر المراقب لتحركاتهم بما يدينهم، ولكن تبقى **قرائن الأحوال ونتائج الأفعال** هي الكاشفة عنهم **﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾**. [سورة محمد، الآية: ٣٠].

كذبوا أولاً في دعوى الإيمان **﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم وما أولئك بالمؤمنين﴾**. [سورة النور، الآية: ٤٧].

ثم زادوا في التلبيس، فعملوا ما يعمله المسلمون، فصلوا وصاموا، بل بنوا المساجد وأنفقوا الأموال، وأسهموا في المشروعات الخيرية التي يسمونها «الإنسانية»، وتبنوها، لكن الله قطع عليهم الطريق، فقال سبحانه: **﴿قل أنفقوا طوعًا أو كرهًا لن يتقبل منكم إنكم كنتم قومًا فاسقين وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾**. [سورة التوبة، الآيتان: ٥٣، ٥٤].

وقد يهدفون من هذه الجمعيات الإنسانية إلى الشهرة، أو يعدونها لتكون أوكارًا لهم، يبثون من خلالها أفكارهم، وتكون دورًا لتفريخ العلمانيين، ولتنفيذ ما يريدونه من برامج تحت مظلة رسمية، وقد أظهر الواقع في العالم الإسلامي **ارتباط هذه الجمعيات بجهات مشبوهة**.

وإذا عرفت أن الشيوعيين والعلمانيين والماسونيين ونحوهم ممن ينبذهم المجتمع يلجأون إلى هذه الجمعيات، كجمعيات المعوقين، والمسنين، والرعاية الاجتماعية، ونحوها لاستدرار عطف المجتمع وشفقته، والحصول منه على تمويل مشروعاتهم غير المعلنة، وقد يجتذبون إليها بعض الشخصيات التي ليست منهم، لتكون ستارًا يعملون من ورائه.

أقول إذا عرفت هذا التوجه، سهل عليك رؤية كثير من الأسماء التي قد تتهمها بالعلمانية في قائمة المؤسسين لهذه الجمعيات.

وقد يكون من أساليبهم في الكذب والتلبيس ادعاء **الإصلاح، فيما يقدمون عليه من مشاريع، حتى ولو بان للناس ضررها وخطرها، ولهذا إذا نصحهم ناصح بالعدول عن طريق الإفساد، زعموا أنهم هم المصلحون ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾**. [سورة البقرة، الآيتان: ١١، ١٢].

لا يشعرون . . نعم! لا يشعرون أنهم مفسدون، لفساد طبائعهم بما حلّ فيها من الشّبهات الناشئة عن الظّلمات الموجودة في قلوبهم كظلمة الهوى، وظلمة الطّمع، وظلمة الشهوة، وظلمة الحقد والحسد والغواية، وغيرها[1].

ولـذلـك إذا كشفت مخططاتهم، رفعـوا رايـات الاستسلام، وعادوا إلى المـراوغـة باستخدام «ورقة» سلامة النية، ونبل المقصد، والخطأ في التطبيق، والأخطاء الفردية، والتصرف الشخصي، ونحو ذلك مما نسمعه منهم الآن، وقد نبأنا الله عنهم من قبل ﴿فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانًا وتوفيقًا﴾. [سورة النساء، الآية: ٦٢].

والحلف عندهم على الكذب من أسهل الأشياء، لأنهم لا يراعون حرمة للمحلوف به مع كونه ـ أعني الحلف ـ من أقوى وسائل الإقناع فيما يظنّون.

لا نستغرب من هؤلاء إذا سمعنا أحدهم يصرح: بأنه حريص على أن يكون ما تحت يده من مسئوليات منضبطًا بالضّوابط الشّرعية، أو بالعبارة الشّائعة اليوم «**في حدود شريعتنا وتقاليدنا**».

فإذا واجهتـه بالمخالفات الكثيرة بدأ يعتذر بكثرة المسؤوليات، وصعوبة انقياد النّاس، وعدم توفر الإمكانات، ونحو ذلك وهو الذي خطّط ومهّد لهذه المشكلات أو رضي بها وأقرّها، ولكنه على استعداد لإقناعك بصلاح نيّته، وحسن سريرته، وسلامة مقصده، **﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدّنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألدّ الخِصام﴾**. [سورة البقرة، الآية: ٢٠٤].

والعجب أن نجد بعض من يدافِع عن العَلمانيين يقول: **دعنا مما يقولون . . هل مشروعـاتهم وأنظمتهم وفق الشّريعة فعلاً، إذا كانت كذلك فلابدّ أن نقبلها جميعًا، وإذا لم تكن وفق الشّريعة الإسلاميّة فيجب أن تُرفض لهذا السبب[2]!!**

ومعلوم أن مثـل هذا القـول للتّلبيس، والمراء، واللّدد في الخصومة، إذ

---

(١) النفاق آثاره ومفاهيمه ١٦ .

(٢) مجموعة رسائل حتى لا تكون فتنة، الرسالة الأولى ١٧ .

النَّاظر إلى الاقتصاد، والإعلام، والتَّعليم، والصِّحَّة، وغيرها من المجالات التي بدأ العلمانيون يبثّون من خلالها سمومهم، يعلم أن مثل هذه القطاعات لا تخلوا من المخالفات الشّرعية، تقلّ وتكثر، وتختلف في درجة مناقضتها للشَّرع.

فهل نخادع أنفسنا ونصدّق من قال: إن اقتصادنا وإعلامنا ونحوهما ليس فيها ما يخالف الشريعة؟ وهي عبارة أصبح يقولها عن تقليد من نجزم بأنه ليس من العلمانيين.

إنّنا يجب أن نقول ـ بصراحة ـ: هذه عبارة عَلمانية، يقصد بها ذَرُّ الرَّماد في العيون، إذ المخالفات الشّرعية موجودة فمن الذي يملك رفضها؟

العامة الذين ضُلِّلُوا وخُدِعوا بالكلمات الزَّائفة، والبرامج الصّارفة، والأعمال الشّاغلة؟!!

أم العلماء الذين تكلّموا وكتبوا ونصحوا وحذَّروا وبيَّنوا؟! فمنهم من هُدِّىء بالوعود والكلمات المعسولة، ومنهم من أُسكِت، ومنهم من لا يزال يواصل النُّصح والإنكار!!

إن مغالطة القصيبي ـ وهو صاحب النصّ السّابق ـ في هذا الأمر واضحة، فالذي يملك حق الرّفض والتغيير في مثل هذا الأمر هم ولاة الأمر الذين نسأل الله أن يُلهمهم الرُّشد والصَّواب، ويوفِّقهم للحقّ لإبعاد هذه العصابة المتنفِّذة التي بدأت تنخر في جسم الأمة لتوهن عزيمتها.

وهذه العصابة شرذمة قليلون، الكلُّ يبغضهم لو علم حقيقتهم، لكنهم لَبَّسُوا على النّاس بنفاقهم، وبإظهارهم الإخلاص للوطن والعمل لصالح المواطنين، وبما تعلموه من خبرات مادية وعلوم دنيوية.

ولو أبعدت هذه العصابة عن مواقع النّفوذ لرأى الناس الخير في حياتهم، والبركة في أرزاقهم وجميع شئونهم، فعجِّل اللهم بفضحها وزوالها حتى يعرف الناس المصلح من المفسد.

الأسلوب الرابع: العمل على إشاعة العلمانية ونشرها:

إن الأسلوب الرابع ـ بعد أساليبهم الثلاثة السابقة ـ هو أسلوب العمل على إشاعة العلمانية ونشرها على أوسع نطاق، ليكثر أنصارهم، فيخرجوا بأفكارهم إلى الهواء الطلق ويعبِّروا عنها بحرية ويتركوا المجاملات، والاجتماعات السِّريَّة، والخطط المزوَّقة، والأساليب الملتوية، والعبارات الرَّمزية.

وهم يرون أنَّ إشاعة العلمانية تعني ـ كما بينًّا في تعريفها ـ قطع العلاقة بين الدين وحياة النّاس، وقد سلكوا في ذلك عددًا من الوسائل أكتفي بالإشارة إليها بإيجاز لوضوحها:

١ـ علمنـة التعليـم:

وقد قطع العلمانيون شوطًا كبيرًا في علمنة التّعليم، وإن موازنة في المدارس الإبتدائية بين القرآن الكريم ومادة الرياضيات، في نفوس التلاميذ، والجدول الدراسي، ومنهج التحصيل، وإعداد الأستاذ، تبين لك بصدق مستوى العلمنة الواضح للتعليم.

طالب مسلم عربي يتخرج من الجامعة لا يقيم قراءة القرآن ماذا يعني ذلك؟

وانتقل إلى الجامعات، ترى أن الإسلام ليس لاسمه ولا مضمونه ذكر في أكثر مناهج الكليات العلمية التطبيقية، وهو اسم يحرصون عليه، وإن كنت أفضِّل تسميتها بالمادية، غير أنه يوجد مادة فرضت على هذه الكليَّات هي مادة الثقافة الإسلامية، ولا تزال تعاني من قلّة عدد الساعات وضعف المنهج، الذي لا يكمله إلا اجتهاد الأستاذ الكفء إن وُجد.

أما في غير بلادنا فقلْ على التّعليم السَّلام، إذ لا وجود للإسلام في مناهجه، إلا في مادة اختياريَّة لا قيمة لها في المُعدَّل، لذا يعرض كثير من الطلاب عنها، فالله المستعان.

٢ ـ إشاعة الفاحشة في المسلمين

كما حكى الله ذلك عنهم **﴿إنَّ الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذابٌ أليمٌ في الدُّنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾**. [سورة النور، الآية: ١٩].

وإذا شاعت الفاحشة والفساد في مجتمع ما، عميت بصيرته وخُتم على قلبه، وأصبح همّه السَّعي إلى هذه الفاحشة، لا يهمّه من أمر دينه وأمته ومجتمعه، بل وأقاربه ووالديه شيئًا، وهذا الجو هو الذي يصلح للمنافقين ليقولوا ويعملوا ما أرادوا دون اعتراض مُعترض أو استنكار مُستنكر.

إن الإعـلام بجميع وسائله يقوم بدور بارز في إشاعة الفاحشة بمعناها الـواسـع: الجـرائـد، والمجلات المحلية والوافدة، الأفلام التلفزيونيَّة، وأفلام الفيديو، وأشرطة الكاسيت التي تحمل التّرهات من الأغاني ونحوها، كلها تسهم في سَوْقِ المجتمـع بقـوة وعنف إلى مهـاوي الفاحشة وحمأة الرّذيلة، مهما تنوَّع أسلوب الطَّرح.

إن أغنية الغرام، ومسلسل الحبّ، وفلم الإجرام والعنف، وصورة المرأة الفاتنة، وقصص الأدب المكشوف، وقصائد العشق والغزل الهابط، كلها تنطق بكلمة: «**تعال إلى الفاحشة**».

وتُعدُّ ـ بعد ذلك ـ الدعوة إلى إخراج المرأة، ونزع حجابها، واختلاطها بالرِّجال، دعوة صريحة إلى إفساد المجتمع ونشر الفاحشة فيه.

فإذا أضفت إلى ذلك ما تقوم به بعض المؤسسات كالسفارات، والفنادق، والمستشفيات، والشركـات، من حفـلات مختلطة للفسق والخنـا، وما تعجُّ به الأسـواق والمنتـزهـات ومدن الألعاب والشواطيء من المنكرات الواضحة، إلى جانب محاولـة الإضعـاف الحسيِّ والمعنـوي لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيذاء والملاحقة لرجال الحسبة والمحتسبين المتطوعين، علمت أنك أمام مخطَّط ماكر يسعى لإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا.

ولهذا لا نستغرب أن يأتي «القصيبي» في «رسائله» فيفتخر بعمل النساء في المستشفيات، وفي العمل النسائي الاجتماعي أي: الجمعيات النسائية[1].

والقارىء يعلم ما في المستشفيات من المنكرات والسَّعي للإفساد، ويعرف الجمعيات النسائية وعملها الجاد عبر برامج عديدة لإفساد المرأة، وما خروج مظاهرة النساء بطلب قيادة السيارات التي أبطل الله كيد أهلها إلا ثمرة من ثمرات مثل هذه الجمعيات.

والقصيبي - هداه الله - لا يستغرب منه هذا الموقف، فهو الذي فرح واستبشر حينما أذاع الإعلام في الخليج برامج (C.N.N) الأمريكية، فقال: من حق المسئولين عن الإعلام في الخليج، وهم الذين لم يسمعوا قط كلمة ثناء واحدة من أحد، **أن نشيد بقرارهم الشجاع الذي اتخذوه، بإذاعة برامج (C.N.N) على الهواء من دون رقيب أو حسيب . . ونعذر الذين انتقدوا القرار، فما تعودنا أن نسمع الرأي الآخر أيًّا كان الرأي الآخر يعرض أمامنا حيًّا وبلا رتوش وبلا تحسينات . . ولكننا لا نعذر الذين يرفضون أن ندخل عصر الأقمار الصناعية، كما لا نعذر الذين يودون محاربة الصواريخ بالخناجر، والعلم بالسِّحر، والأسلحة النوويَّة بالتعاويذ . . !!!**

ومن أعجب ما سمعت من اعتراضات على (C.N.N) قول بعضهم: إننا لا نحتاج إليها لأن بوسعنا تطوير قناة إخبارية لا تقل عن (C.N.N).

نستطيع وبكل تأكيد، ولكن ليس اليوم، ولا بمجرد الرغبة، ولا بدافع الحسد، **بل بالتخطيط الهادىء، والتنفيذ الذكي، وجو من الانفتاح غير المؤقت» اهـ**[2] **!!**

لا أريد التعليق على مغالطات كاتب هذه المقالة وما فيها من استهزاءٍ وانبهارٍ لا متناهٍ بالغرب، ولكن تأمل ما فيه من فرح واستبشار بهذه الخطوة

---

(1) مجموعة رسائل حتى لا تكون فتنة، الرسالة الأولى/٢٦.

(2) جريدة الحياة عدد ١٠٢٣٦، الثلاثاء ٢٨/٧/١٤١١هـ.

الشجاعة، التي تجاوزت الرقيب، فعرضت الرأي الآخر بلا رتوش، ولابدّ لهذه الخطوة أن تكون غير مؤقتة، لكي تؤدي ثمارها، وإذا كان كلامه هنا يركز على وكالة إخبارية بالدرجة الأولى، إلا أنَّك تفهم من عموم كلامه الدعوة للانفتاح التامّ، الذي يدلّ على حبّ شيوع الفاحشة، والسعي لاشاعتها.

٣ـ التغريـــب:

وهو: السَّعي لمحاكاة الغرب في الظّاهر لكي يسهل بعد ذلك متابعته في الفكـر، فهـو يعني ذوبان شخصية المسلمين التي تميزهم عن غيرهم، إنَّك لو تأملت الحياة من حولك لوجدت أن هناك سعيًا لأن تكون صورة لحياة الغرب، عدا بعض التعديلات التي يمليها الوضع الجغرافي الذي لا حيلة فيه، أو الضغط الجماهيري الذي يسعى لتطويعه.

ادخل إلى مستشفى، اصعد إلى طائرة، زُرْ مصنعًا من المصانع، أو إحدى دور الترفيه والتسلية، أو حتى مطعمًا أو سوقًا، سوف لا تشعر بكبير فرق بينها وبين ما في الغرب، لأن الرُّوح الانهزامية المقلّدة غير القادرة على الإبداع، نقلت ما هنـالك دون تعديل، لجهلها بالإسلام والمجتمع كما قال ذلك «القصيبي» فيما نقلناه عنه قبل، إلا أنَّ ما عندنا يقلُّ عما في الغرب في الترتيب والنّظام، لعدم الوعي الحضاري، فكنّا كالغراب الذي حاول تقليد مشية الحمامة فلم يستطع، فلمّا أراد العودة إلى مشيته نسيها، فذهبت مثلاً.

إن التغريب عندنا لا يشمل ما ذكرت فقط، بل يمتد ليشمل بعض نواحي السياسة داخلية كانت أو خارجية، والاقتصاد، والإدارة، ونحوها مما تقوم عليه الدول، حيث أراد لنا أولئك العلمانيون أن نكون في كل ذلك كالغرب الكافر.

كما تشمل الدعوة إلى التغريب: نشر العادات الغربية في المأكل والملبس والمسكن بين أفراد المسلمين، وهي ظواهر بدأنا نلحظ ازديادها، وبخاصة في مستوى الصّغار الذين إذا نشأوا على ذلك صعب عليهم تركه فيما بعد، وكذلك في الطبقات المترفة «الأرستقراطية» من الشعب، حيث لم يبق لدى أكثرهم إلا

الثوب ونحوه مما يتعلق بالشكل الخارجي للباس.

٤ـ قطع صلة المسلمين بعضهم ببعض بإثارة القوميات والوطنية والقبلية ونحوها:

لا يشك أحد أن الوحدة الإسلامية هي التي تربط المسلمين بالإسلام، وتظهر لهم عظمته، وتجعلهم يعملون لعزته ورفعته، فإذا قطعت هذه الصلة انعدمت هذه الرابطة، وخفي هذا التصور، وفُقِد هذا الحماس، وكان الطريق للعلمنة سهلاً ميسورًا، فلذلك يحرص العلمانيون على هذه القضية، وإن كانوا لا يصرحون بمرادهم.

وإلا فمن خبر أحوال القوميين وتدبر مقالاتهم، وأخلاقهم وأعمالهم، عرف أن غرض الكثيرين منهم من الدعوة إلى القومية أمور أخرى، يعرفها من له أدنى بصيرة بالواقع وأحوال المجتمع، ومن تلك الأمور فصل الدين عن الدولة، وإقصاء أحكام الإسلام عن المجتمع.. وإطلاق الحريات للنزعات الجنسية والمذاهب الهدامة.. ولهذا تجد من يجعل الدين من عناصر القومية يتناقض في كلامه.. وما ذاك إلا أنه لم يقله عن عقيدة وإيمان، وإنّما قاله مجاملة لأهل الإسلام[١]. ولذلك تجدهم يتكلمون عن وجوب وحدة الأمة العربية ولا ينظرون إلى من فيها من يهود ونصارى وباطنية ونصيرية ودروز ورافضة وغيرهم، وفي نفس الوقت يتكلمون عن الإسلام والعمل له ووجوب تحكيمه، فيناقض أول كلامهم آخره دون أن يشعروا، أو هم يشعرون بذلك لكن يريدون استغفال الناس.

٥ـ التعدي على القيم الحساسة في المجتمع لمعرفة رد فعله:

وهذه الوسيلة من الوسائل الماكرة والموجعة والفعّالة، وهم يستخدمون هذه الوسيلة بطريقة ذكية تجعلهم في مأمن من غضب المجتمع.

---

(١) الشيخ عبدالعزيز بن باز، نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع، المكتب الإسلامي، ط ٤ سنة ١٤٠٠ صفحة ١٠ ـ ١١.

إنّهم يبـدون للنـاظر أفرادًا لا رابطة بينهم ولا علاقة، مما يصعب معه كشفهم والتنبـه إلى خططهم ودسـائسهم ومكـائـدهم، ومـا يحيكـونـه خلف الكواليس، ولذا فهم يعتمدون على فرد منهم أو أفراد في تنفيذ المشروع المراد تطبيقه على المجتمع، كالتعرض لإحدى القيم الإسلامية كما فعلوا مثلاً في قيادة المرأة للسيارة، أو التعرض لعالم من العلماء كما فعل القصيبي في رسائله، أو تطبيق نظام من الأنظمة كما فعلوا في تجربة الاختلاط في بعض مراحل «الإبتدائية»، أو الدعوة إلى أمر محرم، لتشكيك الناس، كإباحة فوائد البنوك الربوية التي أطلقها أحدهم.

إنهم يفعلون هذا الفعل بهذه الصورة ليضمنوا خط الرجعة كما يقال، فإن قبـل المجتمـع الفكرة رحبوا وصفقوا وأيدوا، وبدأوا يزيدون الفكرة ويطورونها لتبلغ مداها في التأثير، وإن رفض المجتمع الفكرة خنسوا وسكتوا وجعلوا ذلك تصرفـًا فرديًا، بل ربـما قادوا ركب المعـارضـة إمعـانًا في التلبيس والإضلال، والشواهد كثيرة.

الأسلوب الخامس: الحرب على الدعوة والدعاة إلى الله:

إنهم لما عملوا على إشاعة العَلمانية، علموا أنه لا يواجههم في عملهم إلا الـدعـاة الصادقون الذين يحملون رسالة الله، ويفهمون الإسلام فهمًا شموليًا ويبثونه بين المسلمين.

إن هذه العصـابـة قد ترضى بوجـود الإسـلام، ولكن إسـلام الـزوايا والخلوات، والمـوالـد، إسـلام الابتهـالات والمـدائـح، الإسلام الذي يذكي الروحانية المزعومة في الإنسان، دون أن يغير من أخلاقه ومعاملاته البعيدة عن الـدين شيئـًا. أمـا الفهم الشـامـل للإسـلام الذي يدخل المصنع والمدرسة والمستشفى والسـوق والوزارة والسفارة والبيت، فإنه يخيفهم ويهددهم، فلذا نصبوا مجانيقهم، فحاربوا هذا الفكر وحاربوا دعاته.

حاربوا هذا الفكر الممثل في دين الإسلام الشامل، فوازنوا بين المسلمين

والغرب في الحياة المادية، ونسبوا تطور الغرب إلى نبذ الدين وتخلف المسلمين إلى التمسك بالدين، فخرجوا بنتيجة يصرِّح بها بعضهم ويلمح بها آخرون، وهي وجوب إزاحة الدين عن طريق التقدم، يقول أحدهم عن حياته الأولى في أمريكا: «هناك الحنين إلى المجتمع القديم، ولكن الحنين هنا ولأول مرة تشوبه رغبة في تطوير المجتمع القديم، وإنقاذه من براثن التخلف»[1]. ويفسر التخلف بقوله: «كل خطوة نخطوها للابتعاد عن التخلف بأنواعه المادية والفكرية والاجتماعية والسياسية هو خطوة للتخلص من الهزيمة»[2]. ونحن قد نفهم أن يدرك تخلف المسلمين المادي وربما السياسي برؤية الغرب، ولكن هل الغرب متقدم أيضًا في الفكر وفي النواحي الاجتماعية؟! هذا مالم أفهمه إلا على التفسير الذي ذكرته أولاً، وهو نسبة التخلف إلى الدين لأنه مصدر هذين الأمرين عند المسلمين.

أما محاربة الدعوة والدعاة إلى الله فهي تتمثل في جوانب عديدة، نذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض الجوانب التي من خلالها يحاربون الإسلام وأهله:

السهم الأول: إثارة القضايا الخلافية:

لتنفيذ هذه الخطوة، ندبوا بعضهم ممن هو متخصص في الشريعة وعلومها، كعلي عبدالرازق في مصر وغيره إلى إثارة القضايا الخلافية وتضخيمها، ليشوش على المسلمين دينهم، فيبدوا دينًا مضطربًا غير مستقر لا يتفق العلماء فيه على رأي، فيضعف الحماس له والقناعة به في نفوس السذج وضعاف الإيمان، وإذا لم يجدوا متخصصًا في الشريعة لإثارة هذه القضايا، تصدى لها منهم رجل لسن، كثير الجدل والمراوغة، ولو كان ضعيفًا في علوم الشرع، فيضرب النصوص بعضها ببعض، وينبش الأقوال الشاذة، والمذاهب الباطلة فيطرحها للناس على أنها أقوال كبار العلماء أو جمهورهم، وسيأتي لهذه النقطة زيادة بيان إن شاءالله تعالى.

---

(١) د. غازي القصيبي، سيرة شعرية، مطبوعات تهامة، ط ٢ سنة ١٤٠٨هـ صفحة ٦٥.

(٢) المرجع السابق ٨٣.

السهم الثاني: تمييع الدين:

ثم عمدوا أيضًا إلى تمييع هذا الدين باسم سهولة الدين ويسره، وحق كل فرد في أن يتكلم فيه، لأنه دين لا يعرف الكهنوت، والاتكاء على بعض القواعد الشرعية كقاعدة المصالح المرسلة، واختلاف الفتوى باختلاف الأزمان والأحوال والأمكنة والعوائد، وصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان، دون بيان لضوابط هذه القواعد وكلام العلماء فيها، ولكن من أجل تمزيق الدين وتجزئته، وفتح المجال فيه لكل من دب، حتى أصبحنا نرى المطربين والممثلين والممثلات لا يتحرجون عن الفتوى، فضلاً عن الكتّاب والصحافيين ممن لا يقيمون قراءة القرآن، فضلاً عن السياسيين وأصحاب المناصب الذي يرى أحدهم أن من حقه أن يقول ما شاء متى شاء فيما شاء، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

ولقد استخدمت هذه العصابة أسلوب الحوار الهادىء والمناقشة العقلية، لتدلف إلى هذا الباب، وإن كان بعضهم يصرح ظاهرًا أنه لا نقاش حول الشريعة، لكنه ما يلبث أن يتناقض، فيستحل ما حرمه، ويناقش فيما زعم أنه لا نقاش حوله، ومنشأ هذا التناقض من عدم صدق الرجل فيما أظهره، فقد تناقل عنه الناس قوله: «وإننا لنتطلع إلى مرحلة يكون كل شيء فيها قابلاً للنقاش» كما في الفاكس المشهور.

وهذه العصابة لا تكتفي بالهجوم على المنهج، بل تهاجم أيضًا رجاله ودعاته، وتكيد لهم مكائد عدة، لصرفهم عن الدعوة وتعطيل أو إعاقة سير الدعوة.

إنّهم يشنون حربًا لا هوادة فيها على كل من يحمل مشعلاً للعلم، أو يرفع راية للدعوة، أو يسلك طريقًا للإصلاح.

إنهم لا يفرقون في هذه المرحلة بين الناس، فكل من انتسب للعلم الشرعي أو الدعوة فهو عندهم الرجعي، المتخلّف، المتزمّت، المتشدِّد الذي

يقف حجر عثرة أمام خطوات الرقي والتقدم، وهذه العبارات هي معنى كلمة السفهاء التي أطلقها أسلافهم من المنافقين ﴿أنؤمن كما آمن السفهاء﴾. [سورة البقرة، الآية: ١٣]. وهم إنّما يأتون بهذه الكلمات يقصدون بها سبّ الدين والتنفير من أهله، ولكنهم يجبنون عن التصريح باسم الدين خوفًا من غضب الناس عليهم.

وهم بعد أن يقوموا بالمهمّة الأولى، يعمدون إلى العلماء وطلبة العلم ورجال الدعوة فيحصرونهم في أضيق الدوائر، فهم أعني - رجال العلم والدعوة - محجوبون عن وسائل الإعلام المؤثرة إلا في حدود ضيقة، محاطة بموانع من الزمان، وطريقة العرض وأسلوب الأداء تضعف فائدة ما يلقى على الناس.

وهم أيضًا محجوبون عن المناصب الحساسة، التي يمكن من خلالها تنفيذ البرامج التي تعود فائدتها على الناس في دينهم ودنياهم.

وهم محجوبون ثالثًا عن إيصال نصائحهم واقتراحاتهم وبرامجهم إلى المسئولين عن القطاعات العامّة، ويحجبهم في هذه الحالة بطانة السوء، التي تمنع وصولهم ووصول ما يريدونه، أو تُذهب جدواه إن وصل بالتلبيس على المسؤول بأكاذيب يتهم فيها هؤلاء الدعاة بسوء القصد، وعدم الإدراك، والمبالغة في التصوير.

وإنها لحقيقة مرة أن تنظر في مجالس الوزراء عبر العالم الإسلامي، فلا تجد من بين أعضائها وزيرًا عالمًا فقيهًا عاملاً ناصحاً صادعًا بكلمة الحق، مع أن بعض الدول يوجد بها من هؤلاء العلماء من هو في مرتبة الوزير رسميًا، لكنك تجد أمثاله ممن يحملون مرتبة الوزير بلا وزارة يحضرون جلسات مجلس الوزراء، أما هو فلا يحضر، وتسأل عن السبب فلا تجد جوابًا إلا ما ذكرت لك آنفًا فالله المستعان.

السهم الثالث: التضييق على المؤسسات الدينية:

إذا نظرت إلى المؤسسات الدينية عبر العالم الإسلامي، وجدتها تنحصر فيما يلي:

أ - الكليات والمعاهد الشرعية.

ب - مؤسسات الإفتاء والبحوث الإسلامية ومجامع الفقه.

جـ - إدارات الدعوة والإرشاد.

د - هيئات الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

هـ - المحاكم الشرعية.

ز - وزارات الأوقاف والشئون الإسلامية.

وهذه المؤسسات سواء كانت حكومية أم خيريّة تلاقي من العنت والتضييق عبر العالم الإسلامي الشيء الكثير.

تضييق في الموارد والإمكانات المالية، وهي العصب الحسّاس الذي تعتمد عليه المؤسسات في توفير الطاقة البشرية وتنفيذ المشروعات.

ثم تضييق في الصلاحيّات ومجالات العمل، حيث لا يترك للقائمين عليها حرية الابتكار والتجديد والتعامل مع الظروف المحيطة بحسب ما تحتاجه.

فإذا ضيق على أي مؤسسة في هذين الأمرين فقد خنقت، وأحيل وجودها إلى شبه العدم، فكأنها لم تقم.

ودعني أضرب لك مثلين من واقعنا القريب، لتعلم صدق ما قلته وما أكثر الأمثلة:

أ - الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد: من أهم المؤسسات الدينية في البلد، وهي تقوم بتوزيع الكتب الموثقة التي ترشد المسلمين وغيرهم، فإذا علمت أنها لا تملك المطبعة التي تملكها الجامعات السعودية - وهي دونها في المهمة - وتملك بعض الوزارات من المطابع قريبًا من الخمس، أصابك العجب من هذا الأمر!!

ب ـ **أما المثل الثاني فهو هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: وما تعرضت له منذ أنشئت من سلب لبعض صلاحياتها، وما تتعرض له إلى اليوم من عتاب ومتابعة، ومؤاخذة فيما تقوم به من أعمال، وما يتعرض له أعضاؤها من ملاحقة، وتحقيق وفصل وعقوبات رسمية بالنقل ونحوه، يدل ذلك على أن وراء الأكمة ما وراءها!!

السهم الرابع: التضييق على منابر الدعوة:

لم يبق من منابر الدعوة في هذه الأيام سوى الكتاب الذي يلقى صاحبه العنت في فسحه والإذن بطبعه، ثم الشريط الذي يعده العلمانيون الآن كالمواد المتفجرة، فيراقب أعظم مما تراقب هذه المواد، ويتابع أكثر مما تتابع المخدرات، وثالثها المحاضرة وهي تحتاج إلى إذن وسؤال عن محتواها وعن ملقيها، وأخيرًا خطبة الجمعة التي حدّث فيها عن ملاحقة الخطباء ولا حرج.

وأنا أجزم أن وراء هذا السهم من العلمانيين من يبريه، لأن الذين يتابعون في الظاهر مسلمون طيبون ـ في الغالب ـ يعملون ذلك بحكم وظائفهم، لكن من الذي يدفع هذه القضية لتأخذ بعدًا أكبر، ويصور الأشرطة والمحاضرات والخطب والكتب على أنها بعبع مخيف يهدد الأمن، هذا الذي يجب أن يبحث عنه فيكشف ويفضح، ويحذر منه حكام المسلمين.

السهم الخامس: إثارة القضايا الفرعية:

أما السهم الخامس في جعبة هذه العصابة لحرب الدعوة والدعاة فهو إثارة قضايا فرعية، والدخول مع العلماء والمشايخ في معارك وهمية، ظاهرها إرادة الحق والبحث عن الصواب، وباطنها إشغال هؤلاء العلماء بهذه القضايا عن قضايا الأمة الكبرى.

وهم بعد إطلاق هذه السهام الخمسة، يرون فئة كبيرة من العلماء والدعاة تكسَّرت السهام دونهم، وتجاوزوا هذه المرحلة دون أن يُخدشوا، فتبدأ هذه

العصابة مرحلة أخرى من الكيد.

فتتهم طائفة منهم بالغلوّ والتشدّد والتضييق على الناس، وتسميهم الغلاة الجدد، وهواة التحريم، والمتنطعين.

وتتهم طائفة أخرى بالسّعي إلى السلطة، وإثارة الفتنة، والدعوة إلى حرب أهلية، ومحاولة إضعاف الحكم، وتأليب الرعيّة على الراعي، ونحوها من التّهم المعلّبة الجاهزة التي ما فتئنا نسمعها عبر العالم الإسلامي.

وهم يحاولون ـ إمعانًا في الكيد وإيغالاً في الدسيسة ـ أن يربطوا بين العلماء والدعاة، وبين الأخطاء التي وقعت في المجتمع الإسلامي كحادثة الحرم سنة «١٤٠٠هـ» أو ثورة الخميني وهذا من أبرز ما نسمعه في بلادنا.

وهم مع هذا يحرصون على رصد كلام الدعاة وتصيّد بعض الأخطاء اللفظية وتحجيمها، أو تفسيرها بخلاف ما يريد قائلها، ليقوموا بعد ذلك بتعريض هذا الداعية للإيذاء، من إيقاف، أو تحقيق، أو إهانة، أو سجن، وأحوال الدعاة في العالم الإسلامي تنبئنا عن ذلك، ولا عجب مع هذا الكيد من صبر العلماء وتحملهم، وكيف لا يصبرون وهم الذين قال الله لهم: **﴿وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئًا إن الله بما يعملون محيط﴾**. [سورة آل عمران، الآية: ١٢٠].

ولا عجب أيضًا من صراحة هؤلاء العلماء وصدعهم بكلمة الحق، مع نفاق خصومهم وتظاهرهم بالدفاع عن الإسلام والغيرة عليه، لكن هؤلاء العلماء والدعاة يصرون على الصراحة، لعلمهم بأن الحق يعلو ولا يعلى عليه، وأنه ولو طال الزمان فلا يثبت إلا الصحيح **﴿فأما الزّبد فيذهب جفاء وأمّا ما ينفع النّاس فيمكث في الأرض﴾**. [سورة الرعد، الآية: ٧١].

الأسلوب السادس: الحرص على خلخلة كيان الأمة، وإحداث الفتن الحسية والمعنوية التي تضعف الأنظمة القائمة التي يرمونها بالرجعية:

وهـذا الأسلوب المـاكر هو من آخر الأساليب التي يستخدمونها بعد أن يقطعوا شوطًا كبيرًا في المراحل السابقة.

فهم بعد أن نشروا الفاحشة حتى أصبح معظم الشعب ألعوبة في أيديهم يصرفونه كيفما شاءوا بل أصبح يسعى جهده لتحصيل شهوته، ويمقت من يحول بينـه وبينهـا، ثم قامـوا بعزل الدعاة والعلماء، وهـم عوامل التقويم والمحافظة والعـلاج عن رجـال السلطة وبـدأوا بعـد ذلك في العمل ضد هذه السلطة القـائمـة لتشـويه صورتهـا وخلخلة أركانها، ويسيرون في هذا السبيل مسير أسلافهم من المنافقين الأوائل، الذين حذرنا الله منهم فقال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون**﴾. [سورة آل عمـران، الآية: ١١٨]. وقـال سبحانه: ﴿**وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به**﴾. [سورة النساء، الآية: ٨٣]. وقال: ﴿**لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سمّاعون لهم والله عليم بالظالمين، لقد ابتغـوا الفتنـة من قبـل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون**﴾. [سورة التوبة، الآيتان: ٤٧، ٤٨]. وهم في هذا الأسلوب أهل مكر وحيلة ومراوغة ودجل، فلنتعرف على عملهم في هذا الأسلوب.

إنهم في هذه المرحلة قد اتخذتهم السلطة بطانة من دون المؤمنين، ولاحظ قولـه تعالى: ﴿**من دونكم**﴾. مما يفيد أنهم يحولون بين المسلمين بعضهم عن بعض، فهؤلاء كالحـاجـز بينهم، وهذه البطانة بلا شك تعرف أسرار النظام، ومواطن ضعفه، والمخالفات، والتجاوزات، والأخطاء، فهي تسرب هذه الأمور بطرق غير مشعور بها ولا منظورة، حتى يفقد الشعب ثقته بقادته ولاحظ قوله تعالى: ﴿**أذاعوا به**﴾. وهي توحي بتضخيم هذا الأمر وإعطائه أكبر من حجمه

ليؤدي دوره في الإثارة والخلخلة.

ومن أعمالهم في هذا السبيل، اقتراح كل ما يؤدي إلى اضطراب القرارات وعدم تركيزها، ويؤدي في الوقت ذاته إلى عنت الناس والمشقة عليهم، فبسبب كيدهم، تكثر السلطة من القرارات المرتجلة، وبخاصة تلك التي لها علاقة بالشعب كالضرائب والرسوم والإتاوات والأسعار ونحوها، فيضجُّ الشعب لهذه القرارات، فتتراجع السلطة بعض التراجع، فتبدوا في نظر الشعب مضطربة غير مهتمة بالناس، متهمة بالتضييق عليهم واستغلالهم، وفي هذا مالا يخفى من بذر روح الكراهية في نفوس الناس للسلطة القائمة، وهم في هذا السبيل يبدأون في زرع الشك في نفوس القائمين على الدول من شعوبهم، فيشككونهم في كل تصرف، ويخوِّفونهم من كل تحرك، فلا يكاد يقبل لهذا الشعب رأي، ولا ينظر له في اقتراح، فيخلو الجو لهؤلاء، فلا يصدر المسؤولون حينئذٍ إلّا عن رأيهم، ولا يتصرفون إلا بمشورتهم، أما رموز الشعب ومفكروه وقادته وعلماؤه ودعاته، فيسلط عليهم الجواسيس والعملاء، فترصد تحركاتهم وتحلل أقوالهم، ويظن بهم سوء الظن، وهنا يحدث الشك المضاعف، شكُّ السلطة في إخلاص الشعب، وشك الشعب في صدقها وعدالتها، فتتأزم الأمور بينهما، وهذه العصابة تقف بعيداً تنتظر النتيجة لتعيد حساباتها وتقوِّم مواقفها.

وما يزالون يكيدون ويحفرون الخنادق، حتى يضجّ الشعب كله، فأهل الفسق يقولون: قد خنقنا وصودرت حرياتنا ومنعنا من شهواتنا، وأهل الصلاح يقولون: ليس هذا هو الإسلام الذي جاء به القرآن.

فلا يزال الشعب يغلي وهو لا يملك حيلة ولا وسيلة، حتى تحدث الكارثة التي يتمنونها، والمصيبة التي يتوقعونها فيسقط النظام، وتعال انظر بعد ذلك من يستغل الحدث ويستثمر الفرص، ويقوم على أنقاض النظام، وحال العالم الإسلامي شاهدة على ذلك.

هؤلاء هم العلمانيون، وهذه صفاتهم ووسائلهم وأساليبهم في العمل،

إنهم يتميـزون بالمكر والخداع والمراوغة والكذب، وليس هذا سبب نجاحهم وإنما سببه ما يتصفون به كما ذكره أحدهم من الصبر والتخطيط الهادىء، والتنفيذ الذكي، وعدم مجابهة الناس بما يكرهونه، واتباع سنة التدرّج.

فما الذي ينبغي أن يفعله المسلم تجاه هذه العصابة المجرمة العميلة؟

أو ما هي توجيهات القرآن الكريم لمواجهة هؤلاء المنافقين؟

وسائل مواجهة العلمانيين

لقد شرع الله وسائل عدة لعباده المؤمنين ليواجهوا بها هذه العصابة الماكرة، فمنها:

أولاً: الحذر منهم:

إن الله سبحانه وتعالى بيّن أولاً عداوتهم للمؤمنين، بل حصر العداوة فيهم لخبثهم، ثم أمر بعد ذلك بالحذر منهم، فقال تعالى: ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾. [سورة المنافقون، الآية: ٤].

فيجب الحذر من هذا العدو الشرس بمختلف أنواع الحذر، فلا يتخذ منه أولياء، لأن الولاية لا تكون إلا بين المؤمنين قال تعالى: **﴿فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليًا ولا نصيراً﴾**. [سورة النساء، الآية: ١٩]. فنهى في هذه الآية عن موالاتهم ثلاث مرات تأكيدًا للتحذير منهم، إذ ليس في ولايتهم للمؤمنين أدنى خير أو نفع.

ومن هذا الباب **النهي عن اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم﴾**. [سورة آل عمران، الآية: ١١٨). إذ في ذلك معنى الولاية والموالاة، **وكذلك الأمر بعدم طاعتهم** في قوله تعالى: **﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليمًا حكيمًا﴾**. [سورة الأحزاب، الآية: ١]. **والأمر في هذا للمؤمنين أيضًا**، فلا يستشارون ولا يُوَلَّون مسئولية بحيث يكون لهم الأمر على المسلمين.

ثانيا: عدم نصرتهم وعدم الدفاع عنهم:

ومع الحذر منهم بمختلف وسائط الحذر، **يجب عدم نصرتهم وعدم الدفاع عنهم**، كما أمر الله سبحانه بذلك نبيه محمداً، ﷺ، في قوله: **﴿ولا تجادل عن**

الـذين يختـانـون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانًـا أثيمًا﴾. [سورة النساء، الآية: ١٠٧]. فقد يلجأون إلى أحد المسلمين من ذوي الوجاهة سواء كان عالمًا أو تاجـرًا أو حاكمًا أو نحوهم، ليكون ردءًا لهم ومدافعًا عنهم، متخذين لإقناعه مختلف الذرائع والحيل، فيجب على المسلم أن يكون كيِّسًا فطنًا، لا تُمرَّر عليه الألاعيب وهو لا يشعر.

ثالثا: إرهابهم:

وبعد الحذر وعدم النصرة لهم والدفاع عنهم، يوجِّه القرآن إلى أسلوب **ثالث** فعال، وهو إرهابهم كما في قوله تعالى: **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾**. [سورة الأنفال، الآية: ٦٠].

فيشمل الإرهاب إعداد الجيش القوي المسلح الذي يتفوق على جيوش الأعداء فيخيفهم، ويقطع قلوب المنافقين في أجوافهم.

والمتـأمـل في الجيوش الإسلامية اليوم يلحـظ عدم وجود الجيش القوي المتكامل، بسبب كيد هؤلاء العلمانيين في إضعاف قوة المسلمين وعدم تقدمهم في هذا السبيل، لأن كثيراً من حكام المسلمين لا يخرجون عن مرادهم إن لم يكن الحكم في أيديهم.

كما يشمل الإرهاب تقوية الجبهة الداخلية للمسلمين وترابطهم وتعاونهم وتـطهير المجتمع من أنواع الفساد الإداري والخلقـي، والضرب بقوة على يد المفسدين للأفكار والأخلاق، وقطع دابرهم، وإسكات أصواتهم، والقضاء على نشاطهم.

رابعا: جهادهم:

وبعد الإرهاب والتخويف يأتي **دور الجهاد، فيأمر الله بجهادهم والإغلاظ في ذلـك** كما قال تعالى: **﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾**. [سورة التوبة، الآية: ٨٣. والتحريم، الآية: ٩]. والمراد

بالجهاد هنا: جهادهم باللسان كما بين ذلك العلماء وذلك في حق غير الإمام، أما في حق السلطان فيشمل قطع دابرهم وإقامة الحدود عليهم، ومن أظهر الحدود حد الردّة، وكذلك مختلف التعزيرات التي تقطع دابر النفاق، فيدعون أولاً بالحسنى فإذا ظهر من المدعو العناد والظلم، فلا مانع من الإغلاظ عليه كما دلّت الآية، فإن هذا له حكم آخر ففي الإمكان تأديبه بالسجن أو غيره حسب مراتب الظلم[1] بل القتل قد نص عليه القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿**فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم**﴾. [سورة النساء، الآية: ٨٩]. بل قال بعض الفقهاء: إنه يقتل حتى ولو أظهر التوبة، لأنه لا تعلم توبته، لأن غاية ما عنده أنه يظهر ما كان يظهر، وقد كان يظهر الإيمان وهو منافق، ولو قبلت توبة الزنادقة ـ يعني المنافقين ـ لم يكن سبيل إلى تقتيلهم والقرآن قد توعد بالتقتيل[2].

ولا يثار إشكال أن الرسول كان يعفو عنهم ويصفح، فكثير مما كان يحتمله من المنافقين من الكلام وما يعاملهم من الصفح والعفو والاستغفار، كان قبل نزول براءة[3] ومعلوم تأخر نزولها، حيث أمر فيها بجهادهم والإغلاظ عليهم، ونهى عن الصلاة عليهم والاستغفار لهم.

فأمّا العلماء والدّعاة والقادرون من طلبة العلم، فيجب عليهم جهاد هؤلاء باللسان والقلم، ومختلف أنواع البيان، فيماط اللثام عن وجوههم الكالحة، وتلقى الأضواء على وظيفتهم التي يسَّرها الاستعمار لهم، ووقف بعيدًا ينتظر نتائجها المرة[4].

ولا مانع من الجهر بأسمائهم وتعيين أشخاصهم، إذا تبينت الأحوال وتظافرت القرائن وتوفّرت الوثائق، وظهر من خلال أقوالهم أو أعمالهم ما يدلّ على

---

(١) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة ٢٦، ٤٠.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٧/٢١٥.

(٣) شيخ الإسلام ابن تيمية الصارم المسلول ٢٠٥.

(٤) عودة الحجاب، القسم الأول ٦.

سوء القصد، وخبث النية، وإشاعة الفاحشة، ونشر الفساد، والتهيئة للباطل وحرب الحق.

ومن عجيب أمر بعض النـاس ـ حتى من طلبة العلم ـ أنهم تأخذهم بأولئك الهدّامين رأفة في دين الله، وينكرون على من يكشف كيدهم قائلين: وما يدريك لعلهم تابوا، ففلان حج أو اعتمر، وفلان بنى مسجدًا، وفلان أعلن أنه يستمع إلى إذاعة القرآن الكريم، وفلان كذا، وفلان كذا من أعمال الخير.

نقول: هذا فهم قاصر لمعنى التوبة في حق هؤلاء، فإن من شروط توبتهم أن يتوبوا عن مظالمهم، ويقلعوا عن غيّهم ويتبرأوا مما بدر منهم في حق دين الحق ويندموا على ما بارزوا به الإسلام والمسلمين، ويعلنوا ذلك أمام الملأ[1].

وقد بيّن الله شروط توبة هؤلاء في قوله تعالى: ﴿**إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله**﴾. [سورة النساء، الآية: ١٤٦]. فما لم يصلحوا ما أفسدوه في كل شيء بحسبه، فلا تعد توبتهم ولا تعتبر، فإن كان فسادًا عمليًّا كنظام أو نحوه عُدِّل وصُحِّح، وإن كان قوليًّا كالفكر ونحوه أُعلن أمام الناس ـ ممن بلغه ذلك ـ التراجع عنه وبيِّن خطؤه.

أما مجرد الاعتذار باللسان، فلا يكفي كما قال تعالى: ﴿**يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم**﴾. [سورة التوبة، الآية: ٩٤]. فلا يجوز قبول عذرهم من النفاق، بل يجب الشكّ فيهم وفي تصرفاتهم وحملها دائمًا على المحمل السيء، بخلاف تصرفات المؤمنين.

وقد يقال لعلهم تابوا ولكن حيل بينهم وبين إعلان ذلك؟

فنقول هذا محتمل.. والخواتيم مغيَّبة، فلهذا كان من أصول أهل السنّة عدم الحكم لمعيَّن بالجنة أو النار إلا بالنصِّ.

ولكن هذا لا يمنع من إجراء أحكام الإسلام على من أظهره، وأحكام الكفر على من أظهره، وانشرح صدره به ولا يمنع أيضًا من التحذير من ضلال

---

(١) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة ٥٥ ـ ٦٦.

الضالين وتلبيس الملحدين وإفساد المفسدين، إذ إن ذلك من واجبات الديانة[1].

خامسا: الصبر والتقوى:

ومن آخر الأساليب التي شرعها الله لمواجهة هذه العصابة وهو الأسلوب الخامس، وذلك في وقت تسلطها وزمن انتفاشها وعهد استيلائها على زمام الأمور، هو تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ عباده المؤمنين من شر هؤلاء وكيدهم بشرطين هما: الصبر، والتقوى كما قال تعالى: **﴿وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئًا إن الله بما يعملون محيط﴾**. [سورة آل عمران، الآية: ١٢٠]. فعلى قدر نقص هذين الأمرين في الأمة يزيد كيد هذه العصابة، ويعظم شرها، ويتفاقم خطرها، فهي دعوة للمؤمنين لتحصيل أسباب السلامة من كيد هؤلاء في الفترات الحرجة من تاريخ الأمة، حتى يزول هذا الكابوس، وتنقشع هذه الغمامة.

---

(١) عودة الحجاب، القسم الأول/٦.

هل يوجد في المملكة علمانيون؟

هذا السؤال يُعدُّ من السّهل الممتنع.

● **ولعل سهولته** تكمن في أن الإجابة عليه بنعم تعد من البدائة التي لا تحتاج أكثر من النظر للواقع ليكون ذلك دليلاً على صحة الإجابة.

● أما الامتناع فيه فيرجع إلى صعوبة التوثيق، وحاجته إلى شيء من التأنّي والجهد المكثّف والتدقيق في أقوال وأفعال من يُنسبون إلى العلمانية، لشدة حذر هذه الطائفة إذا كانت في محيط مسلم محافظ كمجتمعنا، فهي تخشى من الفضيحة، فتحتاط في الأقوال والأفعال، ومع الحاجة إلى التأنّي وبذل الجهد والتدقيق، يحتاج داخل هذا الغمار إلى الجرأة وعدم المواربة، لأن هذا المرض يحتاج إلى طبيب شجاع، لا يتأثر قلبه من توجّع المريض وشكايته، لعلمه أنه يعمل لصالحه ولو تألم حينًا من الدهر.

وقبل أن أدلف إلى هذا الموضوع، أقدِّم بمقدمة وجيزة هي كالأرضية لهذه القضية.

معلوم أنَّ هذه البلاد قد حُميت ـ بحمد الله ـ من الاستعمار فلم تعرفه ولم تعرف مشكلاته، كما حُميت ـ بحمد الله ـ أيضًا من الثورات والانقلابات الحمراء والبيضاء، وإن كانت بعض الأنظمة المجاورة لهذه البلاد في فترات سابقة قد حاولت تصدير شيء من هذه الثورات، إلا أنَّها كلها باءت بالفشل ورُدَّ كيد أصحابها في نحورهم.

وهذا لم يحدث إلا بفضل من الله سبحانه وتعالى ومنَّةٍ على هذه البلاد، ثم بالتفاف هذا الشعب حول قياداته الدينية والسياسية، التي ما زالت متكاتفة منذ قامت تلك المعاهدة بين الإمامين الجليلين محمد بن عبدالوهاب ومحمد بن سعود رحمهما الله تعالى.

فالعلماء يُوَجِّهون الحكام والأمراء فيما يقع من أخطاء، والحكام والأمراء يُقدرون العلماء ويستشيرونهم ويقبلون توجيهاتهم بصدر واسع.

لكن هذا الوضع لم يعجب أعداء الإسلام، فلجأوا إلى أسلوب يتناسب مع الوضع في هذا البلد، يجمع بين عدم مواجهة الناس ومجابهتهم، وبين التأثير الفعَّال لسلخ الناس عن دينهم وإبعادهم عن شريعة الإسلام الشاملة الكاملة.

وقد استخدم أعداء الإسلام لتنفيذ هذا الأسلوب عددًا من الطوائف عن قصد أو عن غير قصد:

أولها: طائفة العلمانيين الذين انسلخوا من الإسلام والتحقوا بركب الغرب أو الشرق، فهم يعتقدون أن الإسلام تجب إزالته لأنه لا يتناسب مع الحياة المعاصرة، وهي ما تعرف بالعلمانية الملحدة.

وثانيها: طائفة من العلمانيين المخدوعين الذين يعترفون بالإسلام كدين روحي ويقطعون علاقته بحياة الناس، ويسعون لتطبيق النموذج الغربي في حياة المسلمين، وهي ما تعرف بالعلمانية الدنيوية.

وثالثها: طائفة أصحاب الشهوات الذين يبحثون عن الكسب المادي من أي طريق، ولو كان عن طريق المعاملات المحرَّمة والبضائع المحرَّمة، أو يحبون شيوع الفاحشة ليشبعوا نزواتهم وغرائزهم، فيصيدون من يريدون عن طريق ما ذكرناه من وسائل الفساد.

بعد هذه المقدمة أعود معك أخي القارىء إلى استعراض بعض الأمثلة من أقوال وأفعال هذه الطائفة، ـ أعني العلمانيين ـ وإن كان قد مرَّ معنا في أثناء الحديث عن أساليب العلمانيين أمثلة عديدة، يدرك معها صاحب البصيرة النافذة وجود هذه الطائفة، كما يدرك في الوقت نفسه خطرها.

والأمثلة التي سأسوقها الآن قلّة قليلة مما هو موجود في الواقع، لكني حرصت على الأمثلة الواضحة الصريحة التي لا تحتاج إلى تعليق، كما حرصت أيضًا على تنويع الأمثلة لتشمل القول والعمل، وحرصت ثالثًا على تنويع المصادر

من صحف ومجلات وكتب ودواوين ودراسات ومحاضر لجان ومشروعات إضافة إلى الممارسات الواقعية.

على أنّه ينبغي التنبيه إلى أن أصحاب هذه الأقوال والأفعال ليسوا بدرجة واحدة من العلمانية، ففيهم العلماني الملحد، وفيهم العلماني الدنيوي، وفيهم العلماني الشهواني، وفيهم ـ أخيراً ـ المخدوع بالعلمانية، الذي فتنه بريقها ولما يعلم حقيقتها، والذي استدرج إلى طرح هذه الأفكار عن طريق دغدغة مشاعر حب البروز والشهرة، حيث تضفى على من يسير في تيارهم الألقاب، ويفتح له المجال للنشر.

والذي يستطيع معرفة هؤلاء وتصنيفهم هو المتابع البصير لما يطرحه هؤلاء، وأنصح في هذا المقام بكتاب الأستاذ الكريم عوض القرني الموسوم بـ «الحداثة في ميزان الإسلام».

بعض المجالات التي تساعد على التعرف على هذه الفئات:

ولنعرض الآن بعض المجالات التي تساعد على التعرف على هذه الفئات:

أولا: الاستهزاء بالدين والتاريخ واللغة والأمة، والدعوة إلى الانفلات والتمرد على هذه كلها:

ومن أمثلة هذا المسلك قول أحدهم: «ومهما يقال إن تلك المصطلحات منقولة من الغرب، إلا أن لها شمولها الإنساني وصياغتها العالمية التي تناسب كل لغة.

ومن هذه المصطلحات على سبيل المثال: الدارونية التي تعتبر كشفًا لتطور بعض جوانب الكائن الإنساني، وكذلك العلوم الميثولوجية تعد كشفًا لأصول العقائد، وهذه المصطلحات في جملتها تفصح عن منهج جديد واضح ومحدد، يستلهم العقل والتجربة في ربط المقدمات بالنتائج، والعلة بالمعلول، ولذا فإن هذه المصطلحات في مجموعها، تكون رؤية علمية عقلانية، تستهدف الإثارة الكامنة للإنسان، وانتزاعه من براثن التقاليد الماضية» اهـ[1].

---

(١) مجلة اليمامة عدد ٩٠٦.

والدارونية يعرفها القراء لكثرة ما ضحك منها الناس، أما الميثولوجيا فهي نظرية تجعل الأديان من صنع البشر، فبعد أن كان الإنسان يعبد الطبيعة، تدرَّج حتى وصل إلى التوحيد لمعالجة ما يجده من قلق، وأترك للقارىء أن يبحث في تقاليدنا الماضية عما يخالف هاتين النظرتين ـ ولا إخاله يجد غير تعاليم الإسلام ـ ثم ليحكم على صاحب النص بما يراه.

ومن الأمثلة في هذا المقام قول **سعيد السريحي**: «من شأن قيام المنهج أن يؤدي إلى سقوط تحكم الأيدولوجيات المختلفة في إجازة دراسة ما أو عدم إجازتها، ذلك أن براءة وحيادية العلم لها من السلطان ما يحمي الدراسة» اهـ(١).

ويقول الغذامي: «الذي نعرفه نحن، أن من طبيعة الإبداع التمرد على كل ما هو سابق من قبل، وهذا السابق يشمل الأيدولوجية والفلسفة والمبدأ المقرر سلفًا» (٢).

ويقول سعد الصويان ـ في وصف هذه الطائفة ـ: «إنهم أناس آلمتهم أعناقهم من النظر إلى الخلف، ومن الطأطأة أمام سلطان التاريخ، وتجرحت معاصمهم من قيود العادة والتقليد، فحاولوا كسر الأغلال، وتجرأوا على رفع الرؤوس، إنهم أناس سئموا الركض في الطرقات المسدودة» (٣).

ويقول السريحي: «إن للشعر خاصة وللإبداع عامة نحوه الخاص، ولنجرؤ قليلاً فنقول إنه ضد النحو» (٤).

ومن قصيدة لمحمد جبر الحربي:

أرضنا البيد غارقة . . طوق الليل أرجاءها
وكساها بعسجده الهاشمي فدانت لعاداته معبدًا

(١) جريدة عكاظ عدد ٧٥١٧ في ١٤٠٧/٥/٢٦هـ.

(٢) جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ١٩٨٧/٣/١٠م.

(٣) مجلة اليمامة عدد ٨٧٩.

(٤) الكتابة خارج الأقواس ٤٩.

والنساء سواسية منذ تبت وحتى ظهور القناع
تشترى لتباع [1].

وفي هذا استهزاء واضح بالنبي الهاشمي، ﷺ، وبالحجاب الإسلامي.

ويقول الدكتور القصيبي:

تعالي دقائق نهرب فيها ... على زورق مبحر في صور
وحيدين نسمع رجع الضجيج ... فنضحك من فلسفات البشر
من الناس يخترعون الشقاء ... ويدعونه نكبات القدر
من الصابرين من الساخطين ... من المؤمنين بألا مفر[2]

ويقول أيضًا:

قال لي الشيخ الوقور.. أنا أعددت حجابًا
يهزم الجيش يبيد الطائرات.. معجزات
إخوتي لا تغضبوا إن قلت ما زلنا صغارًا
لم نزل نرضع نهد الأمس.. نمتص شعارًا فشعارًا
عندما نقتلع السور ونمشي في الرياح
سوف نرتد كبارا [3]

فهو يريد أن نقطع علاقتنا بالأمس كله، ونقتلع السور، وهي رموز يفهمها اللبيب.

ويقول أيضًا:

عالمنا.. هذا الذي نفر من شقائه
نضج من غبائه.. نلعنه لأنه يشرب من دمائنا

---

(١) مجلة اليمامة عدد ٨٨٧.
(٢) قصائد مختارة ١٩.
(٣) ديوان معركة بلا راية ٦٢ ـ ٦٣.

عالمنا - تدرين - شيء كامن

في عمق روحينا

فإن تمردنا تمردنا على بقائنا[1]

ولا أدري أيها القارىء ما هو العالم الذي في عمق روح المسلم غير الإسلام.

ويقول الدكتور عبدالله مناع - في ندوة المثقف السعودي ماله وما عليه، التي أقامها نادي جده الأدبي سنة ١٤٠١هـ -: «الإسلام حينما جاء حل التناقض، يمكن القول أيضًا بأنه قضى على المثقفين، ولكنه لم يهدف إلى القضاء على المثقفين كهدف في حد ذاته، ولكن الفكر الذي تقدم به، والحلول التي قدمها في شتى جوانب الحياة.. ربما ضمر معها دور المثقفين»[2].

ولعل القارىء يدرك من هو المثقف الذي ضد الإسلام، الذي حينما سيطر الإسلام عُدِمَ وضمر دوره.

ويقول الدكتور السابق - أيضًا -: «يوجد مثقفون في بريطانيا، في ألمانيا، وربما في اليابان، وموجودون في أمريكا.. فالمثقفون موجودون في شتى بقاع العالم، إنما المثقفون في العالم العربي غير موجودين»[3].

وأنا - شخصيًا - لا أعرف ثقافة يمكن أن توجد في العالم كله إلا في البلاد الإسلامية غير الثقافة المنفلتة من القيم الدينية، ولكنها مع الأسف موجودة حتى في بلاد المسلمين، وإن كانت - أحيانًا - لا تجرؤ على الظهور بحمد الله.

ويعلق أحد الحضور في الندوة المذكورة قائلاً: «علينا أن نوجد فلسفة فكرية تتفق مع حقيقة كياننا ووجودنا، ونقدمها كحل يقود مجتمعنا»[4].

---

(١) ديوان معركة بلا راية ١٢٢.

(٢) محاضرات النادي الأدبي بجدة المجموعة الثانية ٦٧٦.

(٣) المصدر السابق ٦٨٥.

(٤) المصدر السابق ٧٠٠.

وأتساءل معك أخي القارىء ولِمَ نتعب أنفسنا بإيجاد فلسفات فكرية والإسلام بين أيدينا؟

ويقول صالح العزاز: «خلقوا لنا همومًا تافهة، أشغلونا بوهم البث المباشر مرة، وخطورة الغزو الثقافي مرة ثانية، وأفلام الكرتون مرة ثالثة، ثم اختلفنا وافترقنا على طول الثوب وقصره، ثم جاءت موجة الحداثة لتكون السفينة الكبيرة»[1].

ويقول الدكتور أسامة عبدالرحمن:

وذبحت طارق تحت باب أميّة ... وصلبت عكرمة على الأخشاب
وطعنت مسلم تحت ركن صحيحه ... وشنقت كل مراجع الفارابي
أغرقت تحت الدجلتين مراكبي ... ورميت كل قصائد السياب[2]

هذه أخي القارىء نماذج يسيرة مما في الواقع في الجانب الأول وهو الاستهزاء بالدين والأمة والدعوة إلى التمرد عليهما.

ثانيا: الاعتراف بأنهم يسيرون عكس اتجاه المجتمع، وبأنهم يحاربون ويضيق عليهم وتكتم حرياتهم:

وهذا الأمر، وإن كان مفرحًا للمسلمين لأنه يدل على التزام مجتمعنا وتمسكه ونبذه للأفكار المنحرفة، إلا أنه يدل دلالة واضحة على أن هذه الفئة تعمل ضد المجتمع، وتدين بما لا يدين به الناس من حولها.

يقول أحمد عائل فقيه: «إننا في مجمل الأحوال نسير في اتجاه معاكس لما هو سائد ومكرس في بنية المجتمع، وذلك هو المأزق الثقافي الشائك.. إذ كيف يمكنك تمرير ما تحلم به وما تود أن تقوله علنًا»[3].

ويقول السريحي: «من شأن البعد الإنساني الذي تتسم به رؤيا الفنان،

---

(١) مجلة تجارة الرياض عدد ٣٣٦ في ٢٨/٣/١٤١١هـ.

(٢) مجلة اليمامة عدد ٦٩١ من مقال للدكتور القصيبي في الثناء على الشاعر.

(٣) جريدة عكاظ عدد ٧٣٧١ في ٢٨/١٢/١٤٠٦هـ.

أن يجعل انفصاله عن الجماعة أمرًا قدريًّا لا مندوحة له عنه، وإن آمن في ظاهر الأمر أو باطنه بكل أعرافها، وخضع لكل تقاليدها في حياته العامة»[1].

ويقول **أحمد الغامدي** ـ في رسالة نشرها عبدالله الزيد في اليمامة واحتفى بها وبكاتبها ـ: «ولكني محاصر بوسط لا تفهم لغته ولا تستطيع تعلمها، ومحاصر بأصدقاء يربضون في داخلي كالموروثات اللعينة التي لا تفارق عمق كل رجل شرقي»[2].

ويقول **تركي السديري** ـ في ندوة المثقف السعودي التي أشرت إليها سابقاً ـ: «من السيىء أن يكون في الدول النامية عملية اغتيال للثقافة، وتحجيم لها وتعتيم عليها»[3].

ويقول **حسن إبراهيم عتيق**: «ولكي يؤدي المثقف دوره لابد أن يحس بالاطمئنان، ويتمتع بالحرية المسئولة، لينتج ويمارس دوره القيادي بعيدًا عن القلق والتوتر والخوف على المصير»[4].

وفي لقاء مع شريفة الشملان قالت عن الرواية: «الرواية رصد وقد لا يكون هذا الرصد محايدًا، وقد تظهر خلاله أفكار عديدة، وهذه الأفكار يهاب الكاتب خروجها، لذا فهو يبحث عن الأسهل والأسرع والآمن في أحيان كثيرة»[5].

ويتكلم **الدكتور تركي الحمد** عن هذه الطائفة وهو يسميها بالطبقة الوسطى الجديدة فيقول: «هذه الطبقة الوسطى الجديدة، شرعيتها الاجتماعية تفرض عليها البحث عن خطاب إيدولوجي جديد، يتميز عن خطاب الآخرين، ويناقضه في كثير من الأحيان»[6].

---

(١) الحداثة في ميزان الإسلام ٥٦.

(٢) مجلة اليمامة عد ٩٠٧.

(٣) محاضرات النادي الأدبي بجدة المجموعة الثانية ٦٨٨.

(٤) صحيفة أخبار الجامعة عدد ٧ السنة الرابعة في تاريخ ١٤٠١/٥/١٥هـ

(٥) جريدة الرياض عدد ٨٤٢٤ في ١٤١٢/١/٧هـ.

(٦) جريدة الشرق الأوسط عدد ٤٣٨١.

وتقول الدكتورة عائشة المانع: ـ في افتتاحية رسالتها للدكتوراه ـ: «أتقدم بالشكر لوالدي الذي أرسلني للخارج، وشجعني على معرفة حقوقي كامرأة، كما أشكره على تحمل ما ينتج من جراء تمرد ابنته على المجتمع التقليدي».

ويقول الدكتور حمد المرزوقي: «الوطنية لا ترتبط بمفهوم التعصب الأعمى للميراث الثقافي والاجتماعي.. الوطنية هي الارتباط بالأكثرية التي تمثل الأساس الواسع للسكان.. وتحديد مفهوم هذا المصطلح ـ يعنى مصطلح التحرير الوطني ـ شائك ودقيق لأنه يتداخل مع مفاهيم سياسية واقتصادية واجتماعية وليس في قدرة كاتب هذه السطور تناولها، لكن كل ما يمكن هو تحديد مفهومها العام على أمل تناولها بصورة محددة حين يأتي الوقت المناسب»[1].

هذه النصوص تدلّ دلالة واضحة أننا أمام فئة تختلف تمامًا عن المجتمع، وتحس وتعترف بالاختلاف، فلذا هي لا تجرؤ على قول كل شيء، وتعمل على توسيع قاعدتها، ونشر أفكارها، والتمكين لأتباعها، ومحاربة أعدائها بكل السبل، حتى تتمكن في الوقت المناسب من قول ما تريده علنًا. إنهم يحاولون السيطرة على وسائل الإعلام، **يقول الغذامي**: «إن الحداثة تحتل ستة ملحقات أدبية في مطبوعاتنا الصحفية[2] وفي هذه الملحقات الأدبية وغيرها، لا ترى إلا أفكارهم وكتّابهم، يمدح بعضهم بعضًا، ويثني بعضهم على بعض، كما عبر عن ذلك الدكتور القصيبي بقوله: «إن الشللية مشتقة من شلة، حيث يكتب كل فرد من أفراد الشلة عن رفاقه ـ أهم مدارس النقد في العالم العربي»[3].

وهم في هذه الملحقات يجتذبون الأقلام الشابة، ويخدعونهم بالمدح والثناء، ويُغرونهم بالشهرة والبروز، وفي الوقت نفسه يحجبون كل رأي أو طرح مناقض لفكرتهم كما قال الأستاذ الكريم علي بن محمد العيسى واصفًا مسلكهم:

---

(١) أوراق وطنية ٢٦ ـ ٣٢.

(٢) جريدة عكاظ عدد ٧٤٨٩.

(٣) المزيد من رأيي المتواضع ٦٥.

«كثيرون يؤمنون بإتاحة المجال للرأي الآخر، إلى أن يصبحوا أصحاب الرأي الأول وبعد ذلك لا يرى سوى فكر أصحاب الرأي الأول»[1].

كما يقومون أيضًا في هذه الملحقات بإبراز رموز الحداثة والعلمانية في الخارج، من أمثال عبدالعزيز المقالح، وأدونيس، وعبدالوهاب البياتي، ومحمود درويش وصلاح عبدالصبور وغيرهم ممن تمتلىء دواوينهم وكتبهم بألفاظ الكفر الصريحة.

إنهم في سبيل زيادة التمكن والتمكين لأشياعهم، يستغلون ما يتولونه من مناصب في تقريب من يريدون من حملة الأفكار العلمانية، وإبعاد سواهم والتضييق عليه، ولعل ما اشتهر عن معهد الإدارة العامة من ذلك لا يخفى على الكثيرين.

ثالثا: العمل على إشاعة الفساد في المجتمع:

تعلم هذه الفئة أنها لن تتمكن من تغيير المجتمع فكريًّا إلا بعد إزالة هيمنة القيم الدينية من المجتمع، والفساد الاجتماعي ـ وبخاصة في مجال المرأة والأسرة ـ هو أهم ما يحطم تلك القيم أو يخفف من تأثيرها، ولهذا سعت بكل ما تستطيع من قوة وبمختلف الوسائل إلى تحقيق ذلك.

* فمكنت لتوظيف النساء بكثرة ودون مراعاة للضوابط الشرعية في مجالات يوجد من الرجال العاطلين من يمكن أن يقوم بها، وتجد ذلك ظاهرًا في الخدمات الصحية والخدمات الاجتماعية، حتى أصبح الاختلاط في هذه القطاعات ـ وبخاصة الصحية ـ موجودًا بكثرة وبدون مبرر، بل وصل الأمر إلى أن تعيّن امرأة مديرة للتوظيف سواء للرجال أو النساء، وأخرى رئيسة لقسم الإدارة القانونية وهو قسم تعامله ـ في الأعم ـ مع الرجال.

وقد كثرت شكايات الطالبات الصالحات في ثلاث جامعات من جامعات المملكة من سوء الحال وإشاعة الفساد، سواء فيما يتعلق بالتبرج بين

---

(١) حوار مع الأفكار ٣٥.

الطالبات أو حتى المدرسات، أو الاستهزاء بالدين ومضايقة المتمسكات بدينهن والتضييق على الأنشطة الإسلامية.

* ولعل أبرز البرامج التي ظهرت فيه نية الإفساد برنامج التطوع للتمريض في أثناء أزمة الخليج، حيث لقي هذا البرنامج من الصحف دعاية، ومن المسؤولين دعمًا وتشجيعًا لم يحظ به تطوع الرجال للجندية، فقد بلغت مراكز التطوع أكثر من (٧٠) مركزًا، كما بلغ عدد المتطوعات أكثر من (١٦١٢٠) متطوعة في أقل من شهر.

ولا أدل على القصد السيء في هذا المشروع من نشر صور المتطوعات في الجرائد، وتسليمهن أعمالاً في بعض المستشفيات قبل حدوث الحاجة لهن، ثم السعي لجعل هذا البرنامج دائمًا، كما حدث في مستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض.

* ومن المظاهر البارزة لإشاعة الفساد، المظاهرة النسائية التي خرجت تطالب بقيادة السيارة، لكنها بحمد الله فشلت وفشل سعي من حرّكها، إذ أن هناك من يخطط لها من رجالات العلمانية قبل وقوعها بأشهر، ومن الدلائل على ذلك، ما جاء في محضر إحدى لجان مجلس القوى العاملة، حيث ورد ما نصه: «ترى اللجنة أهمية تحديد مجالات وفرص عمل جديدة للمرأة السعودية في إطار الضوابط التي سبق لمجلس القوى العاملة تحديدها، كما لاحظت اللجنة الزيادة الكبيرة في أعداد السائقين من الأجانب.

ونظرًا لما تمثله هذه الظاهرة من خطورة، فإن اللجنة ترى إيجاد بديل لهذه الظاهرة يتعلق بقيادة المرأة للسيارة، سواء سعودية أو غير سعودية». وقد بلغت جرأة بعض هؤلاء أن يصدروا قرارات، بل فتاوى يمنعون بها الحجاب الإسلامي الذي جاء به الشرع، فقد أصدر أحد مديري مستشفيات جيزان قرارًا يمنع فيه الموظفات والمتدربات من ارتداء الحجاب، لأن الشريعة وكل تعليماتها لا تأمر بتغطية الوجه والكفين!!. وقد صدّق على هذا القرار مدير الشئون الصحية بالمنطقة.

* ويحسن أن نشير هنا ـ ولو كنا قد ذكرنا ذلك من قبل ـ إلى مضايقة الشريط الإسلامي الذي يُعد المتنفس الإعلامي الوحيد لدعاة الإصلاح، فقد قررت بعض اللجان رفيعة المستوى ما يأتي:

١ ـ منع أشرطة بعض الخطباء مهما كانت المادة المسجلة عدا القرآن الكريم حتى ولو لم يكن في بعض الأشرطة ما يلاحظ عليه.

٢ ـ مطالبة أصحاب المحلات بعرض أي مادة دينية مسجلة على وزارة الإعلام قبل التوزيع.
لاحظ كلمة (دينية) فقط.

٣ ـ مصادرة ما يباع أو يوزع خارج هذه المحلات سواء المساجد أو بيوت الأفراح أو البقالات أو غيرها مهما كانت المادة المسجلة (طبعًا الدينية فقط).

٤ ـ عدم السماح بوجود مكتبات للأشرطة في المساجد لإعارتها.

ولا تجد مثل هذه القرارات تتناول الشريط الماجن أو الفلم الخليع، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* ولو أردنا تتبع الأخطاء في الاقتصاد والإعلام والتعليم والصحة والسياسة والعمل الاجتماعي لطال بنا المقام، وليس مرادنا تتبع الأخطاء، لأن وجودها لا ينكره عاقل، إنما مرادنا أن نبين أن هناك من يستغل المسؤولية والمسؤولين، ويشيع هذه الأخطاء في المجتمع، ويدافع عنها، ويقف في وجوه المصلحين، ولكن بأساليب وحيل ماكرة، تمتص الغضب، ولا تحقق المطلب، وتجعل الناس لا يتهمونه بسوء النية، ولا بخبث الطوية، ولا أدل على هذا الأمر من تعطيل ثلاثة مشروعات من المشروعات المهمة التي يطالب بها المصلحون منذ أمد بعيد وهي:

أ ـ **جامعة للبنات**، تتلافى كثيراً من الأخطاء الواقعة الآن في الجامعات السعودية بسبب عدم وجود هذه الجامعة.

ب ـ **بنك إسلامي صرف**، يستثمر فيه المسلمون أموالهم بعيدًا عن المحرمات والشبهات.

جـ ـ مستشفى حكومي خاص بالنساء، يحفظ على المسلمات عوراتهن ويبعدهن عن الرجال.

فالذي يخطط لوقوع الخطأ، ثم يدافع عنه، ثم يمنع من يريد الإصلاح، ألا يتهم بسوء القصد، سواء قلنا إنه صاحب شهوة، أو صاحب شُبهة، أو علماني مع سبق الإصرار، مع جزمي بوجود هذه الأصناف الثلاثة في مجتمعنا ومن أبنائنا، **فلسنا خيراً من مجتمع النبي، ﷺ، وقد وجد فيه المنافقون أسلاف العلمانيين.**

* لعلك أخي القارىء اقتنعت نوعًا ما بما قررته لك، فها أنت تبحث عن دليل آخر يزيدك قناعة بهذا الأمر **فأقول لك أخي القارىء:**

لقد ابتعث في الستينيات والسبعينيات الميلادية مجموعة كبيرة من شباب هذه البلاد إلى الدول الغربية، ونتيجة لعدم وجود المتابعة الموجهة، والتأسيس الديني المتين، إضافة إلى ضعف النشاط الإسلامي الشعبي في تلك الفترة، فقد ذاب كثير من هؤلاء الشباب في المجتمع الغربي، وفتنوا بالغرب، وتلقفتهم المنظمات والتنظيمات اليسارية، فتربّوا على أفكارها، وقاموا بعد ذلك بإنشاء أحزاب ومنظمات معارضة للدولة السعودية، وأنا لا أكتب للمباحث والاستخبارات حتى أدون كل ما وصل إلى علمي من ذلك، لأنهم أعلم مني بهذه الأمور، وإنما أكتب للرأي العام ولعقلاء الأمة وقادتها ومفكريها، فلذا سأكتفي بالتمثيل لأبرز هذه المنظمات وبخاصة التي لا تزال تعمل حتى اليوم.

١ ـ **جبهة التحرير الوطني** أنشأها بعض الشيوعيين سنة ١٩٥٨م، وقد شاركت في محاولة انقلاب ٦٩ التي اكتشفت قبل تنفيذها بساعات، وفي عام ١٩٧٥م غيرت اسمها إلى **الحزب الشيوعي في السعودية**، وقد شارك الحزب في عام ١٩٨٦م في ندوة مجلة النهج بسوريا، التي أقامتها بسبب العدوان الأمريكي على ليبيا.

٢ ـ **الجناح السعودي لحزب البعث** وقد انشىء عام ١٩٥٨م، وكان في عام ١٩٦٣م أكبر تنظيمات المعارضة، لكنه انقسم في هذه السنة بسبب الصراع

على المستوى العربي بين الجناح السوري والجناح العراقي، وقد قبض على كثير من قياداته بعد محاولة انقلاب (٦٩)، وكان لهم مجلة باسم صوت الطليعة يدعمها العراق، ويوجد أحد قادته اليوم في العراق عضوًا في القيادة القومية لحزب البعث.

٣ ـ **الحزب الديموقراطي الشعبي** أسس عام ١٩٧٠م بعد عدد من اللقاءات بين ذوي الاتجاه الماركسي واللينيني، والقوميين ذوي الميول الماركسية، ولهم مجلة تسمى الجزيرة، وهو أول حزب يضم فرعًا للنساء[١].

ولابد من الإشارة بعد هذا، أن التيار العلماني ـ وبخاصة اليساريين ـ ربما أنهم غيروا استراتيجيتهم بعد وفاة الملك فيصل ـ رحمه الله ـ فآثروا تقويض النظام من داخله بدلاً من المصادمة المباشرة.

فقد تظاهر بعضهم بالتخلي عن انتمائه الحزبي، وربما تخلى بعضهم فعلاً، ولكن ظلّ متمسكًا بالفكر، ومما يؤسف له أن بعض هؤلاء قد أسند إليه مناصب قيادية حسّاسة، مما يشكل خطرًا على أمن البلد.

وقد عَلِمتَ قبل، أن كثيرًا من كتابهم بدأ يصرح ويتكلم عن ضرورة التغيير، بل يتكلمون عن دور هذه الطبقة في التغيير، وعن حركتها التطويرية التي تسعى إلى قلب الأوضاع في البلد، مستشهدين بالوقائع في العالم العربي، يقول تركي الحمد: «خاصة إذا علمنا أن النخبة الثورية المصرية، كانت في مجملها من المنتمين إلى الطبقة الوسطى الجديدة»[٢].

ولم تعد هذه الفئة سرًّا يتكتم عليه، فقد علم عنها الأعداء يقول الأمريكي نداف سافران المسؤول عن مركز الدراسات الشرق أوسطية في جامعة هارفرد الأمريكية «والخلاصة الرئيسة للدراسة هي أن طبقة وسطى جديدة قد برزت كتشكيل اجتماعي حيوي في العربية السعودية.

---

(١) عدنان العطار، الحركات التحررية في الحجاز ونجد.

(٢) جريدة الشرق الأوسط عدد ٤٣٨١.



بيـــــان هـــــام

في السادس من نوفمبر المنصرم الموافق ١٩-٤-١٤١١ قامت حفنة من عصابات الأرهاب ، التي تطلق على نفسها هيئات الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر باعتراض طريق بعض الرفيقات المناضلات وهن يقدن سياراتهن في مدينة الرياض ومن ثم حجزهن في مركز الشرطة لعدة ساعات.

وإن حزبنا إذ يعلن رفضه وإدانته الشديدة لممارسات الجهل والتخلف المتمثله في تلك الهيئات ، فإننا نشيد بنضال رفيقاتنا من أجل الحصول على المساواة والحرية ، ونعتبر ما قمن به جزء لا يتجزأ من نضالات المرأة العربية والعالمية.

أيتها الرفيقات والرفاق،

إن بداية الطريق خطوه ، وأنتن بمسيرتكن هذه قد بدأتن تلك الخطوة ، للتخلص من هذا الواقع المتخلف والتقاليد البالية التي كبلتكن بقيود كثيرة منعتكن من الإنعتاق والتطور. لقد آن الأوان لكي تنهضن وتحطمن قيود الإضطهاد الطبقي والجنسي ، لتلحقن بركب القوى التقدمية ، ولتحققن ما حققته رفيقاتكن في تونس ، حيث أجبروا السلطات على إصدار قوانين تلغي الفصل بين الجنسين ، و تقضي على الحجاب ، رمز التخلف.

إن المرحلة الحالية ، تعتبر من أصعب المراحل في تاريخ نضال المرأة الجزيرية ، حيث تتعرض جزيرتنا في هذه الإيام لتآمر إمبريالي بقيادة أمريكا ورجعي بقيادة العائلة المالكة وما يسمى بهيئة كبار العلماء الذين انحنوا لولاتهم واستعدادهم لإصدار الفتاوى الجاهزة والمضللة لخنق أي توجه وطني أو ديمقراطي يدعو إلى تحرر وتقدم وطننا.

ومن هنا فإننا نناشد الجمعيات الخيرية النسائية الوطنية والعربية والعالمية لرفع أصواتها ضد الظلم والطغيان الذي يمارس باسم ديننا وتعاليمه السمحه. كما نناشد لجان حقوق الإنسان والأمين العام للأمم المتحدة وكل صوت شريف في وطننا الحبيب وعالمنا العربي للتدخل لوقف الإنتهاكات والتجاوزات التي تمارس باسم قوى الجهل والتخلف.

إن حزبكم المناضل يناشد جميع الفئات والشرائح الإجتماعية الخيرة والشريفة من شعبنا لرفع مطالبها وإرسال البرقيات والعرائض الإحتجاجية والوقوف ضد هذا النهج المعادي لتراثنا الديني والإنساني. وإننا إذ نعلن أن فتاوى القوى الظلاميه لن تخيفنا فإننا نعاهد رفيقاتنا المناضلات أننا سنبدد ظلمات الجهل والتخلف ونستكمل المسيرة والنضال ضد العشائرية والرجعية والإستغلال والطائفية من أجل الحرية والتقدم والمساواة.

عاش نضال المرأة السعودية في سبيل حريتها وإنعتاقها.
عاش نضال المرأة الفلسطينية في مواجهة الإرهاب الصهيوني.
عاش نضال المرأة العراقية ضد الإمبريالية الأمريكية والرجعية العربية.
عاشت نضالات المرأة العربية من أجل المساواة والحرية والتقدم الإجتماعي.

حزب العمل الإشتراكي في السعوديه

---

٧ ـ بيان من أحد الأحزاب وزع بعد المظاهرة النسائية الموافق ١٩/ ٤/ ١٤١١هـ. في مدينة الرياض.

وقد لا يكون لهذه الطبقة مصلحة واضحة في المدى القريب في تغيير أو تدمير النظام السعودي الراهن، ولكن على المدى البعيد يتوقع أن تنشأ تناقضات جدية بين الطبقة الوسطى الجديدة وبين النظام».

والـذي يهمنا من كلام الباحث، هو الاعتراف بوجود هذه الفئة داخل المجتمع السعودي، لأننا لا نثق بتوقعه من أنه لا خطر منها على المجتمع السعودي ونظامه، إذ قد قال بعد هذه الكلمات «لعبت الطبقة الوسطى الجديدة في معظم المجتمعات النامية دورًا رئيسيًّا في الإطاحة بالأنظمة التقليدية».

هذا بعض ما يمكن أن يقال عن وجود العلمانيين في بلادنا، وهو وإن كان صريحًا موجعًا أحيانًا، إلا أنه السبيل الوحيد للكشف عن الداء، وإنما جرأني على كل ما قلته هو أني أخاطب النخبة من قادة الأمة وعلمائها وعقلائها ومفكريها.

ولعل سائلاً يسأل بعد ذلك فيقول:

ما الذي دعاك لطرق هذا الموضوع؟

هل أنكره أحد؟ أو شكك فيه؟!

فأقول: أي والله.. وهو أحد من ينتسب إلى الفكر والثقافة والشعر والسياسة.

فهذا الدكتور **غازي القصيبي** في رسائله المعنونة بـ «**حتى لا تكون فتنة**» يشنّ هجومًا على من يقول بوجود العلمانيين في السعودية، فتعال نتأمل أفكاره ونناقشه فيها.

فهـو ينفي وجود العلمانيين في المملكة مطلقًا فيقول: «ليس في المملكة علمانيون يطالبون بفصل الدين عن الدولة»[1].

ولعلنا وقد اقتنعنا بوجودهم، نصدِّقه في عبارته ونقول إنهم لا يطالبون، ولكن يعملون لفصل الدين عن الدولة أو العكس.

وهو ينكر على من يقول بوجود العلمانيين فيتهمه بأنه يريد تقسيم الأمة إلى

---

(١) مجموعة رسائل حتى لا تكون فتنة، الرسالة الرابعة ١٣.

علمانيين ومسلمين[1] ويقول: «أمة من المسلمين الموحدين المؤمنين تجمعهم قبلة واحدة، وبيعة لإمام واحد تقسِّمهم إلى علمانيين ومسلمين»[2].

وإذا كنت أشفق على الدكتور لإنكاره هذا الأمر المعلوم البيِّن الظهور، إلا أني ألفت نظره إلى أمر خطير في مجال العقيدة.

إنَّه بهذه العبارة جعل السعوديين أمة من المسلمين الموحدين المؤمنين، فلا مكان فيها لمنافق ولا كافر.

وهذا الكلام قد يعني أن هذا المجتمع خير من مجتمع المدينة النبوية في عهد الرسول، ﷺ، الذي جمع المؤمن والمنافق والكافر.

وهذه الزلة الشنيعة من الأخطاء التي يقع فيها العلمانيون وهم يشعرون أو لا يشعرون، يدفعهم إليها دعوى القومية أو الوطنية أو الدفاع المستميت عن أنفسهم، كيلا يُكشفوا ويُفضحوا، أو شهوة المنصب والرَّغبة في البروز.

وليته يكتفي بالإنكار فقط، إنه لم يكتف بذلك، بل نسب بعض العلماء إلى الجبن والخوف أو الجهل، لأنهم يتكلمون عن العلمانيين ولا يعرِّفون الناس بهم[3]، يقول مخاطبًا أحد العلماء تتحدث بكلام غير مسؤول عن مؤامرات علمانية تقودها جيوش من الأشباح لا وجوه لهم ولا أسماء لهم ولا وظائف لهم[4].

لكنه ـ هداه الله ـ في غمرة الدِّفاع المحموم عن هذه العصابة التي لا يجهل الناس وجودها، ينسى ما قرَّره قبل، بأنه اتهم المشائخ بالجبن لعدم بيانهم من هم العلمانيون، فيناقض نفسه ويتقول على المشايخ أنهم يريدون بالعلمانيين المجتمع كله أو بعض فئاته، إقرأ له العبارات الآتية:

«هل أصبح كل المواطنين يا أخي.. من العلمانيين سواك»[5].

---

(١) الرسالة الأولى ٢٣، والثالثة ١٥، ١٧.

(٢) الرسالة الأولى/٢٩.

(٣) الرسالة الثالثة ١٣.

(٤) الرسالة الأولى ٢٩.

(٥) الرسالة الأولى ٢٨.

«هل القائمون على شئون وزارة العدل من العلمانيين» [1].

«هل القائمون على شئون ديوان المظالم من العلمانيين» [2].

«ثلث الشعب السعودي. . نصف الشعب السعودي» [3].

«هل العلمانيون إذن هم كل من درس خارج المملكة»[4].

أقول للقُراء، ثم للدكتور: ليس العلمانيون هم من ذكرته في عباراتك الخمس السالفة ولا غيرها ولكن الله إذا أراد بعبده سوءًا أخرج على لسانه من العبارات ما يفضحه به ويجعله أضحوكة للناس، وعسى أن لا يكون فعل بك ذلك، فإن الناس ضحكوا منك على هذا المسلك أعظم مما ضحكوا منك على مجرد الإنكار.

إن هذا المسلك يُقصد به إثارة المجتمع ومن ذُكِرَ من فئاته ضد المشايخ الذين يتهمونهم بالعلمانية، وهي خطة ساذجة فاشلة، فالمجتمع يعرف المشايخ الذين نسب إليهم هذا الكلام وإخلاصهم، ويقصد به أيضًا تعمية العلمانيين وتغطية عوارهم بنسبة العلمانية إلى الشعب وبعض فئاته، فكأنهم لا يختلفون - أعني العلمانيين - عن سائر الناس، وهي خطة أفشل من سابقتها فالشعب بمختلف طبقاته يعرف العلمانيين ولو من خلال أفعالهم وأقوالهم، ويعلم المُفسد من المُصلح.

إن العلمانيين شواذ من حيث العدد، ومن حيث الصفات، نشاز في المجتمع، لأنهم يسبحون ضد التيار، فهم وإن خُدع بهم المسلمون حينًا، إلا أنّ فضحهم وكشف عوارهم يلقي بهم بعيدًا وينفِّر الناس منهم.

إن التهوين من خطر العلمانيين أو إنكار وجودهم أمر لا ينبغي أن يمرّ على اللبيب العاقل، وكذلك فإن تحجيم العلمانيين وتضخيمهم وتعظيم أمرهم،

---

(١) المرجع السابق ٢٨.

(٢) المرجع السابق ٢٨.

(٣) الرسالة الثالثة ٣٢.

(٤) المرجع السابق ٢٠.

لا ينبغي أيضًا أن يُسلَّم به.

إن العلمانيين يطمعون في الأمر الأوَّل، حتى يعملوا دون أن يشعر الناس بوجودهم.

فإن لم يمكن الأول قنعوا بالثاني، وحاولوا أن يجعلوا الأخطاء التي يرتكبونها عمدًا في حق الشعب، هي أخطاء الشعب كله أو معظمه، أو أبرز فئاته، أو الحكومة القائمة، حتى يقفوا في وجه من يتهمهم ويفضحهم بأنه يتهم الشعب أو الحكومة بالعلمانية، ولذلك نرى القصيبي حاول أن يثبت أن من يحارب العلمانيين فهو يحارب الحكومة، وأن العلمانية لا تُتصور إلا في الحكومات، اسمع بعض عباراته في هذا النسق، فهو يخاطب أحد العلماء بقوله: «اتق الله ولا تصمها بوصمة العلمانية فتطعنها في المقتل»[1]. ويقول: «تزعم أن رجال دولته من العلمانيين، وأن أنظمته علمانية، وأن إعلامه يحارب الدعوة إلى الله»[2]. ويقول: «وما دام لا يوجد في المملكة علمانيون، فلا يجب أن يوجد أصوليون يحاربون حكومة علمانية، بغية تطبيق الشريعة التي هي مطبقة بحمد الله»[3]. ويقول: «يقول أحدهم هناك أنظمة موجودة الآن تخالف شرع الله.. وهناك بعض الأنظمة فيها خير، ولكنهم حولوها إلى حبر على ورق.. وقد جرى في بعض صحفنا كفر صريح.. تعطيل تطبيق الشريعة في بعض الأماكن كالاقتصاد الإسلامي.. إن الكلام في الربا ممنوع.. أليس معنى هذا كله أن النظام أصبح علمانيًّا»[4].

كأني بالدكتور في هذه العبارات، يحاول أن يربط بين العلمانيين والحكومة، فمن تكلم فيهم فهو متكلم فيها.

---

(١) الرسالة الأولى ٢٨.

(٢) المرجع السابق ٣٠.

(٣) الرسالة الرابعة ١٣.

(٤) المرجع السابق ٢٢ ـ ٢٣.

والدكتور يعجز أن يثبت نقلاً موثقًا منسوبًا إلى أحد العلماء يقول فيه إنّ الحكومة علمانية، أو أن النظام أصبح علمانيًّا، لأن العلماء يعلمون من هي الحكومة ويعلمون من هم العلمانيون.

أما إن كانت أمنية للدكتور، فليعلم أنها ـ بإذن الله ـ لن تتحقق فحكومة هذا البلد قد أخذت لله عهدًا على نفسها أن تحيا بالإسلام، وأن تحكم شرعه وتطبق حدوده، والعلمانيون مهما أخفوا أنفسهم وانتسبوا للإسلام فسيبقون منبوذين من كل أحد، الحكام والشعب.

أعترف بوجود علمانيين في البلد، وقد يكونون من موظفي الحكومة وقد يكونون في بعض المسؤوليات، فهل يعدُّ اعترافي هذا وصمًا للحكومة بالعلمانية؟

عجبي من فهم الدكتور ـ إن كان صادقًا ـ ولنقس على هذا الفهم، لنرى كيف سيضحك الناس على الدكتور السفير!!

يوجد بين موظفي الحكومة موظفون فاشلون، فالحكومة إذن فاشلة!!

يوجد بين موظفي الحكومة موظفون يرتشون، ويقدِّمون الوساطات، فالحكومة حكومة رشوة ووساطة!!

يوجد بين موظفي الدولة عميان وصم وبكم، فالحكومة عمياء صماء بكماء!!

أرأيت كيف تؤدي المقدمات الخسيسة ـ كما يقول علماء المنطق ـ إلى نتائج خسيسة «خاطئة».

إذن ففهم الدكتور للحكومة على هذا النحو فهم خاطىء، أو متعمد للاستفزاز والكيد.

إن وجود عدد من العلمانيين في وظائف الدولة ـ ولو علت مراتبهم ـ لا يحوِّل الحكومة إلى علمانية.

فهم يظهرون الإسلام على الأقل ـ صدقوا في ذلك أو كذبوا ـ ولم تؤمر الدولة بشق صدورهم لتتبينَّ حقيقتهم، ثم هم يحملون خبرات وشهادات في

مجالات مادية، وقد عملوا بوسائل وأساليب تمكنوا بها من تسلُّم بعض المناصب، ثم قرَّب بعضهم بعضًا، ومكَّن بعضهم لبعض، وهم يعرضون ما يريدون - دائمًا - بأسلوب الناصح المشفق المحب للخير.

إن الأخطاء المتعمدة التي يرتكبها هؤلاء - ولو كبرت - لا تُحسب على الحكومة ولا تُحسب على النظام، بل تبقى في عداد الأورام والزوائد التي يجب أن تسعى الدولة لإزالتها، وكشف من يقف وراءها.

إن الدولة لا ترضى بالفساد، ولا تُقرُّ المفسدين، ولذا فهي مدعوَّة إلى تتبع هؤلاء وإبعادهم عن مواقع التأثير، وعقابهم على ما جنوه في حق الأمة.

إننا - بحمد الله - نعيش في الدولة التي تُعلن على الملأ، بل تفاخر بتطبيق الشريعة الإسلامية في كل المجالات، ولذلك فهي مدعوَّة لكشف من يحاول تعطيل تطبيق الشريعة الإسلامية في أي مجال وإعاقته، والعلماء مدعوون إلى مساعدة الدولة في كشف هؤلاء وفضحهم، ودلالة الدولة عليهم، لتتمكَّن من عقابهم.

إنَّنا نعجب! أنه في الوقت الذي يعلن فيه كبار مسئولي الدولة عن تمسكهم بالشريعة، نجد من يحاول إبعاد اقتصاد الدولة الرسمي والشعبي عن أحكام الشريعة الإسلامية، ونجد من يحاول إبعاد الإعلام والتعليم والصحة وغيرها، فعلى الدولة التعرُّف على هؤلاء الذين يعارضون نظام وسياسة الدولة والتخلص منهم، لكي يسلم لهذه الدولة المسلمة دينها وأمنها.

إن هؤلاء العلمانيين - بمن فيهم من موظفين صغار أو كبار أو مقربين - يبتسمون في وجوهنا، ولكنهم يمدُّون خنجرًا مسمومًا خلف ظهورنا، فيجب أن ننتبه لهم قبل أن نندم، ولات حين مندم، وإنّ السكوت والمجاملة قد تكون أحيانًا على حساب المجتمع، ودينه، وأمته، وحكومته، ورفاهيته، وتجارب الجيران تنبىء عما كان.

إن هؤلاء أقلية نقول لهم ما قاله أسلافهم لأسلافنا، ﴿إن هؤلاء لشرذمة

قليلون وإنهم لنا لغائضون، وإنا لجميع حاذرون﴾. [سورة الشعراء، الآيات: ٥٤ ـ ٥٦]. وإذا كان إنكارهم بلاهة، فإن التخوُّف منهم حمق، هم ليسوا بحاجة إلى أكثر من قرار شجاع حازم مُخلص، يعرفون به قيمتهم ومكانهم في المجتمع المسلم، لأنهم الآن كاللئام على موائد الكرام (بعكس المثل المعروف) كريم يستحي ولئيم يتجرأ، كفانا الله شرَّهم وكيدهم.

ثانيا: الأصولية والأصوليين

يعـد مصطلح الأصولية مصطلحًا غريبًا على المسلمين الذين عرفوا من دينهم أن الناس ثلاثة أقسام: **مسلمون، وكفار، ومنافقون**.

وهذا المصطلح قد أخذ عن الغرب إذ هو ترجمة لكلمة (Fundamentalist) وهي تعني التمسك بالأصول والأسس[1].

* والتصور الذي يطرحه الغرب لهذه الكلمة يختلف عن هذا المعنى، فهو يعني بها:

- الدعوات التي ترفض الجديد ـ أي جديد ـ وتطالب بالعودة إلى القديم مهما كان هذا القديم.
- الجماعات التي ترفض الحضارة وتطالب بالعودة إلى البدائية.
- الجماعات التي تمقت العلم وتطالب بعودة سلطان الكنيسة.
- جماعات كثيرة جدًّا تطالب بالتخفف من المادية، والإقبال على الروحانية المتمثلة في الدين (النصراني طبعًا).
- توجد هذه الجماعات في الغرب، وهي تجتذب الأنصار يومًا بعد يوم، وتكتسب شيوعًا وذيوعًا بين فئات الشباب ـ خاصة ـ الذي سئم وملّ من رتابة الحياة هناك، وأخذ يبحث عن السعادة في أي طريق.

وطبقًا لهذا المفهوم فإن الغربيين أطلقوا هذه الكلمة على كل فرد أو جماعة في العالم ومن أي دين كان ـ حتى المسلمين ـ تدعو إلى العودة إلى الدّين والتمسك به.

ومن ثم فإن جميع المسلمين الذين يدعون إلى الله ويطالبون الناس بالتوبة من الـذنوب، والإقبال على الله، والتمسك بالدين، والعمل بالإسلام في كل مجالات الحياة، هم في عرف الغـربيين من «الأصـوليين» سواء كانـوا أفرادًا أو جماعات أو دولاً أو حكومات أو حركات إصلاحية.

---

(١) القاموس العصري الجديد، دار المعرفة بيروت سنة ١٩٧٨م.

وهذا الحدّ من التصور ربما لا يؤثر على العلماء والدعاة إلى الله والحكومات التي تطبق الإسلام، وإن كان لا يتطابق تمامًا مع ما هي عليه، وبخاصة من حيث رفض الجديد مطلقًا، إنّ المسلمين ـ كما هو معلوم ـ لا يرفضون إلا ما يتعارض مع دينهم، ويستفيدون مما ينتجه العلم إذا كان نافعًا مفيدًا.

*** إن هذا التصور على خطئه لم يبق ـ في حق من يُسمى به من المسلمين ـ على هذا الفهم، بل تلقفه ساسة الدول الاستعمارية الذين يخافون من انتشار الفهم السليم للإسلام، وزادوا فيه أشياء في حق العلماء والدعاة تنفِّر الناس منهم، حتى أصبح هذا المصطلح يحمل التصورات الآتية:**

- الأصوليون قوم جهلة لا يعرفون الحياة وما يناسبها منغلقون على أنفسهم.
- الأصوليون لا يعرفون إلا العنف والقسوة ولا يتعاملون مع مخالفهم إلا بها.
- الأصوليون يعتقدون أن من عداهم من الناس كفار، والكافر يجب جهاده وحربه.
- الأصوليون وصوليون، هدفهم الوصول إلى الحكم، ويتخذون الدين ستارًا لمآربهم.
- الأصوليون يريدون أن يعيدوا الناس إلى حياة المسلمين السابقة البدائية، ويحرموهم من معطيات الحضارة.
- الأصوليون يستخدمون الدّين والسحر والشعوذة، لإقناع الناس باتّباعهم وتصديقهم.
- الأصوليون يدعون إلى العودة بالمرأة للعصور الوسطى وحرمانها من المساواة.

وقس على هذه الأمور أشياء أخرى عديدة مما تقرأه في الصحافة أو تسمعه في الإذاعات أو غيرها.

وهذا التصور لم تصنعه لجنة في إحدى دوائر المخابرات الغربية وإن كانت دوائر المخابرات في العالم كله قلقة من المد الإسلامي وتبذل الكثير من الجهود لإعاقته وقد اتفقت كلمة هؤلاء الأعداء على تشويه صورة الدعاة، فبدأ كل عُتلٍّ زنيم يشحذ ذهنه ليتفتق عن وصف شنيع يلصقه بهؤلاء الدعاة، فإذا شُوِّه الدّعاة، شُوِّهت

صورة الإسلام، فابتعد الناس عنه، فبقي الاستعمار في مأمن من الخطر على مصالحه في بلاد المسلمين، إذ ليس فيها بعد الإسلام إلا أذنابه.

ونحن إن عذرنا الغرب ـ حتى الكائدين منه ـ لجهلهم بالإسلام وشموله للحياة وتفاعله مع الحضارة بل بنائه للحضارات، إن عذرناهم لهذا، فإنا لا نعذر أذنابهم من المسلمين الذين يجب عليهم أن يفهموا الإسلام فهمًا صحيحًا متكاملاً أو يتركوا الإسلام، أما أن يفهموا الإسلام فهمًا مشوّهًا ـ وهم أبناؤه ـ ثم يتهمونه، فهذا ما لا يعذرهم فيه عاذر، ولذلك صاروا أشد خطرًا من الكفار.

■ إن الذي ينكر ضرورة وجود الأصولية في بلادنا ـ أعني المملكة العربية السعودية ـ وهو يفاخر بأن أوّل شارع «أصولي» في العالم العربي كله كان شارع الدرعية[1] شخص متناقض لم يفهم ما يقوله هنا وهناك، وليس له مبدأ ثابت ينطلق منه.

■ إن الذي ينكر ضرورة وجود «الأصولية» في بلادنا[2] وهو يعني بها الدعاة يعترض على نظام الدولة، لإنشائها إدارات الدعوة في الإفتاء ووزارة الدفاع، ووزارة الداخلية، والحرس الوطني، ووزارة المعارف، وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها.

■ إن الذي ينكر ضرورة وجود الأصولية في هذا البلد[3] ينسى أن هذا البلد هو بلد الأصولية بالمفهوم الغربي، لأنه البلد الوحيد الذي يرفع راية التوحيد ويُعلن تطبيق الإسلام والدعوة إليه صباحًا ومساءً، بل يُرسل الدعاة إلى الخارج، ويتحمَّل نفقاتهم في سبيل نشر الإسلام والدعوة إليه، وهل يفهم الغرب ومن شايعهم من معنى «الأصولية» غير ذلك، **فدولتنا «أصولية»، وحكومتنا «أصولية»، وشعبنا «أصولي»، وعلماؤنا «أصوليون»، ومرحبًا بـ «الأصولية» إذا كانت تمسُّكًا بالكتاب والسنة ودعوة إليهما.**

(١) جريدة الشرق الأوسط عدد ٢٣٢٨ بتاريخ ١٤١١/١٠/٤هـ «مقال للدكتور القصيبي».
(٢) الرسالة الرابعة ١٣.
(٣) المرجع السابق ١٣.

■ إن الذين ينكر ضرورة وجود الأصولية وهو يريد بها الدعوة إلى الله بحجة أنه لا يُدعى إلى الإسلام ولا إلى الدين إلا من خرج عنه بالكلية[1] يجب أن يعيد النظر في معلوماته الدينية ويراجع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فسيجد قول الله تعالى: ﴿**ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين**﴾. [سورة فصلت، الآية: ٣٣]. وقوله تعالى: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**﴾. [سورة النحل، الآية: ١٢٥]. وسيجد حديث رسول الله، ﷺ: «**من دعا إلى هُدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا**»[2].

فعلم أن المسلمين دائمًا بحاجة إلى من يرشدهم ويأخذ بأيديهم إلى سواء الصراط، أمّا أنه لا يدعى إلا من خرج من الإسلام، فهذا قول نعجب أن يصدر من دكتور سفير.

■ إنّ الذي يقول: لا يجب أن يوجد في المملكة أصوليون يحاربون حكومة علمانية بغية تطبيق الشريعة التي هي مطبقة بحمد الله[3]، يجهل واقع هذا البلد فالصراع فيه ليس على هذا النحو، إن الصراع بين حكومة «أصولية» يدعمها علماء «أصوليون»، في مقابل علمانيين أفراد وشذاذ يحاربون ويكيدون في الخفاء لهذه الحكومة «الأصولية» بغية إبعادها عن تطبيق شريعة الله، بل بغية الاستيلاء على الحكم كما فعل العلمانيون في غير هذا البلد.

وأذكر أخيراً بأن لفظ «الأصولية والأصوليين» لفظ غريب مشوه المعنى يجب أن يحذر من إطلاقه على المسلمين أو على الدعاة، وإنما أطلقناه هنا مجاراة للدكتور القصيبي.

---

(١) الرسالة الثالثة ١٩.

(٢) أخرجه مسلم برقم ٢٦٧٤.

(٣) الرسالة الرابعة ١٣.

ثالثا: ماذا يريد العلماء والدعاة من الحكم وماذا يريد العلمانيــون

إنما خصصنا العلماء والدعاة هنا لأنهم المرجع الفكري والنظري للمسلمين من أهل السنة والجماعة، ولأنهم هم الذين تركز وسائل الإعلام الغربية ومن يدور في فلكهـا على أنهم طلاب حكم وسلطة وتسميهم بـ «الأصـوليين»، فهذا هو سبب تخصيصنا لهم بالذكر في العنوان، وإلا فإن غيرهم من أهل السنة والجماعة سواء كانوا من الحكام أو المحكومين يشاركونهم في موقفهم من هذه القضية.

فالصراع هنا بين المسلمين ممن هم على نهج رسول الله، ﷺ، سواء كانوا حكومات أو جماعات أو علماء أو أفرادًا عاديين، يقابلهم كل من يحمل فكرًا غير فكر الإسلام، ومن أبرزهم العلمانيون ـ موضوع حديثنا في هذا المبحث ـ سواء كانوا حكومات أو عصابات أو أفرادًا، وحصر الصراع ـ في أي من الفريقين ـ في فئة معينة جهل أو خداع.

ولنبدأ الآن في عرض موقف كل فريق من الحكم والحكام.

يعتقد أهل السنة أن غاية كل مسلم يفقه الإسلام.. أن يُحكَم المسلمون بتشريعهم.. وأن يتعلمه الذين يملكون السيطرة في بلاد الإسلام، والذين يلُون فيهم الأحكام، فإذا ما كان ذلك كانوا أيضًا (رجال دين) أيًّا كان لونهم من أنواع العلوم الأخـرى»[1]، لأنه إذا تحقق الهدف، وهو تحكيم شرع الله، وجب أن يصبـح الجميع عونـًا لمن حققـه على تحقيق التكامل في التطبيق، والإرشاد إلى الثغرات والأخطاء التي تقع سهوًا.

ولذلك لم نسمع من الجماعات الإسلامية أو العلماء أو الدعاة من دعا إلى تغيير حكومة معينة، يكون حكامها مسلمون، بل دعوتهم ونداءاتهم دائمًا موجهة

---

(١) الشيخ أحمد شاكر، كلمة الحق، دار الكتب السلفية، ط ١ سنة ١٤٠٧هـ، صفحة ٦٧.

إلى نقطة معينة، هي تغيير الحكم، أو تعديله، أو تقويمه، أو الدعوة إلى التكامل فيه ليكون على ضوء شريعة الله، إنهم ينادون دائمًا «ضعوا القوانين على الأساس الإسلامي ـ الكتاب والسنة ـ ثم افعلوا ما شئتم فليحكم بها فلان أو فلان، لسنا نريد إلا وجه الله»[1].

● **إن الحاكم إذا فعل ذلك ـ أعني تحكيم شرع الله ـ كان حقًّا على كل مسلم إعانته ونصرته، وبخاصة قادة المجتمع من العلماء والدعاة والأمراء والأعيان والكبراء.**

ولا ريب أن طبيعة الناس وسنة الحياة ووقائع التاريخ والواقع اليوم في العالم الإسلامي يفيد أنّ هناك كثيرًا من الأخطاء الصغيرة والكبيرة، تقع من الحكام أنفسهم أو بسببهم أو في دائرة حكمهم، سواء في أجهزة الحكومة أو في المجتمع، فكيف عالج الإسلام هذه الأخطاء؟!

إن الإسلام أولاً أمر بوجوب طاعة السلطان وعدم مخالفته، سواء كان المأمور راضيًا بما أمر به أو كارهًا له، ما دام أنّ السلطان من المسلمين ولو وقع في بعض الأخطاء، إلا أن يكون ما أُمر به العبد من معصية الله فلا سمع ولا طاعة.

روى ابن عمر عن النبي، ﷺ، قال: «**على المرء السمع والطاعة فيما أحبَّ وكره، إلاّ أن يُؤمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة**»[2].

فهذا هو الوضع السليم الذين يحدد سلطة الحاكم ويحفظ على المحكوم دينه وعزته.

ورغم هذه الأخطاء التي تقع من السّلطان، فإن أهل السنة لا يرون الخروج عليه كما تفعل الخوارج والمعتزلة، وإنما يقتصرون في الإنكار على اللسان والقلب فقط، ويحرمون الإنكار باليد لما فيه من الفتنة والفوضى، ويستدلون بحديث أم سلمة عن النبي، ﷺ: «**إنه يستعمل عليكم أُمراء، فتعرفون**

---

(1) المرجع السابق.

(2) أخرجه مسلم برقم ١٨٣٩.

وتنكرون، فمن كره فقد برىء، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع . . قالوا يا رسول الله أفلا نقاتلهم، قال، ﷺ: لا ما صلّوا»[1].

وحديث عوف بن مالك أن رسول الله، ﷺ، قال: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلّون عليكم وتصلّون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم . . قيل يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيوف؟ فقال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئًا تكرهونه فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يدًا من طاعة**»[2].

وهذا نص صريح على أن الإمام وإن استحق اللعن من المسلمين، وكان مبغضًا لهم، بغيضًا إليهم، لا يجوز الخروج عليه بالسيف ما دام أنه من جملة المصلّين والداعين إلى إقامتها.

ويدل على ذلك ـ أعني عدم الخروج على الإمام المسلم مهما كان مقصّرًا ـ حديث عبادة بن الصامت وفيه: «**بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان**»[3].

فلا يجوز الخروج إلا على من أظهر الكفر الصريح، الذي لا مجال فيه للتأويل وكان مؤيدًا بنص من الكتاب أو السنة[4]. وحتى إذا أظهر الحاكم الكفر، فلا تلازم بين تكفيره وبين الخروج عليه . . فمع الحكم بكفره، فإن الخروج عليه بالسيف يستلزم أن يكون الخروج مؤدّيًا إلى إزالة منكره، دون أن يحدث ما هو شرّ من ذلك[5]. أما عند غلبة الظن بعدم ذلك، فإن الأولى تصحيح

---

(١) أخرجه مسلم برقم ١٨٥٤.

(٢) أخرجه مسلم برقم ١٨٥٥.

(٣) أخرجه البخاري برقم ١٧٠٥٦.

(٤) عبدالرحمن عبدالخالق، فصول من السياسة الشرعية في الدعوة إلى الله ١١٣ ـ ١٢٠.

(٥) المرجع السابق ١٨١.

عقائد الناس وتبصيرهم، وتبيين حقيقة الشرك والكفر من جهة الوثنية، ومن جهة الإباحية، ومن جهة الشيوعية.. والخروج ليس فيه غير القتل والفساد.. فيبيد الدعاة أنفسهم ويبيدون الدعوة، وهذا فيه فساد عظيم [1].

فهذا هو موقف العلماء، بل جميع أهل السنة والجماعة من الحاكم والحكم، والسلطة والثورة، مطالبة بحكم الله في الأرض، وطاعة لولاة الأمر في غير معصية الله، وصبر على ما يلاقونه من ولاتهم من ظلم وأثرة، والتزام ببيعة الإمام مالم يعلن الكفر الصريح، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر حسب توجيهات الشرع دون خوف ولا مداهنة.

وهذه الأمور ليست من توافه الأمور عند أهل السنة، بل هي من العقيدة التي يجب على المسلم عقد قلبه عليها، ولذلك تبحث في كتب العقائد، وقد عرف هذا الأمر عنهم أعداؤهم حتى قال الخميني: «**بلاد السنة تؤمن بطاعة حكامها أما الشيعة فقد كانوا دائمًا يؤمنون بالثورة**» [2]. لكن بعض من ينتسب إلى أهل السنة يجهل أو يتجاهل هذه العقيدة، فيدعي أن هؤلاء الدعاة طلاب حكم وسلطة.

أما موقف الطرف الآخر وهم العلمانيون ومن شايعهم، فإن الصراحة والوضوح التي يتميز بها موقف الدعاة والعلماء من جميع القضايا بما فيها الحكم والسلطة، يواجهها غموض ونفاق وتلبيس وخداع لدى العلمانيين، وهذا ما يجعل بيان موقفهم الصحيح من هذه القضية عسير الإثبات من خلال أقوالهم، وهو ما جعل الشيخ أحمد شاكر يعلن هذا الأمر أمام الناس بقوله قبل ثلاثين سنة «وها أنذا قد صارحتهم بذلك - يعني الحكم بالشرع دون نظر إلى الحاكم - منذ عشر سنين أو نحوها، وما أظنهم صارحوا بقريب مما فعلنا فيها أعلم إلا النفاق والمداراة، ومدح الإسلام والتظاهر بالدفاع عنه، والغيرة عليه مع تنحية أحكامه

---

(١) المرجع السابق ٢٠٢ - ٢٠٣.

(٢) مجموعة رسائل حتى لا تكون فتنة، الرسالة الرابعة ٩.

عن كل شيء في الدولة»[1].

ولكن الله سبحانه وتعالى إذا أغلق على عباده بابًا فتح أبوابًا، فعسر إثبات هذه القضية من الأقوال يقابله باب مُشرع لإثبات ذلك بأدلة كالشمس من خلال أعمالهم وأحوالهم وأفعالهم.

● وها أنذا أسوق لك كلامًا نفيسًا لعلم من أعلام الإسلام، ومفكر من أبرز مفكري المسلمين، كان له اليد الطولى في مقارعة العلمانيين وكشف أباطيلهم منذ أكثر من خمسة وثلاثين عامًا، **وهو الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله**، وهذا النص من كلامه كتب في سنة **١٣٧٨هـ** وكأنه يخاطب واقعنا اليوم، وما ذاك إلا أن خطط هؤلاء الأعداء متشابهة في معظم الأزمان والبلدان.

يقول رحمه الله تعالى: «وقد كان الذي دعاني إلى كتابه هذه السلسلة من المقالات، أنّي رأيت الإلحاد والانحلال في هذه الأيام يشتعل ويسري سريان النار في يابس الحطب، ورأيت دعاته يستفحل أمرهم في كل مكان، ورأيت الناس مشغولين بالجدل والنقاش حول ما يثيرونه من موضوعات يسترون مآربهم الهدامة من ورائها، تحت أسماء خلابة براقة، **كالنهضة، والتحرر، والتطور، ومتابعة ركب الحياة**، وهي موضوعات منوّعة تشمل الحياة في شتى نواحيها يخترعونها، ثم يهوِّلون من شأنها، ويكثرون من الأخذ والرَّدّ حولها، حتى يلفتوا إليها أنظار الناس، وحتى ينشأ جيل جديد مرنت أذنه منذ وعى على سماع المناقشات حول هذه الموضوعات، فيتوهم أنها مشكلات حقيقية لا بدّ لها من حلّ، ويتجه في أغلب الأحيان - كما جرت عادة الناس - إلى أنصاف الحلول التي ترضي الطرفين المتخاصمين حسب وهمه، والخاسر في حقيقة الأمر صاحب الحق، والربح كله للباطل وأصحابه.

ولا يزال أصحاب الباطل ماضين في اتخاذ هذا الأسلوب نفسه جيلاً من بعد جيل، يزحفون ويزحفون حتى يسدوا على الناس كل سبيل للحق، أو يفتح

---

(١) كلمة الحق ٧٢.

الله بابًا من أبواب رحمته فيبعث عليهم من ينكل بهم ويقطع دابر ما يثيرونه من فتن.

ولكن الجديد في أمر هؤلاء الدعاة، أن شرهم لم يعد مقصوراً في هذه الأيام على الكلام، فقد انتقلوا من مرحلة الكلام إلى مرحلة العمل، بعد أن نجحوا في التسرُّب إلى الحصون التي تحمي قيمنا، وأصبح كثير منهم في مناصب تمكنهم من أن يدسُّوا برامجهم وخططهم على المسئولين من رؤسائهم، وينفذوها في صمت ودون أن يثيروا ضجة تلفت إليهم المعارضين.

ولهؤلاء المفسدين عصابة تشدّ أزرهم وتشيد بهم وتنوّه بذكرهم وتحميهم من خصومهم وتقطع ما يهاجمون به، مما ينبه الناس إلى شرهم عن كل وسائل النشر فلا يصل إلى آذان الناس أو عيونهم شيء منه. وأنا حين أزعم أن هؤلاء الدعاة ينتمون إلى عصابة ذات خطر، إنما أعني بالعصابة كل مدلولها، وكل حرف من حروفها، وكل مفهوم من مفاهيمها.

هذه العصابة قليلة العدد، ولا ترجع قوتها إلى كثرة عددها، ولكنها ترجع إلى تماسك أفرادها وتضامنهم، يساعد بعضهم بعضًا، ويحمي كبيرهم الصغير، ويمهّد السابق منهم للاحق، ويهيىء له فرص الظهور والترقي، بينما يتخلصون بكل الوسائل من الخصوم الذين يعارضونهم، والذين يقفون في وجه خططهم، يحدث ذلك كله في الظلام وفي صمت.

وقد لا يكون هناك تنظيم واحد معروف بعينه يضم الهدّامين ودعاة الشرّ كلهم جميعًا، ولكن المهم في الأمر أنهم جميعًا على اختلاف نزعاتهم، وعلى تباين ساداتهم وشياطينهم، متعارفون متضامنون، والمتدبر لخططهم وتحركاتهم في إحكامها وفي تناسقها وفي وحدة أهدافها وتشابه أساليبها في كثير من الأحيان وفيما تستند إليه من نفوذ واسع، لابد أن ينتهي إلى أن هناك هيئات منظمة تنظيمًا دقيقًا من وراء هذه الحركات، وأن بين هذه الهيئات قدرًا كبيراً من التفاهم واتفاق المصالح.

وعصابة الهدامين تستمد قوتها وخطورتها من هذا التنظيم من ناحية، ومن أنها مجهولة الرأس والحدود والأطراف والأساليب والأعوان من ناحية أخرى، وهـذا التنـظيم وهـذه السّرية هما مصدر قوة هذه العصابة التي لا تفترق عن عصابات السّطو والإرهاب في شيء.

فهي لا تعتمد في تنفيذ خططها على الإقناع شأن أصحاب الرأي، ولا على الكثرة شأن أصحاب الديمقراطية المزعومة، ولكنها تعتمد على العمل في الظّلام، وعلى البطش بالخصوم، والتخلص من المعارضين، ومؤازرة الأولياء والأصدقاء وتمكينهم من مقاليد السلطة.

وهم يسلكون لذلك كل سبيل، ويستغلون فيه كل وسيلة، وعلى رأس هذه الـوسـائـل الصحـافة، والإذاعة، والمنابر، ودور النشر، وشراء الذمم، والتهديد بالفضائح.

ومن هذه الأساليب التي لا تحصى، أسلوب مشهور معروف لم يعد يخفى على بصير، يلقي أعضاء هذه العصابة شباكهم حول أصحاب النفوذ والسلطان، ويدخلون إليهم من أقرب الأبواب إلى قلوبهم، وأضعف الثغرات في نفوسهم، ثم يتـظاهرون بالتفاني في حبهم والإخلاص في خدمتهم، فيلازمونهم ملازمة الظل لا يغادرونهم طرفة عين، ويراقبون منهم الإشارة والبادرة مراقبة الكلب الأمين لصاحبه، حتى يصبح التابع منهم لازمة من لوازم سيده ووهمًا مسلّطًا عليه لا يتخيل إمكان الاستغناء عنه، وبمرور الأيام تتحول هذه البطانة إلى سور ضخم شاهق، يحجب عن بصر صاحب النفـوذ كل شيء عداه، فحيثما وجه البصر لا يرى إلاّ هذا السّور، وتصبح هذه الدائرة الضيقة هي دنياه، لا يعرف شيئًا مما يجري وراءها في دنيا الناس، وعند ذلك يصبح صاحب النفوذ في حقيقة أمره سجينًا من حيث لا يدري، لأنه لا يرى إلا مايسمحون له برؤيته، ولا يسمع إلا مايسمحون له بسماعه، وحسبك بهذا سجناً.

وأخـطر ما في أمـر هذه العصـابة أن أفرادها يتمتعون بكل ما في حرب

العصابات من مزايا، ومن أخطر هذه المزايا أن الجهاز الحكومي ـ وهو يشبه الجيش النظامي ـ لا يستطيع توجيه الضربة القاضية إليهم، **لذلك كان من أنجح الأساليب في مكافحتهم أن تُدرس خططهم وأساليبهم في الكيد والدسّ وينبه الناس إليها، عند ذلك ينكشف الستر عن الذين يستمدون قوتهم من العمل في الظلام، ويجدون أنفسهم وقد غمرتهم الأضواء وكشفت أوكارهم وسراديبهم»اهـ**[1].

● ورحم الله علمًا من أعلام هذه البلاد فتح عينه على خطر الماسونية والعلمانية، وجند نفسه لحربها، وكان يصيح في الناس منذ عشرين سنة، يحذرهم من خطر الماسونية العالمية وأذنابها من العلمانيين في البلاد العربية وحتى في هذه البلاد، وكان يصرح بأسماء رموزها في تلك الفترة ولا يخشى في الله لومة لائم، وكان الناس من حوله كالنائمين بل يتهمه العقلاء من الناس بالمبالغة والتهويل، والآن بعد أن انكشفت بعض الأوراق يترحّم الناس عليه. ويعلمون أنه كان ينظر بنور الله وببصيرة المؤمن العالم الذي لا تغره المظاهر، **وهو الشيخ عبدالرحمن الدوسري رحمه الله**.

فتأمل أخي القارىء ـ رحمك الله ـ النص السابق، ثم تأمل الواقع من حولك في البلاد الإسلامية والعربية، **لترى أن هذه الفئة أو العصابة العلمانية تسعى بجد وبمختلف الوسائل الشريفة والوضيعة إلى أن يكون الحكم في يدها**، وهي تراعي طبيعة المنطقة التي تعمل فيها، فبينما لا ترضى في بعض البلدان بدون كرسي الحكم، يكفيها في بلدان أخرى أن تكون الحاكمة الفعلية في الخفاء، وإن بقي الاسم والحكم في الظاهر لغيرها، والقناعة في هذه الحالة إمّا لأن الحاكم قد أصبح فردًا منها مطبقًا لسياستها في الفساد والإفساد، ولهذه الحالة شواهد من الواقع عبر بلاد المسلمين، وإمّا لأن الظروف الراهنة تقتضي البقاء

---

(١) محمد محمد حسين، حصوننا مهددة من داخلها، المكتب الإسلامي ط ٤ سنة ١٣٩٧هـ صفحة ١٠ ـ ١٦.

بعيدًا عن الأضواء والاستمرار في دسّ الخُطط والمناهج التي تهيىء المناخ الذي يستطيعون فيه الظهور، فإذا وُجد هذا المناخ برزوا إلى الساحة وأزالوا الحكم السابق، وذلك لأنهم يرون أن الحكم التقليدي ـ كما يسمونه ـ مهما كان متفاعلاً مع خططهم متعاونًا معهم منفتحًا على أفكارهم، فهو أضعف من أن يطبق العلمانية كما يطبقها فرد منهم، لأنه ـ أعني الحاكم التقليدي ـ مهما كان خاضعًا لهم سيبقى لديه أثارة من إيمان أو حياء تجعله يتوقف ويعارض ـ إن استطاع ـ بعض ما يطرحونه من خطط، ثم هم لا يملكون قلب وفؤاد هذا الحاكم أو من يأتي بعده، فهم يخافون من مجيء شخص يقف في وجوه خططهم، ولذلك مهما طالت هذه المرحلة ـ أعني القناعة بالحكم الخفي دون الظاهر ـ فهم يرنون دائمًا إلى المرحلة الثانية وهي الحكم التام للعلمانية والعلمانيين، ولنضرب مثلين من واقع العالم الإسلامي ببلدين سقطا في شراك العلمانيين.

أما أولهما: فتركيا التي كانت مقر الخلافة، والتي يعلم المسلمون كيف اندس فيها العلمانيون كمدحت باشا ومصطفى كمال. وأصبحوا أبطالاً للإسلام، ثم انقلبوا على دولة الإسلام وحاربوا الإسلام في عقر داره حتى منع الأذان والحجاب وغيرهما مما لا يخفى.

وثانيهما: مصر قلب الأمة النابض، ومعقل الدين والعربية التي تسلل فيها العلمانيون إلى بلاط محمد علي باشا وأحفاده، حتى قاموا بالانقلاب في عهد الملك فاروق، وأصبحت الجريمة التي اتهم بها رجال الحركة الإسلامية ودخلوا بسببها السجون مأثرة يفخر بها رجال الجيش الذين كانوا يسمون أنفسهم في البداية أنصار الله، وحملة المصاحف، وعسكر الإيمان، ولم يكن الجيش في البداية يسمي حركته بالثورة بل كان يسميها حركة الجيش المباركة[1]. ثم كان من هؤلاء في حق الإسلام وفي حق المسلمين ما لا يخفى على ذي عين.

---

(١) يوسف القرضاوي، الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، مؤسسة الرسالة، سنة ١٣٩٧هـ صفحة ١٠٧ ـ ١٠٨.

ومن المثلين السـابقين نتبينّ أن العلمانيين مهما أتيح المجال لهم من قبل الحكـام فهم لا يقنعـون بدون الاستيـلاء على السلطة، لكنهم يطبقون المثل الانجليزي المشهور: «بطيء ولكنه أكيد المفعول» فهم لا يقدمون على خطوة «الاستيلاء على الحكم» إلا إذا ضمنوا نجاحها تمامًا.

فإذا علمت أنهم لم يقوموا بالانقلاب في مصر إلا بعد أكثر من مائة وخمسين عامًا من بداية عملهم الجادّ، أدركت ما يتمتعون به من طول نفس وتريث في تنفيذ الخطط.

وهذا لا يعني أنهم يبقون هذا الوقت الطويل في كل بلد، لأنهم مع طول نفسهم وتـريثهم، يهتبلون الفـرص ويستغلون الأحـداث، ووقائعهم في مثل ليبياوالجزائر تمثل هذا المنحى.

وهم اليوم كالأخـطبـوط، قد بسطوا نفوذهم في معظم البلاد الإسلامية والعربية، ويحاولون بسط نفوذهم في الباقي، ومن البلدان التي دخلتها العصابة العلمانية متأخرة، بلادنا ـ حماها الله وجميع بلاد المسلمين من شرّهم ـ فإن الكلمة لا زالت ـ بحمـد الله ـ للإسلام والمسلمين، ولا زال العهد الوثيق القائم بين العلماء والحكام يؤدي دوره في حفظ البلد من شرّهم.

ولكنهم الآن ـ كما سبق أن بيّنـا ـ يعملون جادّين في خدمـة مبـادئهم والتمكـين لأجنـاسهم، وذلـك من خلال ما ولـوه من مراتب ومناصب، وما يسيطرون عليه من وسائل الإعلام، ومع ذلك فهم لا زالوا يعملون في الظلام، تحت ستـار الحداثة والحضارة والحرية والنهضة، مظهرين النصح لولاة الأمر وللمسلمين، قائمين على بعض المشروعات والجمعيات الخيرية، مستترين وراء بعض الخدمات التي يقدِّمونها للناس.

فيجب على العلماء وطلبة العلم تتبعهم، وتتبع أقوالهم وأفعالهم، وهتك سرائـرهم وفضحهم أمام الناس، ليعرف خطرهم وليحذر من شرهم، ويجب أيضًا مناصحة ولاة الأمر، وإطلاعهم على أخطار هؤلاء وأفاعيلهم في البلدان

الأخرى، ومطالبة ولاة الأمر بإقصاء هؤلاء عن واقع التأثير، والحيلولة دونهم ودون تنفيذ خططهم وبثّ سمومهم.

وإن التهوين من شأنهم، والسكوت عنهم وعدم الاهتمام بأمرهم وعدم الوقوف في وجوههم سيؤدي في النهاية إلى كارثة لا تُحمد عقباها كما حدث في البلدان الأخرى، لأنهم لا يرضون إلا بالاستبداد بالحكم كما ذكر ذلك الدكتور القصيبي[1]، بل كما حكاه الله عن حالهم في قوله: ﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾. [سورة البقرة، الآية: ٢٠٥].

وإن قول رجل كالدكتور القصيبي: «إن نكب الإسلام في هذه الديار ـ ولن ينكب إن شاءالله ـ فلن ينكب بعلمانيين أو ملحدين، فلن يرضى طفل أو شيخ أو رجل أو مرأة بحكم علماني أو بحكم ملحد»[2]، أقول: إنّ هذا القول يدعو إلى العجب، إذ لا يقول مثل هذا القول إلاّ مخادع يريد ذرّ الرماد في العيون، أو جاهلٍ بالتاريخ والواقع ونسأل الدكتور: لم رضي المسلمون أطفالاً وشيوخًا ونساءً ورجالاً بحكم علماني أو ملحد في كثير من البلاد الإسلامية والعربية؟!

إنـه يعلم أن العلمانيـين والملحـدين لا يستشـيرون أحدًا، ولا يطلبون رضاه، فهم لا يعرفون إلا الحديد والنار، وسل العراقيين تخبرك منهم كل شعرة، كيف رضوا بصدام وزمرته حاكمًا عليهم.

إنني أجزم أن الدكتور لا يجهل هذه الحقيقة، كما أتمنى أن لا يكون قال هذا الكلام مخادعة للمسلمين، وذرًّا للرماد في العيون. . لكن الأمر لا يخرج عن هذين الاحتمالين، فماذا نقول؟ لا نملك إلا أن نسأل الله له الهداية إلى سواء الصراط.

---

(١) مجموعة رسائل حتى لا تكون فتنة الرسالة الرابعة ١٤.

(٢) الرسالة الثالثة/ ٣٠.

القسم الثاني

وقفات مع القصيبي

ورسائله

مدخـــل

عرضت في القسم الأول وصفًـا تفصيليًّا للعلمانيين وأهدافهم وخططهم ووسائلهم، غير أنه كان يغلب عليه الطابع النظري الوصفي.

وفي هذا القسم ـ الثاني ـ سأعرض أنموذجًا تطبيقيًّا هو عبارة عن دراسة نقدية لرسائل الدكتور القصيبي التي أشرت إليها من قبل، وسأحرص جهدي أن أكون منصفًا هادئًا لأني سمعت أن الدكتور يكره التشنج والانفعال ـ وإن كان يستخدمه أحيانًا ـ.

وسأقف مع القصيبي ورسائله عددًا من الوقفات هي:

١ ـ ما الذي أثارهم وما الذي أثاره.

٢ ـ ملحوظات عامة على الأشرطة والرسائل.

٣ ـ اتهامات الدكتور القصيبي للأصوليين.. الخلفية.. الواقعية.. الهدف.

٤ ـ الاجتهاد والفتوى عند القصيبي.. وسيلة.. أو غاية.

٥ ـ وأخيراً.. وقفة مع القصيبي.

وأتركك أخي القارىء مع أولى الوقفات سائلاً الله التوفيق لي ولك.

الوقفة الأولى:

ما الذي أثارهم وما الذي أثاره؟

سؤال يحسُن أن نسأله قبل عرض كلام كلّ في الآخر، وقبل إبداء رأيي المتواضع في هذا الكلام، وإن كنت هنا لست قاضيًا بين خصمين، وإنما أنا باحث عن الحق ناصر له مدافع عنه.

لقد كان الكلام عن العلمانية والقومية والناصرية وغيرها من الأفكار التي تشبّع بها بعض شبابنا المثقف ثقافة غربية، كان الكلام عن هذه الأفكار وغيرها يسمع دائمًا من علمائنا كافة ومن تلاميذهم، حيث تنتقد الأفكار ويبين العوار، في أسلوب عام مركز على السمات والصفات، غير متعرّض للأشخاص، وقبل بضعة أسابيع[1]، خرج المشايخ الثلاثة في هجوم واضح على شخص القصيبي فهمه كل من سمعه مع أنه لم يذكر اسمه.

فهل كان القصيبي مجهولاً عندهم ثم عرفوه أخيراً؟!

أو هل اطلعوا منه على شيء جديد غير ما كان عنده من قبل؟!

الدكتور غازي القصيبي رجل معروف لدى جميع أفراد البلاد، بحكم توليه وزارتين من وزارات هذا البلد في فترة سابقة، وبحكم نشاطه المميز في أثناء عمله فيهما.

والقصيبي قبل ذلك عميد كلية التجارة وأستاذ العلوم السياسية بها، ويعرف في تلك الفترة بنشاطه أيضًا، وإن كان في مجال لا يحب الدكتور أن يذكره.

وقبل ذلك كان القصيبي الطالب النجيب في بريطانيا، والولايات المتحدة، والقاهرة، والبحرين.

فهل فيما ذكر ما يثير المشايخ للكلام عليه؟

---

(١) كانت كتابة هذه الأسطر في أواخر شهر شعبان من سنة ١٤١١هـ.

سيكون الجواب ـ طبعًا ـ بالنفي، فلننتقل إلى مجال آخر، فقد كان القصيبي شاعرًا مطبوعًا تتميز قصائده بالخمريات، والتشبيب، والمجون، وقد أنكر عليه العلماء حينما أصدر ديوانه «معركة بلا راية».

والقصيبي منذ أن كان فتى يافعًا مولعًا بالقومية العربية التي اتخذت شكل الناصرية[1]، وكان له نشاطه المميز في هذا المجال، في أثناء دراسته في الولايات المتحدة، عبر مؤتمرات الطلبة العرب ونحوها[2]، ولم يضعف إيمانه بها إلا بعد هزيمة حزيران الأسود[3] ـ كما يسميه الدكتور، ولا أدري هل يعلم أن هذه التسمية لا تجوز؟ ـ ولكن بقي مولعًا بالقومية والوطنية التي تسيطر على كتاباته السياسية والاجتماعية، والتي قلّما يشير فيها للإسلام أو العالم الإسلامي أو المسلمين.

وكان القصيبي أخيرًا، لا يدل مظهره الخارجي، ولا حياته العامة على تمسكه وتدينه، حيث هو مولع بالغناء وبخاصة من بعض المطربات[4]، ولا يتحرج من حضور الحفلات والأمسيات المختلطة[5]، ومحادثة النساء الأجنبيات[6]، ولا يشعر بأي ملل إذا تحدث مع امرأة جميلة جدًّا[7].

فهل كان ما ذُكر هو سبب تعرض المشايخ له؟

قد تفاجأ أخي القارىء إذا قلت لك إن الجواب هنا أيضًا هو بالنفي قطعًا، لأن هذه أمور لها عدة سنوات، وسبق أن أثير بعضها قديمًا فلم إثارتها الآن؟

---

(١) سيرة شعرية ٥٦.
(٢) المرجع السابق ٧٠.
(٣) المرجع السابق ٨٣.
(٤) المرجع السابق ١٨٦.
(٥) جريدة الجزيرة عدد ٦٦١٠ صفحة ٢١.
(٦) سيرة شعرية ١٨٠ ـ ١٨١.
(٧) المرجع السابق ٢٢٤.

فسأريحك بذكر جواب هذا السؤال فأقول:

بدأ الدكتور غازي بعد بداية أزمة الخليج بمدة وجيزة بنشر عدد كثير من المقالات، معظمها في الشرق الأوسط، حيث خصصت له زاوية يومية، وكان يشن هجومًا كاسحًا ضدّ الطاغية صدام حسين ومن وقف معه، بأسلوب ساخر شامت شاتم مقذع في السباب، وكل هذا لا غبار عليه، لأن صدامًا يستحق أكثر من هذا، ولكنه كان ـ بمناسبة وبدون مناسبة ـ يحشر اسم «الأصوليين» ويخصهم بنصيب وافر من التهم والسّباب، فهو يقول:

● أيها الأصوليون الصداميون.. اسمعوا وعوا[1].

● ياسر عرفات.. الملك حسين.. الترابي.. الغنوشي.. المدني.. ابن بيلا.. مشعوذ مصر.. فريق صنعاء.. كان الأصوليون الصدّاميون في كل مكان يشحذون سكاكينهم وأظفارهم وأنيابهم للانقضاض على السلطة في كل مكان[2].

● السذج يتظاهرون في شوارع الأردن، والسودان، والجزائر، وتونس، متصوِّرين أنهم يتظاهرون نصرة للإسلام، دون أن يعرفوا أنهم أدوات بريئة في يد تخطيط جهنمي، يدبره الأصوليون الوصوليون للوصول إلى الحكم[3].

● أما الفئة الثالثة فهي فئة المزايدين، وهؤلاء من زعماء ما يسمى بالحركات الأصولية، ومنطق هؤلاء وصولي محض.. وقس على هذا الموقف، موقف بقيّة الساسة الأصوليين، المتعطّشين إلى الحكم[4].

● ٥٠٠٠٠ عمامة قمية متعددة الألوان ماركة «طارق عزيز»، تعطى لكل أصولي يشهد أن أمير المؤمنين «صدام حسين»، محكم في ماله وعرضه[5].

---

(١) جريدة الشرق الأوسط العدد ٤٢٨٩ والعدد ٤٣٧٣.

(٢) جريدة الشرق الأوسط العدد ٤٤٦٣ بتاريخ ١٦/٢/١٩٩١م.

(٣) جريدة الشرق الأوسط العدد ٤٤٦٤ بتاريخ ١٧/٢/١٩٩١م.

(٤) جريدة اليوم العدد ٤٣٤٩ بتاريخ ١٥/٤/١٤١١هـ.

(٥) جريدة الشرق الأوسط العدد ٤٣١٣ بتاريخ ١٩/٩/١٩٩٠م.

أقول: إذا عرفت أن الأصوليين في اصطلاح الصحافة الأجنبية والعربية، هم المتـدينـون.. الدعاة إلى الله، العلماء وطلاب العلم.. أصحاب اللحى المتبعين للسنة، أدركت ما الذي أثار المشايخ عليه.

■ أثارهم أنه تبنى الحملة الشعواء على الدعاة إلى الله التي بدأها الغرب ثم تلقفها أصحاب القلوب المريضة في الصحافة العربية.

■ أثارهم أنه رمى بالأصوليين وبدون استثناء إلى جانب صدام الطاغية.

■ أثارهم أنه جعل جميع الدعاة مزايدين، وصوليين، أصحاب تخطيط جهنمي ماكر، هدفه الوصول إلى الحكم.

■ أثارهم أنه يذكر غيرهم بأعيانهم، أو يجعل اللوم على الحكومات، أو يصفهم بأوصاف لا تجعلهم يُلامون كوصف المُغفلين، أما هم فيصفهم جميعًا بوصف الوصولية الصدامية الانتهازية، مما يدلّ على أن وراء الأكمة ما وراءها، حيث لم يذكـر حزبًـا واحـدًا، ولا اسمًا واحـدًا من البعثيين أو العلمانيين أو الاشتراكيين أو أحزاب العمال أو غيرهم ممن كانوا أول المهنئين لصدام الطاغية.

■ وأثارهم أنه لم يثن ولو لمرة واحدة ـ فيما رأيت من مقالاته ـ على أحد الـدعـاة أو العلماء ممن وقف ضد صدام، حتى مهرجان الجهاد الذي حضره العلماء والدعاة ورجال الحركة الإسلامية في العالم لم يشر له ولو بكلمة واحدة، مع ثنائه المتعدد على العلمانيين ونحوهم.

وليته اكتفى بهجومه على من في الخارج، وهجماته العامة على الأصوليين، إنه لم يكتف بذلك بل بدأ يرسل تهمه وسهامه إلى الداخل فهو يقول:

● فإذا أضفنا إلى هذه الفقرة ما قاله الترابي عن نجاح الحركة الأصولية في زيادة الـوعي في المغـزى الـديني الحضـاري للوجـود الأجنبي.. تبـين لنا أن التحركات التي لاحظناها في الخليج مؤخرًا من جانب بعض العناصر المحلية، لم تكن سوى جزء من الاستراتيجية الأصولية الترابية، فهل تدرك هذه العناصر أنها

تنفذ مخططًا يستهدف زوال الخليج؟[1].

● نتمنى على بعض علمائنا الكرام أن يبقوا في مجالات تخصصهم، وألا يزجوا بأنفسهم في بحار السياسة وهم لا يحسنون السباحة فيها[2].

وهذا يعني أن هجماته على الأصوليين لا يقصد بها من وقف إلى جانب صدام فقط، بل هي حرب على الأصوليين عامة، أي على الدعاة عامة، باتهامهم بسعيهم الدائم للوصول للحكم، والتخطيط الماكر لذلك، وهذا ما أكده بعد ذلك في رسائله الخمس، مع أنه لم يقدّم برهانًا واحدًا على ذلك.

فهل يعذر المشايخ والدعاة بعد هذا في الهجوم على شخصه ونبش ماضيه ونقد أفكاره؟! لأنه يريد أن يطعن العلماء والدعاة في المقتل، ويستعدي عليهم السلطة ويفرّق بينهم وبين ولاة الأمر، ليؤدي ذلك إلى ضرب الدعوة الإسلامية في هذه البلاد كما ضربت في البلاد العلمانية، لكن ذلك لن يكون إن شاءالله، لأن هذه البلاد حكومة وعلماء وشعبًا هي بلاد الدعوة إلى الله منذ أن بعث فيها محمد، ﷺ، إلى قيام الساعة بإذن الله.

أظنك أخي القارىء توافقني أن المشايخ معذورون فيما فعلوا دفاعًا عن العلم والعلماء والدعوة والدعاة.

ولكن لسنا الآن بصدد الدفاع عن العلم والعلماء والدعوة والدعاة، لكن يهمنا: **ماذا قال المشايخ الثلاثة فيه:** [3]

* إنهم لاموه أولاً على هجومه على الأصوليين جميعًا، واتهامهم بموالاة صدام وطلب الحكم، ولا ريب أن لهذا الهجوم دوافعه، لأن المصلحة الشرعية وحتى الوطنية تقتضي اجتلاب من وقف ضد صدام وشكره.

* إنهم لامـوه على كتابته بعد الفتنة التي أحدثها شرذمة من النساء في الرياض، ووراءهن من وراءهن، حيث كتب: إنّ التغيير سنّة كونية، وإن الزمن

---

(١) جريدة الشرق الأوسط، العدد ٤٤٦٩ بتاريخ ٢٢/٢/١٩٩١م.

(٢) صوت الكويت الدولي، الجمعة ٢٠/٥/١٤١١هـ.

(٣) ارجع للتوثيق إلى الأشرطة الثلاثة التي ذكرتها في المقدمة.

الذي حلَّ كثيراً من القضايا كفيل بحل غيرها، وطالب بالحوار الهادىء بعيدًا عن التشنج واستعداء السلطة على الرأي الآخر، وفي هذا المقال من اللمز والغمز والإشارات الواضحة والخفية ما فيه مما يفهمه اللبيب.

* إنّهم لاموه على هجومه على العلماء في عدد من مقالاته، واتهامه لهم بأنهم يستحقون حدّ القذف، وأنهم يعدون المرأة مخلوقًا من الدرجة العاشرة، وأنهم لا يفهمون فقه الخلاف، وأنهم يختلقون الأكاذيب، وأنهم من طلاب الشهرة، وهجومه الكاسح على الكاسيت ومن يسميهم مجاهدي الكاسيت من العلماء الذين لم يأل جهدًا في النيل منهم.

* إنّهم لاموه على حماسه لإبعاد العلماء عن الكلام في السياسة واتهامهم بأنهم لا يفهمون فيها شيئًا، وفي هذا دعوة واضحة للعلمانية بفصل الدين عن الدولة.

* إنّهم لاموه على مطالبته بالتخصص، مع أنه خاض في كثير من المجالات مما هو ليس مؤهلاً للخوض فيه.

* إنهم لاموه على الكلام على بعض قضايا الشريعة بأسلوب ظاهره الإحسان ويبدو من خفاياه غير ذلك، كما سأبين بعد ذلك إن شاءالله تعالى.

* إنهم لاموه على عدم تميز شخصيته، حيث يتكلم عن علماء الإسلام بالتعظيم والإجلال، ثم يتكلم عن الكفار والمنافقين وأهل الفسق والفجور بالإجلال والتعظيم كذلك.

* إنّهم لاموه على عدم ثبات المبادىء عنده، حيث مدح صدامًا وأوصله إلى السماء في الشجاعة والإقدام، وبعد الحادث هجاه واتهمه بالجبن والخور.

* إنهم لاموه على تبريه من طلب الشهرة مع كثرة كتاباته، ومقابلاته، وتعليقاته، وأشعاره، والقائمة الطويلة لرسائل المديح التي نشرها في إحدى مقالاته في الشرق الأوسط.

* إنهم ذكروه بأشعاره الموغلة في الإسفاف التي يخجل الإنسان من ذكرها.

* إنهم ذكّروه بأن أكبر عالم في البلاد قد حكم بردّته إن لم يظهر توبته أو إنكاره لكلمة قالها في مقابلة مع مجلة أمريكية.

هذا ما قاله المشايخ الثلاثة فيه، وهو كله مدعّم بالوثائق يمكن الرجوع إليه في أشرطتهم، وإن كانت بعض أشرطتهم لا تخلوا من ملحوظات، سأنبّه عليها بعد إن شاءالله تعالى.

والآن أنتقل بك أخي القارىء إلى الجزء الثاني من السؤال الذي طرحناه في أول هذه الفقرة، وهو:

ما الذي أثار الدكتور غازي القصيبي ليصدر رسائله الخمس؟!

ليس ثمت شك بأن سبب إصداره لهذه الرسائل هو سماعه لأشرطة المشايخ الثلاثة، فهو يقول في أولى هذه الرسائل:

- جاءني من يقول إنه استمع إلى شريط منسوب إليه ـ يريد الدكتور ناصر العمر ـ اسمه «السكينة.. السكينة» يقول فيه عنّي إني من العلمانيين[1].
- ويقول في الرسالة الثالثة:

وصلني مؤخّرًا شريط اسمه «سهام في عين العاصفة»[2].

وفي الرسالة الرابعة يحيل في عدد من المرات على شريط الشيخ سلمان العودة «الشريط الإسلامي ماله وما عليه»[3].

وكلامه في رسائله الخمس ـ في معظمه ـ مناقشة لكلام المشايخ الثلاثة، من خلال أشرطتهم، مما لا يدع مجالاً للشك بأن الذي أثاره هو هجومهم المباشر على شخصه في هذه الأشرطة.

أما ماذا قال هو في المشائخ والدعاة؟ فهو ما ستعرفه تفصيلاً إن شاءالله في أثناء مناقشتنا للرسائل في الوقفة الثانية من هذا القسم.

---

(١) صفحة ٩.

(٢) صفحة ١١.

(٣) الصفحات ٢٣، ٢٥.

الوقفة الثانية:

ملحوظات عامة على الأشرطة والرسائل

أولاً: الملحوظات على الأشرطة:

هذه الأشرطة عبارة عن محاضرة، ودرس، وخطبة جمعة، هي كلها ملقاة ارتجالاً، والكلام الارتجالي يغتفر فيه مالا يغتفر في الكلام المكتوب.

وبرغم هذا، فإن المستمع إلى الأشرطة، سيلاحظ أن الملحوظات عليها قليلة وقليلة جدًّا بالنسبة إلى مجموع مادة هذه الأشرطة.

ولعل سبب ذلك أن هذه الأشرطة لعلماء ودعاة، تربوا على أيدي علماء هذا البلد البارزين، وأخذوا عنهم التربية النبوية بالسند المتصل إلى رسول الله، ﷺ.

وإذا استمع المنصف إلى هذه الأشرطة فإنه سيخرج بالملحوظات أو النتائج التالية:

١ ـ أن أساليب السخرية والتهكم التي قالها المشايخ لم تخرج عن حدود الأدب والسمت العلمي.

٢ ـ يعد شريط «الشريط الإسلامي ماله وما عليه» للشيخ سلمان العودة أقل الأشرطة ملحوظات ولهذا لم يناقشه القصيبي كما ناقش الشريطين الآخرين بل افتعل قضية «ولاية الفقيه» وركز كلامه عليها.

٣ ـ شريط «سهام في عين العاصفة» أكثر الأشرطة احتواء على العبارات العاطفية والهجومية التي استغلها القصيبي، وجعل منها مادة دسمة للرسالة الثالثة من رسائله، وإذا كان الأولى بطلبة العلم الحرص على الأساليب الهادئة، والمعلومات الموثقةالتي تلجم الخصم، فإننا نجزم أن الدافع لهذه العبارات هو الغيرة على دين الله، والدفاع عن عباد الله الصالحين، الذين شن عليهم القصيبي حملة شعواء وحشرهم في زمرة صدام الطاغية.

٤ ـ فسر بعض المشايخ في أشرطتهم كلامًا للقصيبي بأحد محتملاته، ولم يذكروا القرائن التي تؤيد هذا التفسير، مما جعل القصيبي يرميهم بدعوى علم الغيب، وكان الأولى بهم ذكر الأدلة وقرائن الأحوال التي تؤيد ما فهموه من كلامه.

ثانيا: الملحوظات على الرسائل:

لقد قرأت رسائل الدكتور القصيبي قراءة متأنية، وكنت دائمًا أوازن ما يحكيه عن المشايخ أو عن غيرهم بمصادره، وكنت أوازن ما يقوله في الكتاب بما قاله خارجه، سواء في كتبه الأخرى أو في مقالاته مما أطلعت عليه، وقد حصرت من الملحوظات - في الرسائل الخمس - ما يربو على المائة، وتبينت أنّ الدكتور يخطىء الفهم أحيانًا، ويتعمّد الخطأ في أحيان أخرى، ولا ريب أنه كان - أيضًا - يصيب في بعض الأحيان.

وأنا هنا - لأن مقصودنا كشف أغاليط الدكتور - سأثقل على القارىء باستعراض الملحوظات التي وجدتها وسأتبع كل ملحوظة برأيي المتواضع فيها، والله أسأل السداد والعدل والتوفيق.

يمكن أن نصنف الملحوظات إلى الأصناف الآتية: (التحريف والتصرف المخل، التناقض، الإثارة والتهويل، السخرية والتهكم، تصيّد الأخطاء اللفظية والتركيز على القضايا الجانبية، الاتهامات، ملحوظات متفرقة).

ولنبدأ الآن باستعراض هذه الأصناف واحدًا بعد الآخر:

١ - التحريف والتصرف المخل:

لقد ظهر هذا المسلك في كثير من عبارات الرسائل، وللاختصار ننتقل إلى الشواهد:

■ **قال**: ولا بد أن ننشر المقالة بأكملها ليطلع عليها العلماء والفقهاء، آملاً أن يبينوا لي ما قد أكون وقعت فيه من زلات جعلتني من العلمانيين عند أخي ناصر العمر[١] ا.هـ.

* **وأقول**: يا غازي أتظن أن ناصر العمر سيعدك من كبار العلمانيين، بل كبيرهم ومنظرهم وفيلسوفهم، لمجرد أنه قرأ لك مقالة واحدة ولم يطلع على شيء قبلها!!

(١) الرسالة الأولى ١٢.

■ **قال عن الشيخ ناصر**: إنه يعتبر مطالبتي بالاحتكام إلى الكتاب والسنة حيلة من حيل العلمانيين.. هذا بالنص ما يقوله أخي ناصر العمر في شريطه: أخيرًا.. فيما يتعلق بالعلمانيين.. أشير إلى نقطة مهمة جدًا.. من وسائلهم وأساليبهم.. أفردتها إفرادًا خاصًا لأهميتها: إنهم يبدأون كلامهم ومشاريعهم وأنظمتهم بأنها وفق الشريعة الإسلامية.

ثم يضيف القصيبي: دعنا مما يقولون، هل مشاريعهم وأنظمتهم وفق الشريعة الإسلامية فعلاً؟ إذا كانت كذلك فلابد أن نقبلها جميعًا، وإذا لم تكن وفق الشريعة الإسلامية فيجب أن تُرفض لهذا السبب[1] اهـ.

* سألتك بالله أخي القارىء: هل في كلام الشيخ ناصر إشارة إلى رفض الاحتكام إلى الشرع؟! أم أنه فقط بيّن أن العلمانيين يلبسون على الناس بدعوى موافقة الشريعة وهم يخالفونها؟ وقد صرّح بهذا المعنى الشيخ ناصر في الشريط نفسه بقوله: «فالعلمانيون يقدّمون مشاريعهم الآن بكليشه معروفة: عقيدتنا مبادؤنا لا تخالف الكتاب والسنة ثم يشتغلون من تحت».

فهل هذا رفض للاحتكام إلى الكتاب والسنة، أم أنه إشارة إلى حيلة من حيل العلمانيين؟!!

وأهمس في أذن القصيبي حول قوله: إذا كانت كذلك فلابد أن نقبلها.. إلخ. فأقول: هذه عبارة عاطفية، يقصد بها صرف القضية، وإلا فلم يقبل عموم المسلمين بالقوانين الوضعية، ولم تقبل أنت بوجود الربا مع قولك بوجود شبه الإجماع على تحريمه؟!!

أعلم أنك تعلم أن المسألة ليست مسألة قبول ورفض، بل هي مسألة تحذير وبيان ونصح لأئمة المسلمين وعامتهم.

■ قال: أخي ناصر العمر الداعية الأستاذ المعلم يطالب بمنع الحوار، ويقول ما نصه: أيضًا من أساليبهم ومن مبادئهم، ما يسمى بمبدأ الحوار..

---

(١) المرجع السابق ١٦ ـ ١٧.

عندهم مبدأ الحوار. . حاور. . وهذا المبدأ خطير. . خطير. . خطير.

ثم قال القصيبي: مبدأ الحوار خطير. . لم تخاف الحوار. . ألست تقول إنك تؤمن بالمجادلة بالتي هي أحسن. . حسنًا. . جادلنا بالتي هي أحسن[1] اهـ.

* أخي القارىء: لعلك تقول: إن الخلاف حول اللفظ والعبارة، فالشيخ ناصر مخطىء في هذا الموضع لعدم الفرق بين العبارتين أعني: (الحوار. . والجدال) ولكن أقول على رسلك. . إليك ما قاله الشيخ ناصر في شريطه بعد هذه العبارة ثم احكم بعد ذلك، يقول: قد يقول أحدكم الآن إذن أنتم يا طلاب العلم ضد الحوار. . لا. . لا. . الله جل وعلا يقول: ﴿**وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾. [سورة النحل، الآية: ١٢٥]. الجدال بالحق منهج شرعي. . لكن أتعرفون ما هو مبدأ الحوار لديهم؟ مبدأ الحوار لديهم: أنهم يحاورون في المسلّمات. . يحاورون في أمور العقيدة وهذا خطير. . فهناك قضايا ممكن أن يُقبل فيها الجدل والمناقشة، ولكنهم لا يريدون هذا الباب. . هم يريدون الحوار في الأساسيات. . يريدون الحوار في الأصول. . اهـ

فهل يمكن أن يقال بعد هذا إن الشيخ يرفض الحوار أو يخافه؟

هل يمكن أن يكون من قال: إن الشيخ يرفض الحوار ويخافه، عادلاً وموضوعيًا، ومنصفًا؟

فقد أدركت أخي القارىء أن الدكتور غازي ـ هداه الله ـ بتر من كلام الشيخ ما ينقض دعواه.

وأدركت أن الشيخ ناصر يطبق قول الله تعالى: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم﴾. [سورة الأنعام، الآية: ٦٨].

■ ومن هذا الباب قوله للشيخ عايض القرني في الرسالة الثالثة: لقد أمرنا الله عز وجل أن نجادل أهل الكتاب بالتي هي أحسن ونحن من أمة محمد، ﷺ،

---

(١) المرجع السابق ٢٢.

فلماذا تبخل علينا بحوار هادىء. اهـ[1].

* أقول: إنك أخي القارىء تعلم أنّ المشايخ لا يرفضون الحوار مطلقًا، وإنما يرفضون حوارًا معينًا، وقد قال الله تعالى: ﴿**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم**﴾. [سورة العنكبوت، الآية: ٤٦]. فالذين ظلموا لا يجادلون بالتي هي أحسن.. فهل نلام يا دكتور غازى إذا رفضنا حوار **الظالمين، الذين يريدون الحوار في الأصول والثوابت، ويريدون أن يكون كل شيء قابلًا للنقاش، كما ذكرت أنت في الفاكس المستعجل؟**

■ قال: قيل لنا في سنوات الطلب: إن التدرج في التشريع من محاسن الشريعة الإسلامية.. وها هو ذا أخي ناصر العمر يحوّل المبدأ إلى «مؤامرة» علمانية. اهـ[2].

* عجبًا لك يا دكتور غازي.. هل انتقد الشيخ ناصر التدرج في الشريعة وعده من المساوىء لا من المحاسن؟!

إني استمعت للشريط مرارًا، ونسخته على الورق، وتأملته كثيراً، فلم أجده قال ذلك.. ورجائي من القراء أن يرجعوا للشريط، ويحكموا في هذه القضية.

نعم.. نقل الشيخ عن الكاتب المصري موسى صبري أنه لما أبدى استغرابه من قيادة السيارات من قبل النساء في إحدى الجامعات السعودية، قال له أحد كبار المسئولين فيها: نعم إنها خطوة إلى الأمام ولكننا نؤمن بالتدرج، لأننا نخشى أن نأتي بالأمور دفعة واحدة فتحدث ردود أفعال. اهـ.

نعم.. نقل الشيخ ناصر كلامك حول حسم قضايا وانتظار قضايا أخرى للحسم، ثم مثّلت بالتلفزيون وتعليم المرأة وعملها.. وبين الشيخ أن ما وصل إليه التلفزيون من عرض للبرامج التي تحوي المخالفات الشرعية، والتي تبدى

---

(١) الرسالة الثالثة/١٧.

(٢) الرسالة الأولى ٢٣.

امتعـاضـك أنت من بعضهـا[1] ومـا وصـل إليه تعليم المرأة وعملها من وجود الاختلاط في بعض الأماكن، إنما حدث بالتدرج والتدريج.

فهل نقد العلمانيين وتحذير ولاة الأمر وعامة المسلمين من أساليبهم ومنها سلوكهم لمسلك التدرج، يعدّ نقدًا لمبادىء الشريعة؟

على أن التـدرج منهج إنساني عام، فاليهود والنصارى يتدرجون لإدراك مآربهم، بل إن التدرج سمة بارزة للنضج العقلي أو للمكر والدهاء، ومن هنا استعمله العلمانيون فهل يقتضي هذا قدحًا في الإسلام لسلوكه التدرج؟

■ قال: وتحـدث أخي ناصر العمر عن «مؤامرة علمانية» أخرى، هي سلب المحـاكم الشرعية اختصـاصـاتهـا - **ثم حصر القصيبي القضيـة في نقل اختصـاصـات من المحكمة إلى ديوان المظالم** - وقال: كل الاختصاصات التي نُقلت من وزارة العـدل نُقلت إلى ديوان المـظالم بنـاء على اتفاق بين الجهتين، ومحاضر درسها المستشارون الشرعيون في الجهتين:

فهل القائمون على شؤون وزارة العدل من العلمانيين؟

وهل القائمون على شؤون ديوان المظالم من العلمانيين؟

وهل القضاة الشرعيون الذين ينظرون الآن في القضايا التي سلبت. . هل هؤلاء بدورهم من العلمانيين؟ اهـ[2].

* وقبل أن أقول شيئًا في هذا الموضوع أنقل نص كلام الشيخ ناصر العمر من شريطه، يقول: رابعًا التضييق على الأجهزة الإسلامية وسحب صلاحيات كثـير منهـا. . سُحبت صلاحيات الهيئـات. . سحبت بعض صلاحيات دار الإفتاء. . سُحبت صلاحيات المحاكم الشرعية وجزىء القضاء. . هذه محاكم للعمال. . وهذه محاكم لفض المنازعات. . وهذه حقوق مدنية. . وهذا المرور. . فما بقي في المحاكم الشرعية إلا القليل. اهـ

---

(1) المرجع السابق ٢٤.

(2) المرجع السابق ٢٨.

هذه عبـارة الشيخ ناصر في المـوضـوع، فوازن ـ أخي القـارئ ـ بين العبارتين ثم قل:

- هل ذكر الشيخ ديوان المظالم أو ألمح إليه؟
- لِمَ لم يذكـر الدكتور غازي محاكم العمال، ومحاكم فض المنازعات التجارية، ونحوها ويدافع عنها؟ وهل كل الذين ينظرون في هذه القضايا من القضاة الشرعيين؟
- لم إيهام القراء بأن الشيخ ناصر يتهم القضاة في وزارة العدل وديوان المظالم بأنهم من العلمانيين؟ هل يريد إثارة هؤلاء على الشيخ؟ وهم ـ بحمد الله ـ يعلمون هل الشيخ معهم أو ضدهم؟ ويعلمون من الذي ضدهم.

■ قال: أليس معنى هذا كله أنّ النظام أصبح علمانيًّا لابد من الإطاحة به؟! أليس هذا ما يقوله هذا الفقيه السياسي نفسه في الشريط نفسه، «مهمتنا أن نعمل على تغيير الواقع» اهـ[1].

*** اللهم إني أعوذ بك من سوء النية وقبح الصنيع، اقرأ بنفسك ـ أيها القارئ ـ عبارة الشيخ ناصر كاملة غير منقوصة، ثم احكم على هذا التصرف وعلى صاحبه.**

يقول الشيخ: أيها الأخوة الصّبر الصبر وعدم اليأس.. لا تقل عملت وعملت ماذا تغيّر؟

ليست مهمتنـا أن نغـير الواقع، فمهمتنا أن نعمل على تغيير الواقع.. افقهوا هذه الكلمة.. أدركوا هذه الكلمة.. ليست مهمتنا أن نغيّر الواقع، بل مهمتنا أن نعمل على تغيير الواقع، سواء تغير الواقع أم لم يتغير. اهـ.

ومن تأمل كلامه في بقية الشريط، علم أن التغيير المقصود هو الإصلاح لأنه لم يقل بأن النظام كله أصبح علمانيًّا.

■ **قال**: استنكر أخي الكريم عايض القرني ما قلته في مقالة بالشرق

---

(١) الرسالة الرابعة /٢٣.

الأوسط عن تغيّر الفتوى، وعلّق على ذلك مستغربًا «عجيب» اهـ[1].

وقال: ثم استهولت واستفظعت واستنكرت قولي: لم يكن من الطبيعي . . ولا من المعقـول . . أن تتم هذه التحوّلات الحضارية الخارقة، دون أن تتبعها تغييرات نفسية وفكرية واجتماعية[2] اهـ.

* **أقول: يا معالي الدكتور، أما الأولى فقد كذبت فيها ـ أُصرِّح بذلك ولا أُوَرِّي ـ فإنّ الشيخ لم يذكر شيئًا عن تغيّر الفتوى، فضلاً عن إنكار ذلك، ولم ترد في كلامه لفظة «عجيب» على سبيل الاستغراب، فما الداعي للتلبيس على القراء، وكتابة ثلاث صفحات مليئة بالتهكم، والسخرية، والنقول عن ابن القيم، والزعم بأن الشيخ لا يعلم هذا الموضوع مع شهرته.**

وأما الثانية: وهي مسألة التحوّلات والتغييرات ـ فأكتفي بكلام الشيخ حولها، حيث قال بعدما ذكر كلامك: أنحن أغبياء لهذه الدرجة لا نعرف اللغة العربية، ولا نعرف مقاصد الكلام، ولا نعرف ماذا يريد أن يقول! يريد أن يأخذ الإسلام لبنة لبنة، وأن يهدم صرح الفضيلة. اهـ.

فهل أنكر الشيخ التحولات الحضارية والتغييرات؟

أم أنه فهم من كلامك شيئًا آخر اجتهادًا منه؟ وأنت تطالب باحترام الرأي الآخر، فلم السخرية؟ وزعم أن الشيخ يرفض التحولات الحضارية، ثم لماذا أنت تأتي بهذا الكلام المحتمل المجمل بل تحرص عليه كثيرًا؟ فما مرادك بالتغيرات النفسية والفكرية والاجتماعية؟ وهل من اللازم أن كل تغير مادي يلزم منه تغير فكري ونفسي واجتماعي، لقد عهدنا العلمانيين يضحون بأخلاق الأمة بدعوى ترابط هذه التغيرات، حتى أعلن أحدهم في ندوة عامة بجامعة الملك سعود حينما اعترض عليه بأن في خروج المرأة سلبيات أخلاقية فقال: لكل تقدم تضحيات وعلينا أن نقبل التضحيات.

---

(١) الرسالة الثالثة / ١١.

(٢) المرجع السابق / ١٥.

■ قال عن الشيخ عايض: الرجل الذي أعلن في شريطه الشجاع «سهام في عين العاصفة» أن الجيوش الشقيقة والصديقة أقبلت تريد الأماكن المقدسة» أهـ[1].

* وهذه والله كذبة أخرى، وها أنذا إبراء للذمة أورد عبارات الشيخ الواردة في شريطه حول الموضوع لتتبين أخي القارى عِظَم الفرية:

الأولى: «أعدوٌّ من الخارج وعدوٌّ من الداخل.. أيلدغنا في وقت حرج، نقابل الدبابات المعتدية الغاشمة الباغية على حدودنا، تريد مقدساتنا».

الثانية: «يقف الأصوليون على حدود الجزيرة، أمام دبابات صدام وطائرات صدام وجيوش صدام.. فأتى هذا من الداخل ليلدغهم بأنهم مع صدام».

الثالثة: «فلم تلغ جهودهم وسطوعهم ولموعهم وتحاربهم من الخلف، في وقت شغل ولاة الأمر وشغل الناس وشغل شباب الصحوة بالعدو الخارجي».

هذه عبارات الشيخ التي أشار فيها إلى الأزمة:

فهل فيها اتهام للجيوش الصديقة أو الشقيقة، بأنها تريد المقدسات؟ أم أنه يصرح بأن العدو الخارجي هو صدام وقواته؟

اتق الله يا غازي.. اتق الله فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار.

■ قال: ثم قلت يا أخي عني: قرأت في مجلة الدعوة قبل ثمان سنوات [يا للذاكرة الحديدية] سأل عن حالنا، وهو من أبناء الجزيرة، وكيف حالكم في الجزيرة، قال: ما رأينا النور منذ ثلاثة آلاف سنة إلى الآن.

ثم علق قائلاً: «سبحانك هذه بهتان عظيم»[1] يقول الله عز وجل: ﴿**قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**﴾. [سورة النمل، الآية: ٦٤]. فهلا تلطفت ـ مشكوراً ـ بموافاتي بهذه الجملة [من غرفة وثائقك عني] وإذا لم أكن قلت جملة

---

(١) المرجع السابق / ٢٩.

كهذه، فهل يليق بك أن تكذب علي. اهـ[1].

* **والله يا غازي إني لأعجب من جرأتك على الكذب، ولكن الآن يزداد عجبي ودهشتي من اتهام الناس بالكذب وهم صادقون.**

سأذكرك فقط بعدد «النيوزويك» الصادر في ١٧/٤/١٩٧٨م وعدد «التايم» الصادر في ٢٤/٤/١٩٧٨م حيث قلت ما ترجمته: «إنك إذا لم تتذكر تطلع شعبنا إلى حياة أفضل بعد ثلاثة آلاف سنة من الوجود اللا إنساني، فإنك لن تستطيع فهم ما يجري اليوم في السعودية.

وسأذكرك بأن سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ حفظه الله ـ وسماحة الشيخ عبدالله بن حميد ـ رحمه الله ـ قالا في ذلك:

لا شك أن ذلك نوع من أنواع الردّة عن الإسلام.. ولكننا ندعوه إلى المبادرة بتكذيبه إن كان لم يقله. وليكن ذلك في جميع وسائل الإعلام، وبعدّة صحف، ومجلات، وخاصة مجلتي «التايم» و«النيوزويك» الأمريكيتين. أما إذا كان قد صدر منه فالواجب عليه التوبة النصوح إلى الله من ذلك» اهـ.

وسأذكرك أخيراً بأن الناس تشهد بأنك لم تعمل بما قاله سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ حفظه الله ـ وسماحة الشيخ عبدالله بن حميد ـ رحمه الله تعالى ـ.

وسأترك بعد ذلك الحكم عليك وعلى كلامك السابق، وتحديد من الصادق والكاذب، أأنت أو الشيخ عايض؟! إلى القراء، ولكني أخوّفك الله، وأذكّرك قول الله تعالى: **﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهمّوا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيراً لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذابًا أليمًا في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير﴾**. [سورة التوبة، الآية: ٧٤].

■ قال: ومن منطلق التأليب على نظام الحكم، يقول أحد الفقهاء

---

(١) الرسالة الثالثة /١٦.

السياسيين، مخاطبًا ولاة الأمر في المملكة: سبحان الله! هل تركتم المجال لأحد أن يتحدث، لقد أمسكتم بخناق الصحف ووسائل الإعلام.. إلخ[1].

* آمل منك ـ أخي القارىء ـ العودة إلى شريط الشيخ سلمان العودة لتجد أن الشيخ يناقش أحد الكتاب الذي نشر له في جريدة عكاظ مقال بعنوان «باتجاه المطر» حيث أورد الشيخ قوله: «لماذا يتحدث المتحدث في شريط، لماذا لا يأتي في النور يتكلم أمام الجميع» ثم رد عليه الشيخ سلمان بالكلام الذي ذكره القصيبي، وسقت أنا صدره وقد قال الشيخ بعده: «فأصبحتم غالبًا لا تأذنون إلا بالمادة التي تخدمكم، وتئدون وتحاربون كل صوت حر نزيه يفضح ما أنتم فيه، فلا تنشرون من ذلك إلا النزر اليسير، أما الصوت الذي يؤيدكم ويوافق ما أنتم عليه، فإنكم تلمعونه وتنشرونه، وإن كان ضعيفًا صححتموه وبالغتم في نشره، ونفختم فيه حتى يصبح ذا شأن، لم تدعوا مجالاً لأحد يتكلم.

فهل يمكن أن نصدق القصيبي في دعواه بأن الشيخ يخاطب ولاة الأمر في المملكة؟

أم أن الشيخ يخاطب فئة معروفة بأفكارها، هي التي أمسكت بخناق الصحف، كما تمكنت من بعض المناصب التنفيذية في وسائل الإعلام؟

إني لا أجد لهذا المسلك تأويلاً إلا قصد إثارة الناس على أمثال هذا المتحدث، ولكن ﴿**ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**﴾. [سورة الأنفال، الآية: ٣٠].

■ قال: أخي الكريم سلمان العودة من المنطلق نفسه يتساءل لماذا لم تثر حميتي الدينية ضد الذي علمني الاقتصاد؟

أعتقد أنه رغم غرابة هذا الموقف الذي لم يقل به عالم في بلادنا أو غيرها من قبل، أنه إذا عرف السبب بطل العجب.

والسبب أنه في «ولاية الفقيه» معرفة الفقيه تكفي لإدارة كل شيء. اهـ[2].

---

(١) الرسالة الرابعة /٢٣.

(٢) الرسالة الرابعة /٣٣.

* أنـا أنقـل لك ـ أخي القارئ ـ نص كلام الشيخ سلمان العودة في الموضوع، حتى تتبين مقدار التحريف الذي سلكه الدكتور ـ هداه الله ـ في هذا الموضوع.

قال الشيخ: ما هذه التناقضات، إنني لا أستطيع أن أفهم شخصًا يتكلم عن ابن القيم ـ رحمه الله ـ ومالك، والشافعي، وأحمد، والشاطبي ـ رحمهم الله ـ ثم يتحدث بلهجة أخرى عن مثل نزار قباني بأنه شاعر فحل لا يزيده هجوم الهاجمين عليه إلا شموخًا.. لِمَ لم تثر حميتك الدينية ضد نزار قباني كما ثارت لصالح قضية القذف.. لِمَ لم تثر حميتك كما ثارت لصالح قضية الكاسيت.. ألم تسمع نزار قباني يقول في كتابه الحب: «قد يعرف الله في فردوسه المللا»؟ تعالى الله.. ألم تسمع نزار قباني يقول في ديوانه: «أنا أرفض الإحسان من يد خالقي؟».. فلماذا نلمِّع مثل هؤلاء الناس الذين أعلنوا كفرهم بربِّ العالمين، ونتكلم عنهم كأنهم عظماء ولـو في مجالهم، دون أن نتكلم بكلمـة واحدة عن مناوأتهم لهذه الأمة، ومخالفتهم حتى لأخلاقياتها وقيمها بل حتى لمصالحها.. كيف تتحدث عن طه حسين الذي خلّده التاريخ وتتناسى أنه يقول: «قد يحدثنا القرآن عن إبراهيم وإسماعيل، وهذا لا يعني بالضرورة وجودهما التاريخي». لِمَ لم تثر حميتك الدينية من ذلك المحاضر الذي طردك من القاعة؟ اهـ.

أخي القارئ: هل تفهم من كلام الشيخ سلمان: أنه في ولاية الفقيه، معرفة الفقيه تكفي لإدارة كل شيء؟ أم تفهم أن الشيخ يستغرب التناقض من شخص يتحـدث عن فحـول الإسـلام بالتعظيم والإجلال، ثم يتحدث عن الكفار والفسّاق بنفس اللهجة، دون ذكر شيء عن عداوتهم للأمة ودينها، مما يلبّس على الشباب الغر فيعجب بهم؟.

■ نقل عن الشيخ سلمان كلامه في المنشورات، وهو: والذين يحاربون الآن قضية الأوراق المتداولة، ما أتوا إلا بقضية واحدة أو نقطة واحدة أو معلومة واحدة تقريبًا، هي التي قالوا إنها غير صحيحة، أنه امرأة نُسبت إلى غير زوجها،

معنى ذلك: أنه إذا كان في الأوراق المتداولة ـ مثلاً ـ أربعمائة أو خمسمائة معلومة، لا يضرّ أن يوجد فيها معلومة واحدة غير صحيحة.. وإذا أردنا أن نتكلم عن قضية الأوراق المتداولة يجب أن نكون واقعيين، ما نحارب قضية الأسماء ـ مثلاً ـ أو قضية التسمية، لا، ما نحاربها اهـ[1].

* هذا ما نقله الدكتور القصيبي تحت عنوان: «رأي ولاية الفقيه في المنشورات».

ولعلي كشفًا للبس، أنقل لك من كلام الشيخ سلمان حول هذا الموضوع ما يسبق هذا الكلام وما يتلوه، ثم أتركك تحكم بنفسك.

يقول الشيخ قبل هذا الكلام: إنّه لا يجب أن يقال شيء إلا بعد التثبت واليقين والدقة.. فأنا لا أوافق ـ مثلاً ـ على أنك تقول لفلان شيوعي بدون دليل.. لأن هذه قضية خطيرة، هذا ما نشك فيه ولا نختلف، لكن الذين يحاربون الآن.. إلخ[2].

ويقول الشيخ وفقه الله بعد العبارة التي نقلها القصيبي: ما نحارب قضية الأسماء ـ مثلاً ـ أو قضية التسمية، لا، ما نحاربها.. لماذا؟.. لأنه لا مانع أن نسمي ونقول فلان بن فلان، بشرط أن يكون عندنا وثائق معلومات مؤكدة.. ولذلك كان الرسول، ﷺ، يعطي حذيفة أسماء المنافقين.. إذن الكلام في الناس ما هو ممنوع على الإطلاق.. لا.. خاصة إذا كانوا من المنافقين والعلمانيين. وأعداء الإسلام.. نتكلم فيهم ولا كرامة لهم.. ولا كرامة.. ولا كرامة.. بشرط.. بشرط.. وأؤكد على هذا الشرط مرة ثالثة، هو أن يكون كلامنا مبنيًّا على معلومات وحقائق.. ما نبوع ونذرع في الهواء، ونُطلق الكلام على عواهنه. اهـ[3].

---

(١) الرسالة الرابعة / ٣٩.

(٢) شريط «الشباب أسئلة ومشكلات» للشيخ سلمان العودة.

(٣) المرجع السابق.

لعلك أخي القارىء أدركت رأي الشيخ سلمان في المنشورات، وأدركت مقدار الخطأ الذي ارتكبه القصيبي ـ هداه الله ـ في حقه، مما يجعل القارىء يفهم عن الشيخ سلمان خلاف ما قاله، والآن اقرأ ما يقوله سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز عن المنشورات، ثم وازن بين الكلامين: «أما نشر الخير ونشر الدعوة إلى الله ونشر التحذير من الحرام والمنكر، فهو لا يضر المؤمن. . لكن يضره نشر الباطل وجرح أعراض المسلمين على غير بصيرة، فلان كافر، وفلان علماني، وفلان شيوعي، يقول هذا وهو لا يدري، وما عنده خبر وهذا خطأ عظيم والواجب التثبت» اهـ[1].

ألا ترى ـ أخي القارىء ـ أن معنى الكلامين واحد، فكلاهما يقول بوجوب التثبت ووجوب نشر الخير والتحذير من الحرام والمنكر وأهله، لكن الدكتور فسرهما بتفسيرين مختلفين مما يجعلنا نشك في صدقه.

■ قال: وليت أخي الكريم سلمان العودة إذ نفى عن نفسه العصمة والملائكية وحراسة الجنة، لم يعرّض بنا وبأعمالنا: لكن أعمالاً كثيرة تقدموا بها، ليست من الأعمال التي شرعها الله عز وجل للوصول إلى الجنة. اهـ[2].

*** أقول: ليس في كلام الشيخ تعريض بك، وإنما هو تصريح، لأن الشيخ قال: تقوم، ولم يقل: تقدموا. ثم إن الشيخ لا يناقشك في الخاتمة، بل يناقشك في كثير من أعمالك الحاضرة التي يراها الناس.**

فهل تعتقد أن أشعارك الموغلة في الإسفاف والمجون، والحفلات الغنائية والأمسيات المختلطة، وغمز العلماء والدعاة والكيد لهم، والثناء على الكفرة والفساق، وغيرها من الأمور التي أرجو من الله أن يسترها ويتجاوز عنها.

أقول: هل تعتقد أن هذه الأشياء مما شرعه الله للوصول إلى الجنة؟

أما الخاتمة فعلمها عند الله، وإن كل من في قلبه ذرة من إيمان، يتمنى لكل

---

(١) الرسالة الرابعة من رسائل القصيبي / ٣٩.

(٢) المرجع السابق ٣٤ ـ ٣٥.

الناس أن يختم لهم بخاتمة الخير.

فراجع نفسك ـ هداك الله ـ وإياك والكبر فإنه داء إبليس الذي أدخله النار، وتذكر قول الله تعالى: **﴿وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد﴾**. [سورة البقرة، الآية: ٢٠٦].

هذه أبرز الملحوظات حول النقطة الأولى، ولعله اتضح من خلالها مقدار ما ارتكبه الدكتور من خطأ، في تحريف كلام المشايخ والافتراء عليهم، ولا نملك إلا أن نقول غفر الله له وعفا عنه وهداه إلى التوبة النصوح.

٢ ـ التناقـض:

سنعـرض أولاً شواهـد هذا المسلك ثم نجيب عن السبب الـذي أوقع الدكتور فيه:

■ **قال**: ثم أضاف ناصر العمر إلى سقطته الأولى، سقطة أشنع وأفظع، عندما بين السبب الذي يدفعه إلى رفض الاحتكام للكتاب والسنة، فقال: لأنهم يريدون أن يأتوا في النهاية بقضايا ما وردت في الكتاب والسنة.

وبعد أن عقّب الدكتور بعبارات ساخرة مذيلة بعلامات التعجب، قال: هل توجد يا أخي ناصر العمر قضايا لم يرد حكمها في الكتاب والسنة إمّا مباشرة أو غير مباشرة اهـ[1].

* وأعجب من تناقضه، وهو الذي يقول في الرسالة نفسها، وقبل ست صفحات.. فقط ست صفحات: إنه لا نقاش ولا جدال حول الشريعة.. لا تحليل لما حرَّمت.. ولا تحريم لما حلّلت، وأن ما عدا ذلك من أمور يظل قضية مفتوحة للنقاش[2]. وهو الذي يقول في الرسالة نفسها.. وفي الصفحة نفسها:

إن قضية البرامج الملائمة للعرض قضية مفتوحة.. وقضية المناهج الملائمة قضية مفتوحة.. ومجالات العمل المناسبة قضية مفتوحة. اهـ[3].

أليس معنى هذا الكلام وجود قضايا ما وردت في الكتاب والسنة؟ ولسنا بصدد الكلام عن مراد كل من الدكتور ناصر والدكتور القصيبي، وهل يوجد قضايا مفتوحة أم لا؟ وهل تعد القضايا المستجدة التي ينظر فيها الفقهاء بين حين وآخر من هذا النوع؟ لأننا في مقام بيان تناقض الرجل ليس إلا.

■ **قال**: ولم يكن علماؤنا الأفاضل بمعزل عن تطورات المجتمع، فقد

---

(١) الرسالة الأولى /١٩ ـ ٢٠.

(٢) المرجع السابق /١٣.

(٣) المرجع السابق /١٣.

أفتوا بمنع الرق بعد انتفاء شروطه الشرعية. اهـ[1].

* **أقول**: وازن هذا الكلام بما ورد في الفاكس المستعجل، الذي خطّه بيمينه ومهره بتوقيعه: «ولا خلاف أن الموضوع، حسم عندنا بقرار سياسي، تبعته الفتوى، وكانت للقرار ظروفه وملابساته، ولكن الأمر لم يحسم في عقول العامّة إلا بالفتوى».

■ **قال**: معلقًا على كلام الشيخ ناصر عنه (وهو من كبارهم وهذا منظرهم): ومن هو هذا الشخص يا أخي ناصر العمر؟ قاتل الله الجبن يا أخي ناصر العمر[2].

وقال عن الشيخ عايض: الذي جبن عن ذكر اسمي الصريح[3].

وقال عنه أيضًا: لم توضح يا أخي من هم البغاة من العلمانيين.. فهل تخاف ذكر أسمائهم[4].

* لن أقول لك إن المنهج الشرعي عدم ذكر الأسماء، فانظر كم في القرآن والسنة من أسماء المنافقين؟

ولكن سأقول إنك ناقضت مبدأك، فتركت الشجاعة ورضيت بالجبن، في عدد من المرات أورد لك أمثلة منها:

قلت في الرسالة الثانية في الإهداء: إلى أبنائي الأحباء الذين كتبوا إليّ مذعورين، يقولون: إنهم سمعوا بعض الغُلاة الجدد يقولون: «كذب غازي القصيبي عندما قال: إن الفتوى تتغير بتغير الزمان» اهـ[5].

وقلت في أثنائها: قال أحد المنتسبين إلى العلم تعليقًا على ما قلته: إن من يقول بتغير الفتوى ينقض عرى الدين.

---

(١) المرجع السابق /٤، والرسالة الرابعة /٣٠.
(٢) الرسالة الأولى /٢٣.
(٣) الرسالة الثالثة /١١.
(٤) المرجع السابق /١٣.
(٥) الرسالة الثانية /٣.

وقال آخر: إنه لم يسمع قبل مقالتي بمن قال بتغير الفتوى[1].

ولا أدري لم جبنت عن ذكر أسمائهم؟! وأين قالوا كلامهم؟ وإن كنت أكاد أجزم أنك لن تظفر بأحد قال هذا الكلام، ممن تسميهم بالغلاة الجدد.

وقلت في الرسالة نفسها: عندما قلت إن الفتوى في مسائل الاجتهاد تتغير بتغير الزمان، أصيب بعض قومنا بالهلع، وصعق بعض أخوتنا. اهـ[2].

ولم تذكر لنا هنا أيضًا من هم هؤلاء البعض، فهل نعدّ هذا من الجبن أو من الحكمة؟!

وبعيدًا عن الرسائل قلت في جريدة الشرق الأوسط: «فإذا أضفنا إلى هذه الفقرة ما قاله الترابي.. تبين لنا أن التحركات التي لاحظناها في الخليج مؤخرًا من جانب بعض العناصر المحلية، لم تكن سوى جزء من الاستراتيجية الأصولية الترابية»[3].

ولم تذكر لنا هنا أيضًا هذه العناصر.. **فهل نعد هذا منك، جبنًا وخوفًا، أو دبلوماسية.**

■ قال عن الشيخ عايض: وتحدثت يا أخي عن مقالة لي هاجمت فيها الأصوليين الصداميين، ففهمت منها أنت هجومًا عليك فمن أين جئت بهذا الفهم؟ اهـ[4].

* سبحان الله! ألم ننقل عنه قبل قليل قوله: إن التحركات التي لاحظناها في الخليج مؤخرًا من جانب بعض العناصر المحلية، لم تكن سوى جزء من الاستراتيجية الأصولية الترابية. اهـ.

ثم أكدت فهم الشيخ، بجعل الشيخ في الرسالة نفسها داعية لقطف رؤوس المسلمين، وشهر السيوف عليهم، وذبحهم، يدرِّس طلابه أن حب الله

---

(١) المرجع السابق /٢١.

(٢) المرجع السابق /٢١.

(٣) العدد ٤٤٦٩ بتاريخ ٢٢/٢/١٩٩١م.

(٤) الرسالة الثالثة /١٨.

يعني تمزيق الوطن، مؤلبًا للرعية على راعيها، والمؤمن على المؤمن [1].

وقلت مخاطبًا الشيخ عايض: ولا يستخفنّك الشيطان والذين يوسوسون لك أنك ستكون «خميني المملكة القادم» وتعلن فيها «ولاية الفقيه» [2].

أمع هذا كله يمكن أن يلام الشيخ على فهمه لما فهم؟

■ قال: ومع ذلك نقلت هذه الاصطلاحات، واستخدمت داخل المملكة حيث لا مجال لانطباقها.. مع ظهور طبقة جديدة في مجتمعنا هي طبقة الفقهاء السياسيين. اهـ [3].

ويقول: وما دام لا يوجد في المملكة علمانيون، فلا يجب أن يكون في المملكة أصوليون يحاربون حكومة علمانية [4].

*** ينفي الدكتور غازي وجود مبرر لاستخدام هذه الألفاظ داخل المملكة، وهو الذي يقول: إن أول شارع أصولي في العالم العربي كله كان شارع الدرعية، وقد كان ذلك في القرن الثالث عشر الميلادي [5].**

دعنا من تناقضك يا غازي فالكلّ قد علمه، ولكن هل تعتقد أن أول شارع أصولي (أي إسلامي) هو شارع الدرعية؟

أتعلم أنك بهذا تلغي اثني عشر قرنًا من تاريخ الإسلام وتجعل الدرعية خيرًا من المدينة ومكة ودمشق والبصرة والكوفة التي درج فيها الرسول، ﷺ، وصحابته.

راجع نفسك.. هداك الله.. وتب إليه واستغفره من هذه الزّلة.. ولا يحملك التناقض والمراوغة على التلفظ بكلمة الكفر، وتذكر حديث رسول الله،

---

(١) المرجع السابق /٢٧ و٣٤.
(٢) المرجع السابق /٣٣.
(٣) الرسالة الرابعة /١٤.
(٤) المرجع السابق /١٣.
(٥) جريدة الشرق الأوسط العدد ٤٣٢٨ بتاريخ ٤/١٠/١٩٩٠م.

ﷺ: «وإنّ العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يُلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم»[1].

■ **قال**: يا أخي الكريم الذي أثبت تغير الفتوى لا بتغير الأزمنة فحسب.. بل بتغير الأمكنة والأحوال والنيات والعوائد.. لم يكن أنا، وإنما كان العلامة المجتهد المحقّق ابن القيم. اهـ[2].

* وقد ألّف الدكتور الرسالة الثانية وخصصها برمتها لإثبات تغير الفتوى.

ولا ريب في ذلك ولا إشكال.. ولكن العجيب حين يأتي هو نفسه ويقول: **وأحكام الإسلام لا ينبغي أن تتغير، فيكون في المملكة حكم للإسلام، وفي بقية العالم الإسلامي حكم آخر**. اهـ[3].

■ **قال**: لا مجال الآن لحوار في قضايا وإن رآها البعض كبرى، إلا أنّها تظل صغرى، عندما نقارنها بقضية؛ نكون أو لا نكون. أهـ[4].

* **إني أسألك يا دكتور: من الذي أثار قضية تغير الفتوى.. وقضية الاجتهاد.. وقضية ولاية الفقيه.. إلخ؟**

من الذي حاول أن يؤكد أن أمور التقاليد لا يجب أن تكون جزأ من الشريعة، وأن أمور الشريعة قابلة للنقاش؟[5].

أليس هذا تناقضًا مع كلامك السابق، حيث أثرت العديد من القضايا الصغرى، وإن رأيت أنت أنها كبرى، وافتعلت إثارة قضايا لا وجود لها؟

أحذرك أن تكون من عناهم الله بقوله: ﴿**يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون**﴾. [سورة آل عمران، الآية: ١٦٧].

---

(١) أخرجه البخاري برقم /٦٤٧٨.

(٢) الرسالة الثالثة /١١.

(٣) الرسالة الخامسة /٢٤.

(٤) الرسالة الأولى /١٥.

(٥) قال ذلك في فاكسه المشهور.

هذه بعض التناقضات الواردة في رسائل الدكتور، وقبل أن أنتقل إلى النقطة الثالثة، أورد سؤالاً مهماً هو:

ما سبب هذه التناقضات؟

إني أجيب فأقول: إن سبب ذلك:

أولاً: هو عدم ثبات المبادىء والأساسات والمنطلقات عنده.

ثانيًا: أنه أراد الانتقام ممن تكلموا فيه، ولما لم يجد ما يطعنهم به أراد أن يلبسهم ما هم منه أبرياء، فوقع في هذه التناقضات، فهو يخبط يمينًا وشمالاً.

ثالثًا: أنه يريد أن يقول شيئًا لا يجرؤ على قوله، فهو يدور حوله هنا وهناك، ويأتي بالمتناقضات من حيث لا يشعر، وإذا قال بعض ما يريد شعر بالغرور، كما يقول هو عن نفسه: «ربما الغرور وحده هو الذي يصوّر لي أن هذه الأمور لم يقلها أحد من قبل علنا.. لا من الصقور.. ولا من العصافير»[1].

---

(١) من كلامه في الفاكس المشهور.

٣ ـ الإثــارة والتهويــل:

تُعد الإثارة معلمًا بارزًا من معالم هذه الرسائل، بل لا تكاد تجد صفحة تخلو من ذلك، ويكفيك دليلاً على هذا الأمر عنوان هذه الرسائل، حيث تحمل عنوان «**حتى لا تكون فتنة**» وهو عنوان يحمل الكثير والكثير من الإثارة والتهويل.

فإذا أضفت إلى هذا العنوان عنوان الرسالة الثالثة وهو «**يا أخي عايض القرني.. الله.. الله.. في دماء المسلمين**» وكذا عنوان الرسالة الرابعة وهو: «**يا أخي سلمان العودة.. اعذرنا.. لا مكان لولاية الفقيه عندنا**» أدركت أن مغزى **هذه الرسائل هو الإثارة، والإثارة فقط**.

وأنا هنا أحاول عرض أبرز أساليب الإثارة التي استخدمها الدكتور، وأمثل لكل أسلوب بأمثلة، وبأمثلة قليلة أيضًا:

أولاً: أساليب الإثارة العامة:

أ ـ دعوى أنّ هؤلاء المشايخ وأضرابهم ممن سمّاهم هو «**الغلاة الجُدد**» يريدون الفتنة، وإشعال الحرب الأهلية، وسفك دماء المسلمين، إلى آخر ما في قواميس اللغة العربية من ألفاظ القتل، والسفك، والصلب، ونحوها:

● يقول مخاطبًا سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز: «وتتطلع إليه الأنظار منتظرة منه أن يقول كلمة الحق التي ستقطع بإذن الله دابر الفتنة التي توشك أن تشتعل، والحرب الأهلية التي توشك أن تقوم، على يد أولئك الذين يودون تقسيم أبناء الأمة الواحدة إلى علمانيين ومسلمين»[١].

● ويقول مخاطبًا الشيخ ناصر العمر بأسلوب مليء بالتهكم والإثارة «وكيف تكون إذن؟ المجادلة بالتي هي أسوأ.. إطلاق النار عليهم»[٢].

● ويقول مخاطبًا إياه أيضًا: «وتنبه قبل إشعال حرب أهلية بين المسلم

---

(١) الرسالة الأولى /٣.

(٢) المرجع السابق /٢٣.

والمسلم. . ولا تدمّر وحدة المسلمين فتحرض المسلم على المسلم»[1].

● ويقول في إهداء الرسالة الثالثة: «إلى كل سعودي غيور. . يحرص على حقن دم كل مسلم، ويعرف حرمة هذا الدم»[2].

● ويقول عن الشيخ عايض: «الرجل الذي لا يعرف عن التقنية، سوى الأشرطة التي تحمل نداءه بقطف رؤوس المسلمين»[3].

● ويقول عنه أيضًا: «الرجل الذي لم يرهقه إلا صراخه في الميكرفونات، مطالبًا بذبح المسلمين»[4].

● ويقول عنه أيضًا: «الرجل الذي يدرّس الآلاف من الطلبة الآن، أن حبَّ الوطن يعني تمزيق الوطن، وصلب المسلمين»[5].

● ويقول: «والخلاف على مذبحة العلمانيين هو خلاف على التوقيت فقط، فمنهم من يرى شهر السيوف من أغمادها وقطف الرؤوس والصلب الآن، ومنهم من ينصح بالتريث حتى لا يموت السيء مع الطيب»[6].

قلت: ولا أظن أي عاقل رزقه الله أدنى لبّ وبصيرة، يخفى عليه ما في هذه العبارات من الدسّ وقصد الإثارة، وهو لم يقدم على ما قاله دليلاً واحدًا، سوى عبارات بتر أوائلها وأواخرها، وأخذ ما يخدم مقصده السيء منها، كما بيّنت في النقطة الأولى من الملحوظات، وكما سأبين بعد إن شاءالله تعالى.

ب ـ رمي هؤلاء المشايخ وأضرابهم بأنهم طلاب حكم، تحت مظلة ولاية الفقيه، وموازنتهم بالخميني، ومقارنتهم بجهيمان، وقد سبق الحديث عن هذه النقطة بالتفصيل في القسم الأول، وسيأتي لها زيادة بيان إن شاءالله تعالى في

---

(١) المرجع السابق / ٢٩.
(٢) الرسالة الثالثة / ٣.
(٣) المرجع السابق / ٢٧.
(٤) المرجع السابق / ٢٧.
(٥) المرجع السابق / ٢٨.
(٦) الرسالة الرابعة / ٢٤.

الوقفة الثالثة من هذا القسم.

جـ - رمي هؤلاء المشايخ بأنهم غلاة جدد، يقسمون الأمة الواحدة إلى قسمين: مؤمنين، وعلمانيين[1].

ثانيا: أساليب الإثارة الخاصة:

● حرص القصيبي - هداه الله - على إثارة من استطاعه من الناس على هؤلاء المشايخ.

فهو يخاطب الشيخ ناصر بقوله: «هل أصبح كل المواطنين يا أخي ناصر العمر من العلمانيين سواك»[2]. وهو بهذا يثير **المواطنين على الشيخ**، حيث صور للناس أن الشيخ ينسبهم إلى العلمانية، ولا يكتفي بإثارة المواطنين من حيث العموم، بل يحاول إثارة أصناف المواطنين، للإيقاع بينهم وبين المشايخ، فهو يثير **البادية** بإبداء تبرمه من العبارة التي ذكر أن واعظًا لم يرد ذكر اسمه قالها وهي: إن البدوي في المملكة لا يعرف الصوم والصلاة.

ثم علّق الدكتور قائلاً: فأنا أرضى الأذى لنفسي، ولا أرضاه لنصف الشعب السعودي، فرسان التوحيد، ودعاة الحق. أهـ[3]. وإذا رجعت إلى العبارة في الشريط، وجدت أن المتحدث يتكلم عن جريدة الشرق الأوسط وانتشارها، حتى أنّ من لا يصلي ولا يصوم لصغر أو ضلال من بدوي وحضري ليقرأ هذه الصحيفة، وإذا جاز للقصيبي أن يفهم هذا الفهم من العبارة، فيجوز لنا أن نفهم من كلامه في الرد، أن نصف الشعب السعودي بدو أعراب، وأن هؤلاء هم فرسان التوحيد، ودعاة الحق دون غيرهم من الشعب.. ألا قاتل الله الغيرة الكاذبة.

ومع اعترافي بأن عبارة الشيخ سبق لسان، وهي تحتمل عدة معاني، إلا أن

---

(١) الرسالة الأولى /٣ والرسالة الثالثة /١٥.

(٢) الرسالة الأولى /٢٨.

(٣) الرسالة الثالثة /١١.

قرائن الأحوال تبيّن أن المقصود منها ما ذكرته، لا الهجوم على البادية كما صوّر لنا الدكتور هداه الله.

● **ثم يثير مرة أخرى الطلاب الذين درسوا في الخارج**، حينما قال: هل وصلنا يا أخي الكريم إلى مربط الفرس، هل العلمانيون إذن هم: كل من درس خارج المملكة[1].

ولكن لا أظن هؤلاء ستنطلي عليهم اللعبة، فهم يعرفون الشيخ عايض القرني، ويعرفون من يقصد، ورحلات الشيخ عايض إلى أمريكا ولقاءاته بالطلبة هناك مشهورة.

● **ويثير مرة ثالثة القضاة**، حينما يقول مخاطباً ناصر العمر: «فهل القائمون على شؤون وزارة العدل من العلمانيين.. وهل القائمون على شؤون ديوان المظالم من العلمانيين.. إلخ»[2].

فأقول هنا رويدك أيضاً، فهؤلاء يعرفون ناصر العمر، ويعرفون من يقصد ـ وقد بيّنا هذا من قبل ـ فلن تنطلي عليهم اللعبة.

● **ثم هو أخيراً يثير الدولة** ويستعديها فيوهم القارىء أن هؤلاء المشايخ يعدون الدولة علمانية، فيقول مخاطباً الشيخ ناصر العمر: اتق الله ولا تصمها بوصمة العلمانية، فتطعنها في المقتل[3].

ويهدف من هذا إلى إثارة أكبر، وهو أن هؤلاء هدفهم شق عصا الطاعة، حينما يقول: «اتق الله ولا تشق عصا الطاعة على ولي الأمر الذي يقدرك كما يقدر كل العلماء، ويفتح لك بابه ويستمع إليك.. فتزعم أنّ رجال دولته من العلمانيين، وأنّ أنظمته علمانية، وأن إعلامه يحارب الدعوة إلى الله» أهـ[4].

---

(١) المرجع السابق /٢٠.
(٢) الرسالة الأولى /٢٨.
(٣) المرجع السابق /٢٨.
(٤) المرجع السابق /٢٩.

وهو مبالغة منه في الإثارة، يزعم أن وسيلتهم لشق عصا الطاعة هي إيغار صدور العامة على ولي الأمر، فيقول في أسلوب الناصح «نتمنى على أخوتنا الغلاة الجدد أن يتّقوا الله، ويتحاشوا إيغار صدور العامة على ولي الأمر في أمور يعدّونها من المنكرات»[1].

والخلاصة من هذا كله، أعني: من وصم الدولة بالعلمنة، وشق عصا الطاعة، وإيغار صدور العامة على ولي الأمر، أن هؤلاء يريدون الوصول للحكم وتسلّم السلطة[2].

هذه نتيجة الإثارات والدعاوى، وهذه النتيجة تعوّدنا سماعها من دوائر المخابرات الغربية، ودوائر المباحث العربية، لكننا لم نسمعها في هذه المملكة الآمنة إلا منك معالي الدكتور!!

ولكن أقول على رسلك.. إنك تناطح جبلاً.

إنك بهذا تدعو ولاة الأمر في هذه البلاد للبطش بالدعاة، كما فعل العلمانيون في غيرها، لكن هذه الدولة تعرف من هم العلماء والدعاة الذين خُضت في أعراضهم، بل بينها وبينهم عهد على رفع هذا الدين ونشره، بل هي ـ هداك الله ـ وذلك لا يخفاك دولة الدعوة والتوحيد منذ أن نشأت، وستستمر على ذلك إن شاءالله، ولن يضيرها أن تثيرها أنت أو غيرك، لن يضيرها حتى ولو زعمت أن هؤلاء يسبون ملكها، حينما لبَّست الأمر وأوهمت القرّاء أن الشيخ سلمان العودة يقصده بقوله «يترك قضايا الأمة لغيره ممن لم يتذوق طعم العلم الشرعي» لكنه لم يذكر اسمه مراعاة للظروف[3].

إنك بهذا الصنيع تستخف عقول القراء الذين لو سمعوا النص من الشريط وقرائنه، لعلموا أنه يقصد كما صرح بذلك «من تنوّيهم أنت وتقبل

---

(١) الرسالة الثانية /٢٣.

(٢) الرسالة الرابعة /٢٤ و٢١ ـ ٢٥، والرسالة الخامسة /١٥.

(٣) الرسالة الرابعة /٣٠ ـ ٣١.

شهادتهم» ممن لم يتذوقوا إلا طعم الحضارة الغربية، أعني سفاسفها، وقد يقصد شخصًا معينًا من هذا الصنف، تربّى في بلاد يكثر فيها الرافضة، ثم تربّى في أحضان الغرب في أمريكا وبريطانيا، ولكنك لم تفهم من يقصد الشيخ، إما لأنك لا تفهم وهذا بعيد، أو لأنك لا تريد أن تفهم وتريد أن تصطاد في الماء العكر.

وأخيرًا بعد هذه النماذج ألا يحق لنا أن نتساءل:

لم هذه الإثارة؟

● **أنقول**: إنّها خطة من خطط الأعداء ضد هذا البلد لضرب الإسلام فيه، ومن ثم القضاء على دولته، وإقامة دولة علمانية كافرة على أنقاضها؟!! **وقد قام الدكتور بهذه المهمة بتكليف من الأعداء**.. هذا ممكن.. ولكن نستغفر الله أن نقول كلامًا بغير بيّنة ووثائق.. ولكنّا مأمورون بأخذ الحيطة والحذر!!

● **أنقول**: إنها رغبة شخصية من فئة معينة لتغيير قيم هذا المجتمع وسلخه من دينه حتى يلتحق بركب الحضارة الغربية الزائفة، ولم يقف أمام هذه الرغبة إلا العلماء، فأريد الكيد لهم؟!! **فقام الدكتور بهذه المهمة نيابة عن هذه الفئة**... أيضًا هذا ممكن.. ولكن نستغفر الله أن نقول كلامًا بغير بينة.. ولكنّا مأمورون بأخذ الحذر والحيطة!!

● **أنقول**: إن المشايخ تكلموا في غازي، وكشفوا الكثير من أوراقه.. فأسقط في يده.. ولم يجد مجالاً للدفاع، فلجأ إلى الهجوم ليصرف الأنظار عما قيل فيه؟!! نقول أيضًا هذا ممكن، ولكن لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى!!

٤ ـ السخريــة والتهكــم:

مما لا شك فيه أن التهكم والسخرية له دور كبير في تشويه صورة الخصم وإسقـاط هيبته، ولهذا فلم يأل الدكتور جهدًا في استخدام أساليب السخرية والتهكم التي قد تصل أحيانًا إلى ما يشبه السِّباب، ودعني أستعرض معك بعض عباراته في الرسائل، لترى الأسلوب الرفيع الذي كتب به!! وإنما هي أيضًا مجرد أمثلة، ولأن هذه العبارات تعرض نفسها فسأمتنع عن التعليق عليها قدر الإمكان.

• اسمعـه يقـول عن الحـوار: «يجب أن يتم في جوّ هادىء بعيدًا عن التشنج والانفعال، بعيدًا عن استعداء السلطة على الرأي الآخر[1] وبعيدًا عن الاتهامات التي تُلقى جزافًا وبلا مبالاة» أهـ. وأحسب أنه قد عرف من يقصد بهذه العبارات المهذبة جدًّا.

• واسمعه يخاطب الشيخ ناصر قائلاً: «هل تراك تعتقد أنّ التلفزيون حرام، وتخفي رأيك تقية.. أم تراك ترى أن عمل المرأة حرام، وتخفي رأيك تقية» [2].

• واسمعـه يتنـدّر على الشيخ ناصر، حينما انتقد إحدى الجهات التي اكتفت بالفصل بين الرجال والنساء بباب من «الأبلكاش» فيقول: ماذا تريد؟ السد العالي[3].

• واسمع هذه العبارات المهذبة من سياسي بارز ووزير سابق!! يقول: «وهم معذورون في ذلك.. لأنهم بسبب قصور في الوعي لا نلومهم عليه» [4]. ويقول: «ومشكلة العامة وعدد من أنصاف المتعلمين وبعض الغلاة الجدد ممن

---

(١) الرسالة الأولى /١٤.

(٢) المرجع السابق /٢٤ و٢٦.

(٣) المرجع السابق /٢٦.

(٤) الرسالة الثانية /٢١.

يعرفون الحق ويكتمونه»[1]، ويقول: «تبين لنا أن الكثيرين ممن كُنا ـ والله ـ نظنّ فيهم بسطة في العلم لم يسمعوا بالفصل ولا بها فيه»[2].

• وارجع إلى رسالته الثالثة لترى عبارات التهكم والسخرية من الشيخ عايض القرني، وترى علامات التعجب التي تلاحقك أينما ذهبت، ولترى أنه كرر عبارات «ما هكذا يتكلّم العلماء». «ما هكذا يتحدث العلماء». «ما هكذا يتحدث أولياء الله» أربعًا وعشرين مرة مصحوبة بثلاث من علامات التعجب . . ثلاث فقط، ولترى عبارات عديدة مثل: «يا للذاكرة الحديدية»[3] و«ذلك مبلغك من العلم يا أخي الكريم»[4]. و«يقال لي إنك تحاضر في واحدة منها»[5] أي: جامعات المملكة و«طالبت في آخر حديثك بالمناظرة، فهل تريدها متشنّجة منفعلة»[6] و«فاحرص على الدّقة وفقك الله ولا تضرب في المصطلحات خبط عشواء فما هكذا يتحدث العلماء»[7].

• وأخيرًا إقرأ معي هذه السخرية الممجوجة، يقول مخاطبًا الشيخ عايض: «ثم تمثلت ببيت من الشعر ورددته متلمظًا متلذّذًا:

وكنت امرأ من جند إبليس فارتقى ... بي الحال حتى صار إبليس من جندي

ماذا تريدنا أن نقول يا أخي؟ سئل أحد السلف الصالح ما اسم زوجة إبليس فقال: ذاك زواج ما شهدناه.

وأنشدت بيتًا آخر من الشعر تلذذت بتكراره في وصف الذئب:

ينام بإحدى مقلتيه ويتّقي ... بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

---

(١) المرجع السابق /٢١.
(٢) المرجع السابق /٢٢.
(٣) الرسالة الثالثة /١٦.
(٤) المرجع السابق /١٩.
(٥) المرجع السابق /١٥.
(٦) المرجع السابق /١٧.
(٧) المرجع السابق /١٩.

روينا البيت نائم . . ولعلك يا أخي الكريم أعرف منا بنوم الذئاب، ولعل من تعنيه له شيء من العذر . . «فقد يكون بقرب جار لا تؤمن بوائقه»[1].

● أقول للدكتور: دعنا من السخرية في هذا المقطع، فقد مجّها القارىء واستقبحها . . ولكن لماذا بالذات عبارة «متلمّظًا متلذّذًا» ولِمَ لَمْ تَقُل إنّ الشيخ قال: يقول أحدهم من العلمانيين القدامى . . أهذا مقتضى الأمانة العلمية؟ ثم **لو أنشد الشيخ البيت بصيغة أخرى نحو:**

وكنت امرأ من جند إبليس فارتقى
بك الحال حتى قلت إبليس من جندي

أكنت تتهكم أو تنفعل؟

● ثم أخيراً لماذا عبارة «فقد يكون بقرب جار لا تؤمن بوائقه»؟، أنسيت كلامك في القذف الصريح والكنائي . . هل تريد أن نطالبك بالحد أو التعزير؟ وقد علمت أنه قد خاب سعي من سعى، وكيد من كاد، ويحك يا غازي! ألم تقرأ قوله تعالى: **﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا﴾**. [سورة الأحزاب، الآية: ٥٨].

● ثمَّ أخيراً أيضًا، لم تنتقد الناس على السخرية[2] وأنت موغل فيها؟ ﴿كبر مقتًا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾. [سورة الصف، الآية: ٣].

---

(١) المرجع السابق /١٩ ـ ٢٠.
(٢) انظر الرسالة الثالثة /١٧.

٥ - تصيد الأخطاء اللفظية والتركيز على القضايا الجانبية:

هاتـان ملحوظتان، جمعتهما لأنهما انصراف عن مناقشة القضية الأساس بهدف إثارة القارىء بشيء يشغله عن هذه القضية، ويعد العلماء والباحثون هذا الأسلوب دليلاً على ضعف الحجة وتهافت القضية التي يدافع عنها سالك هذا المسلك، ولنضرب أمثلة على صنيع الدكتور، حتى يرى القارىء أنّ الدكتور كان يبحث عن أي شيء ليعلّق عليه، وربما أوقعه تعليقه - هداه الله - في أخطاء شنيعة حينًا وخفيفة حينًا آخر.

■ علّق على قول الشيخ ناصر: لأنهم يريدون أن يأتوا في النهاية بقضايا ما وردت في الكتاب والسنة بقوله: «أصبحت تعرف ما في الصدور يا أخي ناصر العمر» اهـ[1].

* فانـظر كيف صرف القـارىء عن القضية الأسـاس إلى دعوى علم الغيب، مع أن القارىء يعلم أن عبارة الشيخ ناصر لا تؤدي هذا المعنى، فالحكم على تصرفات الناس يعلم من أقوالهم وأفعالهم وقرائن أحوالهم، لا من الاطلاع على خفايا صدورهم.

وقد فعل قريبًا من هذا المسلك مع الشيخ عايض، حينما نقل قوله: «خاب ظنكم.. وخاب فالكم.. والله لن يكون ذلك أبدًا»[2].

فجعل هذه المقالة من الكلام والرّجم بالغيب، لأن الشيخ لم يستثن فيها، ومعلوم أن الاستثنـاء هنـا قد يحوّل القضية إلى شكّ في وعـد الله بنصره لدينه وأوليائه، وهو خطير في مجال العقيدة.

■ أكثر من السخرية والتندر والتعليق على مسألة حاول أن يقنع القارىء بها، وهي عبارة عن أوصاف للعلماء وردت في كلام المشايخ وصفًا عامًّا لعلماء

(١) الرسالة الأولى / ١٩.

(٢) الرسالة الثالثة / ١٢.

الإسلام. . ولكنه استغل هذه الأوصاف ليدعي أن العلماء الثلاثة يصفون أنفسهم بها ومنها:

● ذكر قول الشيخ عايض: كان لزامًا على علماء الإسلام ودعاة الإسلام أن يبينوا . . إلخ ثم علق قائلاً: هل سمعت يا أخي الكريم «بعالم» يصف نفسه بأنه من علماء الإسلام. اهـ[1].

● قال: ومن منطلق المعارضة السياسية التي تستهدف إضعاف الحكم، فالفقهاء السياسيون لا يتحدثون عن أنفسهم كما كان يفعل علماؤنا الأفاضل كمجرد طلبة علم. . بل كزعماء سياسيين، فيهم كل الصفات المطلوبة للزعامة لا للعلم.

هذا فقيه سياسي يصف نفسه: أعني العلماء الصادقين. . العلماء المخلصين. . العلماء الواعين. . العلماء الذين يجاهدون في الله حق جهاده، ترى من هم العلماء الآخرون؟

وهذا فقيه سياسي يقول عن نفسه وزملائه: أخلص الناس. . وأثبت الناس في المواقف والأزمات، وأصدق الناس. اهـ[2].

● قال: ولولا أننا سمعنا صاحب ولاية الفقيه، لاستغربنا أن ينفي أخي الكريم سلمان العودة عن نفسه تهمة لم يدّعها لنفسه أحد من سلف أو خلف، فيقول: لسنا من الحراس على أبواب الجنة، ويقول عن نفسه وزملائه ليسوا بالملائكة المعصومين.

لا نرى ـ والله ـ تفسيراً لتأكيدات كهذه إلا الخوف أن يفتتن الناس بزعيمهم الفقيه، المجاهد، المخلص، الثابت، الصادق، إلخ . . كما وصف هو نفسه. اهـ[3].

---

(١) المرجع السابق /١٣.
(٢) الرسالة الرابعة /٢٥.
(٣) المرجع السابق /٣٤.

* هذه بعض العبارات التي ساقها الدكتور ـ هداه الله ـ وقد تركت عبارات أخرى تفيض بالسخرية والتندر، وحتى أساعدك أخي القارئ في الحكم على مسلك الدكتور، دعني أثقل عليك بنقل عبارات المشايخ التي نقلها وحرفها، لترى بعينك مقدار التجنّي.

١ ـ قال الشيخ عايض: فمن صفات أهل السنة أنهم يتثبتون من الشائعات.. فإذا تبين الخطأ وعرفوا من هو صاحبه ومن وراءه، فهو على أحد قسمين: إما رجل استتر بخطئه فمنهج أهل السنة أن يردّوا عليه خفية.. وإن أشهر خطأه، وأعلن تمرّده، كان لزامًا عليهم أن يظهروا ردودهم.. وأن لا يكتموا الردود.. فيقول الله سبحانه وتعالى: **﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾**. [سورة آل عمران، الآية: ١٨٧]. كان لزامًا على علماء الإسلام ودعاة الإسلام أن يبيّنوا، ولا يخشوا في الله لومة لائم، ويقولوا كلمة الحق فصيحة هادئة ناصعة. اهـ.

أجب يا أخي القارئ: هل في كلام الشيخ ما يشعر بأنه يدعي أو ينسب إلى نفسه أنه من علماء الإسلام؟ أم أن السياق يدل على أن الكلام عن واجب العلماء والدعاة فحسب.

٢ ـ قال الشيخ ناصر العمر: لابد من الالتفاف حول العلماء.. وقد أثبتت الأحداث ـ والحمد لله ـ أمرًا مهمًا أن المجتمع قد التف حول علمائه.. أثبتت الأحداث ـ والحمد لله ـ أن المجتمع يعرف المُصلح من المفسد.. أثبتت الأحداث أنّ المجتمع يميز بين العالم والمتعالم، فالله الله التفوا حول علمائكم وقفوا معهم صفًّا واحدًا، وحذار حذار من التصرفات بمعزل عن هؤلاء العلماء، فاستشيروا العلماء المخلصين الصادقين.. إياكم إياكم أن تتجاوزوا العلماء.. أعني العلماء الصادقين.. العلماء المخلصين.. العلماء الواعين الذين يجاهدون في الله حق جهاده. اهـ. **أفتونا يا جمهور المسلمين هل يفهم أحد منكم من هذا الكلام أن الشيخ ناصر يصف نفسه؟.**

٣ ـ قال الشيخ سلمان العودة بعد أن ساق نماذج من رسائل المديح التي بُعثت إليه ونشرها في مقالة في الشرق الأوسط: بقي أن أقول: إن المجتمع والأمة لا يمكن أن تتقبل مثل هذا المديح.. ولا أن تتقبل البراءة من حب المديح وحب الشهرة من إنسان ينشر مثل هذه القائمة الطويلة بمن مدحوه، وكتبوا له رسائل ثناء وشكر وإطراء.. وعلى كل حال: الأمة تعرف مجاهدي الكاسيت كما سميتهم منذ زمن بعيد، وقد بلتهم وجرّبتهم في المحن والشدائد، فوجدتهم أخلص الناس لها وأثبت الناس في المواقف والأزمات، وأصدق الناس، وإن كانوا ليسوا بالملائكة ولا بالمعصومين.. لكنهم من أتباع الرسل، وهم الورثة لهذا الميراث النبوي الكريم. اهـ.

قل لي بربك أنت يا غازي: هل في هذا ما يشعر بمدح النفس؟ أو الخوف من افتتان الناس؟ لِمَ الافتيات والافتراء والكذب والخداع؟ أتظن أن الناس أغبياء فتستغفلهم بنقل فقرات من كلام طويل يفسر بعضه بعضًا؟ أهذا صنيع المنصف؟ والباحث الناصح؟ اتق الله وتب إليه واعلن اعتذارك مما جنت يداك.

واعلم أن من تكلمت فيهم من أحلم الناس تتمنى قلوبهم للناس ـ كل الناس ـ حتى من عاداهم وولغ في أعراضهم. الهداية والرشاد: اقرأ هذه الكلمات لأحدهم يخاطبك بقوله: إذا لم تكن تريد الشعبية.. ولست تريد المنصب أيضًا. فأنت تريد الجنة فقط بكل عملك هذا.. لسنا من الحراس على أبواب الجنة.. وعلم الله نتمنى لكل إنسان أن يهديه الله عز وجل سواء السبيل، وأن يكون من أهل الجنة.. هذا ما يعلمه الله من قلوبنا.. حتى الذين أساؤوا وظلموا نتمنى لهم أن يهديهم الله عز وجل إلى سواء السبيل، وأن يرفعوا الرايات البيضاء، ويعلنوا ولاءهم للإسلام وأهله صدقًا بقولهم وفعلهم، لا من باب التمسّح بألفاظ وعبارات إسلامية.. علم الله أننا نتمنى أن يهديهم الله عز وجل.. لكن أعمالًا كثيرة تقوم بها ليست من الأعمال التي شرعها الله عز وجل للوصول إلى الجنة. اهـ.

فهل تفهم ـ هداك الله ـ أن هذا كلام من يخاف أن يفتتن به الناس؟

■ قال: قاتل الله الانفعال الذي دفعه إلى زلة ثالثة، جعلته يورد النّكت والطرائف في مجال لا يسمح بنكت وطرائف.

ثم ساق قصة أوردها الشيخ ناصر في محاضرته لأحد رؤساء العرب ممن لا يشربون الخمر، ولكنه يستخدم الأفيون والحشيش لعدم ورود الأخيرين في القرآن، وقال عنه: مثلهم مثل الذي يضرب أباه ويقول ما ورد المنع. قال تعالى: ﴿**ولا تقل لهما أفٍّ**﴾ وعلق بعدها الدكتور بقوله: هل يوجد يا أخي ناصر العمر مسلم واحد عاقل يعتقد حلّ الحشيش والأفيون لعدم ورود ذكر لهما في الكتاب والسنة؟ وهل أصبح الرئيس الفاجر مضرب المثل في الفهم؟ ثم واصل هجومه متهمًا الشيخ ناصر بالاستهزاء بالقرآن، وقال بعد ذلك: نحن لا نمزح معك يا أخي ناصر العمر عندما نطلب الاحتكام في كل شيء إلى الكتاب والسنة. اهـ[1].

*** لا أدري كيف أعلق على هذا المقطع، لأنه يدعو إلى العجب في مجمله.**

أأعجب من اعتباره ودعواه أن هذه زلة في مجال لا يسمح بنكات، والمجال هو الحديث عن العلمانيين، والنكتة لأحدهم ممن تجاوز مرحلة الاستتار والمجاملة إلى الوضوح والإعلان؟!!

أم أعجب من تعليقه بأنه لا يوجد مسلم واحد عاقل يعتقد حل الحشيش والأفيون وضرب الأب لعدم ورودها في القرآن، والكلام ليس عن المسلمين العقلاء، بل عن علمانيين (ملحدين ومنافقين) خرجوا عن الإسلام، أو هم على شفا جرف هار، ولا ريب أن من كانت هذه حاله، فلا يسلم عقله من دخن؟!!

أو أعجب من جهله بأحوال بعض الرؤساء العرب وتمسكهم بالإسلام، فهذا يصدر كتابًا أخضر أو أحمر، وآخر يشرب أمام الناس في رمضان في التلفاز،

---

(١) الرسالة الأولى /٢٠ ـ ٢٢.

وثالث يعلن الجهاد لتحرير المقدسات في مكة والمدينة؟!![1].

أو أعجب من جعله صنيع الشيخ استهزاء بالقرآن وهو دفاع عن القرآن؟!!

أو أعجب من اختياره هذا المقطع الذي يعدّ التعليق على مثله دليل الانهزامية وضعف الحجة؟!!

لا أدري والله مِمّ أعجب، فقد أصبح العجب كضباء خراش؟!!

■ قال مخاطبًا الشيخ عايض: ثم امتدحت يا أخي من قلت عنهم: الذين لبسوا زيهم الإسلامي، يوم تردى [أظن أخي الكريم يقصد ارتدى] غيرهم بالزي الكافر. ماذا تقصد يا أخي الكريم؟ ما هو الزي الكافر؟ هل أبصرت سعوديًا يمشي بزنار.. وبنجمة إسرائيل.. وأكملت: الذين توضأوا بالماء النمير، يوم توضأ غيرهم بماء الخمر، في ليالي العهر، وفي آخر الليل [كذا] ونحن يا أخي الكريم لا نعرف في تاريخنا كله مسلمًا واحدًا توضأ بماء الخمر، فمن الذي فعل هذه الفعلة الشنعاء، وهل كنت حاضرها وشهدتها.. ألا ينبغي أن تترك عنك الغمز واللمز إلى الشرح والتوضيح. اهـ[2].

*** أظنك يا أخي القارىء لن تملك نفسك من العجب سواء من الجهل، أو من التجاهل، فإن كان جهلًا فإنها والله مصيبة أن يحدث الجهل بهذه الأمور اليسيرة من رجل أصبح ـ كما يقول عن نفسه ـ شاعرًا مشهورًا قبل التاسعة عشرة وتولى الوزارة قبل الخامسة والثلاثين[3]. أفيجهل رجل كهذا أساليب اللغة العربية من مجاز واستعارة وغيرها؟**

وإن كان تجاهلًا ـ وهذا الذي يظهر ـ فإنه نفسه قد أبدى ضجره ـ إن كان

---

(١) انظر كتاب رابطة العالم الإسلامي «الرد الشافي على مفتريات القذافي» سنة ١٤٠٢هـ وكتاب سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز في الرد على أبي رقيبه من مطبوعات الجامعة الإسلامية سنة ١٣٩٦هـ.

(٢) الرسالة الثالثة / ٢٠ ـ ٢١.

(٣) جريدة الشرق الأوسط العدد ٤٣٣٦ بتاريخ ١٢/١٠/١٩٩٠م.

صادقًا ـ من حثالة الشباب الذين عادوا إلينا بحثالة الحضارة الغربية، وبدأوا ينشرونها بيننا من القمصان المزركشة إلى الأسورة والسلاسل إلى أنواع من البنطلونات القبيحة التي هو أعلم بها مني، لأنه عاش هناك فترة من عمره.

وأما الوضوء بماء الخمر، فإن له شروطه وأركانه وصفته التي تختلف عن وضوء المسلمين، ولا أظنك تجهل هذه الصفة، وأنت الذي أنشدت في الخمر الأغاني العذاب في نظر البعض، أفلست القائل:

وأعينهم شعلة من غباء

يحوم عليها بخار الكحول..

ونشرب حتى نقول أحبك

وعند الصباح ينام الشقي وتمضي الشقية[1]

■ نقل عن سلمان العودة قوله: أتريدون العالم أن يبقى محصورًا فقط في أحكام الذبائح والصيد، والنسك، والحيض، والنفاس، والوضوء، والغسل، والمسح على الخفين.

ثم علّق قائلاً: لا والله يا أخي سلمان العودة، لا نريد من العالم أن يبقى محصورًا في هذه المسائل.. ولكننا والله يا أخي سلمان العودة نطلب منك ألا تعتبر هذه المسائل قليلة الأهمية بالنسبة لغيرها.

اهتموا بمسائل السياسة ما شئتم.. ولكن تذكروا أنه بدون أحكام الوضوء لا تصح الصلاة، وبدون صلاة يكفر المسلم، سواء وصل الفقيه إلى السلطة أو لم يصل.

أحكام الجهاد ضد الامبريالية على العين وعلى الرأس، ولكن أحكام المسح على الخفين التي جاءت عن سيد الثقلين، ﷺ، لا تقل عنها أهمية.. فلا تستخفوا بها وتجعلوها مضرب الأمثال. اهـ[2].

(١) ديوان معركة بلا راية /٢٢.

(٢) الرسالة الرابعة /٢٨ ـ ٢٩.

*** عجبًا لك يا غازي كأنك لم تقل يومًا: علماء نرجو بركتهم ولا نقبل شهادتهم في السياسة، وكأنك لم تقل: نرجو من علمائنا الأفاضل أن يبقوا في تخصصاتهم ولا يخوضوا في بحار السياسة فيَغرقوا ويُغرقوا شبابنا معهم.**

أترى أن التمثيل بهذه المسائل في مخاطبة قوم يريدون حصر الدين فيها وعزله عن الحياة، يعد إهانة لها؟

أراك ـ هداك الله ـ تحشر اسم السياسة والسلطة بمناسبة وبدون مناسبة وكأنك تريد أن تثبت سعي هؤلاء العلماء لتحصيل السلطة بما لا يدع مجالاً لشكٍّ أو تأويل.

إذا كان كلام العلماء في أمور السياسة يعني السعي للاستيلاء على السلطة، فهل يعني كلامهم في الاقتصاد والإعلام سعيًا للاستيلاء على البنوك ووسائل الإعلام.

ثم لم لا يكون من تكلم من غيرهم في السياسة ـ وأنت منهم ـ كذلك، فيرمى بتهمة السعي للسلطة؟

إنك حينما نقلت هذا المقطع من كلام الشيخ لم تنصف وتنقل ما بعده، حيث قال لك: هل تريد هذا.. هيهات.. ألا تدري إنك بكلامك أسقطت مجموعة هائلة من فتاوى وبيانات هيئة كبار العلماء في هذه البلاد؟ اهـ.

إنك باختصار يا د. غازي تبحث عن أي شيء، لتقول أي شيء، فالله المستعان.

أتدري لو عاملناك بالمثل، ونقلنا ما في كتابك من أخطاء لعجب الناس منك ومن جهلك، أقول ما في كتابك فقط لا ما في كتاباتك، إني سأنقل هنا بعض ما عثرت عليه، لتعلم أنك كلك عورات وللناس ألسن، فاستمع لما سأقول وهو غيض من فيض:

سأقول أولا: إني قرأت سخريتك من صدام، وأنه لا يعرف قراءة القرآن، فلما سمعت قراءتك في الأشرطة التي سجلت فيها الرسائل بصوتك، عجبت من

قراءة الوزير، **فقد أخطأت في الآيتين اللتين اشتمل عليهما الشريط الأول، كما أخطأت في قراءة الآية التي وجهت بطبع عشرات الآلاف منها، لتكون على مرأى من كل مريض، وهي قوله تعالى: ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾**. [سورة الشعراء، الآية: ٨٠]. إضافة إلى أن الوزير لم يقرأ ولم يسمع بأحكام التجويد كما يظهر من قراءته، ولعل هذا راجع إلى أنك لم تدرس في مدارس هذه البلاد التي فاخرت طاغية العراق بقراءة طلابها.

وسأقول ثانيا: سمعناك تقرأ حديث رسول الله، ﷺ، وفيه «يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميَّة» بتخفيف الياء، وهي بالتشديد، **فلو أردنا تصيد الأخطاء، لجعلنا من هذا دليلاً على الجهل بحديث رسول الله، ﷺ، هذا فضلاً عن أخطائك في تخريج الأحاديث.**

وسأقول ثالثا: إنك ادّعيت المعرفة في علم أصول الفقه، ورأيناك لا تعرف الأدلة الشرعية، فقد ذكرت من الأدلة: العرف، وشرع من قبلنا، والاجتهاد[1] **ويعلم طلبة العلم أن الاجتهاد نفسه لا يكون إلا بدليل متفق على صحته، كما يعلمون أن العرف ليس دليلاً لإثبات الأحكام وإلا لتبدلت الشريعة. وإنما يستخدم في التطبيق فقط، كما يعلمون أن شرع من قبلنا لا يؤخذ منه الحكم بإطلاق، بل لابد من دلالة شرعنا عليه**، لأن كتب السابقين محرفة.

وسأقول رابعا: إنّك قلت عن مسألة إسبال الثوب: والسؤال هل وردت للوجوب فيعتبر مخالفها مرتكبًا حرامًا، أم للندب فيعتبر مخالفها قد أتى بمكروه[2].

قلت: ولم نسمع أنّ عالمًا من العلماء ـ حتى الذين تقبل شهادتهم ـ قال بأن من خالف المندوب أتى بمكروه، فيكون تارك سنة الضحى، والبداءة بالسلام، فاعلاً لمكروه.

وسأقول خامسا: إنـك قرأت اسم القرافي في شريطك بكسر القاف، والعلماء إنما

---

(١) الرسالة الأولى / ٢٠.

(٢) الرسالة الخامسة / ٢٥.

يعرفونه بفتحها، **فهل نقول إنك جاهل بأعلام الإسلام.**

وسأقول سادساً: إنك سخرت من قول الشيخ عايض القرني: فخورين جدًّا أن نكون من أولياء الله إن شاءالله.. واعتبرت هذا من التزكية المنهي عنها، وحرَّفت الكـلام ولم تذكـر الاستثنـاء[1].. وقد أبان هذا عن تأثرك بالأفكار الصّوفية، ونسيت أو تناسيت أن الناس فريقان **﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾.**

وأنت لا تصف نفسك بأنك من أولياء الله، فهل ترضى بالأخرى؟

وسأقول سابعاً: إنَّك قلت عن كلمة الشيخ عايض القرني، حينما قال عن المقابلة التي كابرت بإنكارها مع ثبوتها: أوصلها الله إلينا.. قلت في صفة العالم الورع: أي والله بالحرف الواحد، هكذا قال: نحن يا أخي ممن لا نسمى أنفسنا علماء الإسـلام، ولا ندعي أننا من أولياء الله، نحن والله لا نتحدث عن رب العزة والجلال بسوء الأدب هذا. اهـ[2].

فلا ندري أنعجب من الجهل بالعقيدة، أو باللغة العربية، أو من المكابرة والمهاترة؟ لأن علماء العقيدة وعلماء العربية لا يعدون هذا سوء أدب مطلقًا.

وسأقول ثامنـاً: ذكـرت أن الشيخ ناصر عميد كلية من كليات جامعـة الإمام محمد بن سعود الإسلامية[3]، ثم ذكرت أنه يدرس في كلية الشريعة[4] وذكرت أن في المملكة قرابة عشر جامعات، وأنه يقال لك إن الشيخ عايض يحاضر في واحدة منها[5].

---

(١) الرسالة الثالثة / ١٤.

(٢) المرجع السابق / ١٥ - ١٦.

(٣) الرسالة الأولى / ٩.

(٤) المرجع السابق / ٢٠.

(٥) الرسالة الثالثة / ١٥.

فهل يعجز الوزير السفير الكاتب الأديب أن يوثق معلوماته، بدل أن يعتمد على الأقاويل التي أوقعته في الجهل، فالشيخ ناصر ليس بعميد كلية ولا يدرس في كلية الشريعة، **وجامعات المملكة حتى صغار التلاميذ يعرفون أنها سبع وليست بعشر.**

وسأقول تاسعاً: إنك قلت: كان عدد الأجانب في البلاد يقدر بالآلاف، وهو اليوم يحسب بالملايين. أهـ[1] **فهل نعد هذا من الدين، أو من الوطنية؟**

أرأيت كيف نفعل لو تتبعنا العثرات، ونحن لم نذكر من ذلك إلا نماذج قليلة، مع أنا لم نسلك المسلك الذي سلكته في التحريف وإخضاع النصوص لما تريد، بل قلنا شيئًا يحكم القارىء عليه دون تصرف منّا في اللفظ أو المعنى.

---

(١) الرسالة الأولى /١٢.

٦ ـ ملحوظـات متفرقـة:

سأختم هذه الـوقفة بملحوظتين عامتين يلاحظهما حتى من يلقي نظرة عجلى على رسائل الدكتور.

أ ـ هدوء كالنار:

إنّي مثلت هذه الـرسائل بمثال رأيته مطابقًا، قلت: مثل هذه الرسائل كمثل حافظات الشاي والقهوة، تبدو من الخارج باردة جميلة زاهية الألوان ولكنها في الداخل تغلي وتفوح.

إن من يقـرأ هذه الرسائل، يجـد الأساليب التي تشعر القارىء بالهدوء وعدم التشنّج والانفعال، وتجعل الكاتب يظهر بمظهر الناصح المخلص الحريص على الخير، المحب لكل الناس، ولكن هذا المسلك لم ينقد للكاتب تمام الانقياد، إذ لم يستطع ضبط نفسه دائمًا، وإضافة إلى عدم القدرة على ضبط النفس تمامًا، فإن المتأمل في ثنايا العبارات يجد الحقد والضغينة، ومحاولات الدسّ والإثارة، كما عرضنا نماذج لذلك في النقطة الخاصة بالإثارة والتهويل.

فأنت تجد دائـمًا في ثنـايا الرسائل عبارات: يا أخي. ويا أخي الكريم ولكنك تجد بعدها مباشرة عبارة: تنبّه قبل إشعال حرب أهلية.. لا تدمر وحدة المسلمين.. لا تشق عصا الطاعة[1]، وسيزيد عجبك من هدوئه أن هذه العبارات وردت في رسالة عنوانها «مجادلة بالتي هي أحسن» وهي الرسالة الأولى الموجهة إلى الشيخ ناصر العمر.

ومن العبارات الهادئة قوله: هدانا الله وإياهم سواء السبيل، مع أنه وصف قبل سطرين من دعاهم الآن بأنهم مشعلو الفتنة والداعون إلى قيام حرب أهلية، ممن يقسّمون الأمة إلى علمانيين ومسلمين[2].

---

(١) الرسالة الأولى /٢٩.

(٢) المرجع السابق /٣.

ومن العبارات التي تفيض بالمساحة والنصيحة، قوله: أما أنا يا أخي الكريم فأشهد الله جلّت قدرته، وأشهد خلقه أنك آذيتني وعيّرتني وتتبّعت عوراتي.. ومع ذلك أدعو الله أن يجنبك الفضيحة في جوف رحلك. اهـ[1].

وآمل منك أخي القارىء أن تقرأ العبارات التالية، لترى عدم تمكنه من الصبر وضبط النفس حتى وإن ادّعى الهدوء، وهذه العبارات من الكتاب نفسه وبعد ورقتين فقط من الكلام السابق.

اسمعه يصف الشيخ عايض القرني الذي يبدو أنه سامحه ودعا له في العبارة السابقة:

- لـوكان له من الأمر شيء لما وصلت الكهرباء إلى بيت واحد في المملكة.
- لا يعرف من التقنية سوى الأشرطة التي تحمل نداءه بقطف رؤوس المسلمين.
- يجوب المملكة يدعو إلى صلب العلمانيين وشهر السيوف على المسلمين.
- لم يرهقه إلا صراخه في الميكرفونات مطالبًا بذبح المسلمين.
- الرجل الذي يكفيه من الأسلحة السيف وآلة الصلب.
- لم نعرف له مؤلفًا واحدًا.
- لا يعنيه سوى مصنع واحد ينتج سيوفًا تأخذ رؤوس المسلمين.
- يدرّس الآلاف من الطلبة الآن أنّ حب الله يعني تمزيق الوطن وصلب المسلمين.

ومضى الدكتور في قائمة طويلة على هذا المنوال، ثم قال: حسنًا يا أخي الكريم.. ها أنذا أشهد الله وملائكته وخلقه أني أبحتك كل ما قلته عني.

ولكنه لم يثبت على هذه المسامحة أيضًا فأخذ بعدها بصفحة واحدة يؤجج نارًا أخرى حينما قال: ثم ختمت حديثك فطالبت المستمعين بتجريد سيوفهم وسفك دماء من سميتهم بالظالمين.

فالله الله يا أخي في وحدة هذه الأمة.. والله الله يا أخي في دماء

---

(١) الرسالة الثالثة /٢٢.

المسلمين.. أنت تدعو إلى شهر السيوف في المساجد.. أنت تطلب من الناس في المسجد تجريد سيوفهم من أغمادها وقتل بعضهم البعض.. لا يستخفنك الشيطان والذين يوسوسون لك أنك ستكون خميني المملكة القادم.. لا تؤلّب الرعية على راعيها والمؤمن على المؤمن.. إلزم جماعة المسلمين.. إلزم إمام المسلمين.. احذر يا أخي عايض القرني أن تكون من مشعلي تلك المقتلة العظيمة التي حذرنا منها نبي الله، ﷺ[1].

والرسالة الثالثة أنموذج للهجوم البذيء، وقد ذكرنا هذا في النقطة الخاصة بالإثارة والتهويل، ولكنه يظن أنه يخدع الناس ببضع كلمات هادئات، ليخفي بهن انفعاله وتشنجه.

ولعلك أخي القارىء تتساءل عن السبب الذي جعله يرمي الشيخ بالدعوة لتجريد السيوف وصلب المسلمين، إنّه سمع الشيخ عايض يستشهد بقول الشاعر:

أخي جاوز الظالمون المدى	فحق الجهاد وحق الفدا
أنتركهم يغصبون الجزيرة	أرض الأبوة والسؤددا
فجرد حسامك من غمده	فليس له اليوم أن يغمدا

فظنّ - وهو الشاعر - ولعله تعمّد هذا الفهم، ليوهم القراء ويلبس عليهم، ظنّ أن هذه دعوة من الشيخ لتجريد السيوف، وما فهم - أو لم يرد أن يفهم أن المراد وجوب التشمير لكشف الباطل بكل الأساليب الممكنة.

وقد تعلق بعبارة ثانية هي قول الشيخ عايض: كيف إذا أُخذت رؤوسهم بسيف ولي الأمر، الذي يحمي رسالة التوحيد، فصلبهم بعد صلاة الجمعة وقطف رؤوسهم.

وأقول: ما دام أن ولي الأمر هو المنفذ، والمطبق عليهم الحكم هم

---

(١) المرجع السابق /٢٦ - ٣٤.

مفسدون، يفسدون دين الأمة وهو أهم ما تملك، فلم الاعتراض؟ ألم تعزز الثقة في ولي الأمر وتدعو إلى طاعته؟

ب - شبهات وافتراءات:

■ امتلأ الكتاب بألقاب وأسماء غريبة لم نسمعها من غيره في هذه البلاد، والملفت للنظر أنها ألقاب عامة، لم يحدد صفات من يطلقها عليهم ولا أعيانهم، وفي ظنّي أنه صنع هذا الصنيع حتى يعممها على كل من يخالفه فيما هو عليه.

● خذ مثلاً وصف «الفقهاء السياسيين» إن كان أراد به كل من تكلّم في السياسة فكل علماؤنا بهذه الصفة، والدليل على ذلك فتاوى وبيانات هيئة كبار العلماء، واللجنة الدائمة للإفتاء، وفتاوى ومقالات وخطب ومحاضرات ودروس كل علماء هذا البلد، وإن كان أراد به غير ذلك، فهو لم يحدد أسماء بعينها، مما يدل على أنه أطلق هذا الاسم عشوائيًّا، وهو لا يعلم من يريد، ويحتمل كلامه أنه إنما يريد مهاجمة المشايخ الثلاثة بأي طريق، ويحتمل أن لديه شيئًا يخفيه ولم يصرح به خوفًا أو مخاتلة.

● وخذ لفظ «الغلاة الجُدد» لم يحدد فيه أيضاً صفات ولا أسماء، فهل يريد به كل من لا يسبل ثوبه، أو لا يسمع الغناء والموسيقى، أو لا يحلق لحيته، أو يرفض التصوير لغير حاجة، أو لا يلعب الورق، أو لا يؤمِّن على نفسه وممتلكاته، أو لا يتعامل مع البنوك الربويّة، أو المحجبة من النساء، ونحوها من المسائل التي ختم بها الرسالة الخامسة، فهو إذن يصم عامة الشعب السعودي بوصمة الغلوِّ الجديد، ويجعلهم كالخوارج ونحوهم.

● وتجد أيضاً لفظ «الأصوليين»، و «ولاية الفقيه»، و «التقية» والمقارنة مع الخميني، والتمثيل بجهيمان، وهي كلها ألفاظ لم نسمعها تُطلق على أحد في هذه البلاد من قبل، فلا أدري ما الدافع لإثارتها اليوم؟ ولا زال يرنّ في أذني تصريح لسمو وزير الداخلية في أثناء فتنة الحرم التي كفى الله المسلمين شرّها، وهو قوله:

«لو أردنا أن نتهم الشعب السعودي باللحية، لأخذنا معظم الشعب بهذه التهمة» فليسمع هذا الكاتب عبارات وأفكار ولاة أمره ولينته عن فعله.

■ أثار شُبهًا وتهمًا حول الهيئات، وإنكار المنكر، فهو يقول: نتمنّى على إخوتنا رجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المملكة، أن يتأمّلوا هذه القاعدة الجليلة.. فبعضهم يستوقف رجلاً وزوجته مطالبًا بما يثبت الزواج.. مستنفرًا المشاعر إلى ما يكاد يوصل إلى صدام عنيف.. وبعضهم يتفوّه بألفاظ نابية في حق امرأة يعدها هو متبرجة.. **وإنما كشفت وجهها اتباعًا للقول الراجح في الفقه الإسلامي عبر العصور**.. فيجيء بمنكر لا يقلّ - وقد يزيد - عن المنكر الذي أراد منعه[1]. ويقول: «نتمنى على إخوتنا من الغُلاة الجُدد أن يتقوا الله ويتحاشوا إيغار صدور العامة على ولي الأمر في أمور يعدونها من المنكرات». أهـ[2].

* وأقـول: إنه على كثرة حرصي على تتبع هذه الحالة والدعوى - أعني اتهامه للهيئات بطلب إثبات الزوجية - لم أجد أحدًا واجهها أو سمع من أحد واجهها، ولا زال أصحاب الأهواء والشهوات يلوكونها منذ فترة طويلة ولم نر حقيقتها.

على أنه يمكن أن تكون حالة واحدة، وقعت على سبيل الندرة، وكان لهذا التصرف من قرائن التهمـة ما يبرره، وقـد قال الإمام ابن القيم في عبارة نقل الدكتور ما سبقها[3] ولم ينقلها لأنها ليست في صالحه: فقد حبس رسول الله، ﷺ، في تهمة، وعاقب في تهمة، لما ظهرت أمارات الريبة على المتّهم[4].

وأمـا إيغـار صدور العـامـة بأمـور يعدها من سماهم بالغُلاة الجُدد من المنكرات، فإن كان يرى أن بيان الأحكام للناس من إيغار صدور العامة وشقٍّ

(١) الرسالة الثانية /٢٢.

(٢) المرجع السابق /٢٣.

(٣) المرجع السابق /٣٣.

(٤) الإمام ابن القيم، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع بجدة، صفحة /١٦.

عصـا الـطاعـة، فهو يريد إذن إسكات العلماء، ونبحث هنا عن رأيه في تغيُّر الفتوى، وفتح باب الاجتهاد الذي يزعم أنه أغلق، وإتاحة المجال للرأي الآخر، فلا نجد شيئًا من ذلك، فنعجب من التناقض والتضارب.

هذه أبرز الملحوظات الجزئية على الرسائل القصيبية ـ إن صحّت التسمية ـ وقـد رأينـا خلالهـا عددًا من المسالك التي سلكها الدكتور، مما يجعلنا نشكّ، ونشكُّ، ونشكُّ كثيراً جدًّا في هذا الرجل، في صدقه، في إخلاصه، في ولائه لهذا البلد ولولاته، ولعل بقية هذا القسم يكشف جوانب أخرى من حقيقته، فالله المستعان.

الوقفة الثالثة:

اتهامات الدكتور القصيبي للأصوليين:

الخلفية - الواقعية - الهدف

لا أقصد بالاتهامات جملة الاتهامات التي أوردها في رسائله، فتلك قد مضى الحديث عنها في فقرة سابقة، وإنما أقصد نوعية خاصة من الاتهامات، هي المتعلقة بطلب الحكم وإثارة الفتنة.

وفي هذا المبحث سنسلك طريقة غير الطريقة السابقة، وهي طريقة تُشبهُ الطرق المستخدمة في المحاكمات، لكونها أكثر إتقانًا في عرض ورد مثل هذه الاتهامات، إضافة إلى أن تجديد الأسلوب قد يزيد القارىء نشاطًا لقراءة هذا البحث الطويل الملىء بما يتعب القلب ويقلقه من هموم المسلمين.

وفي هذه المحاكمة سنعتبر **رسائل الدكتور مذكرة الادعاء، وهذا المبحث ملف الدفع**، وسيقوم المحامي فيه بنقض التهم وبيان بطلانها، أما الحكم فسيترك للقارىء على ضوء ما يراه في عرض الدعاوى ونقضها.

فالمدعي في هذه المحاكمة هو الدكتور القصيبي، الذي تطوع فسجّل هذه التهم في رسائله الخمس المعروفة.

أما المحامي فهو كاتب هذه السطور، الذي يتمنى أن يلهمه الله الحقّ، ويعصمه من الزلل، ويجعل ذلك خالصًا لوجهه الكريم.

ملف الدفع:

لم أستغرب صدور هذه الاتهامات من الدكتور القصيبي، سواء كان مندفعًا بذاته أو مدفوعًا، وذلك للأمور الآتية:

الأول: أن هذه الاتهامات ما فتئنا نسمعها منذ أن بدأ العلمانيون يقومون خلفًا للمستعمر ونيابة عنه بحرب الدعوة إلى الله والدعاة إليه، وواقع العالم الإسلامي شاهد على ذلك.

الثاني: أن العلمانيين في المملكة أيسوا من إقناع الحكومة بأن تقوم بالدور الذي قامت به معظم حكومات الدول الإسلامية في حرب الدعوة والدعاة، فقاموا هم بالمهمة التي قامت بها المباحث والاستخبارات وأمن الدولة في أكثر بلاد المسلمين، وذلك بهدف إشعال فتيل العداوة والبغضاء بين حكومة هذه البلاد والعلماء والدعاة.

الثالث: أن الدكتور القصيبي نفسه له سوابق من الهجوم على علماء هذا البلد كبارًا وصغارًا، مما سأوضحه في موضع قادم إن شاءالله تعالى.

وقبل أن أنتقل إلى فقرات الملف دعني أسأل سؤالاً مهمًا وهو:

قد قال فيه المشايخ الثلاثة كلامًا كثيرًا لم نره تعرض له ولا نقضه.

- فمثلاً لاموه على قوله: نتمنى على بعض علمائنا أن يبقوا في تخصصاتهم ولا يخوضوا في بحور السياسة، وقالوا: إن هذا فصل بين الدين والسياسة، فلم نر في الرسائل توجيهًا، أو اعتذارًا عن هذه العبارة.
- وبيّنوا تناقض موقفه مع صدام مدحًا وهجاءً قبل الحرب وبعدها، فلم يتعرض لهذا الأمر.
- وعاتبوه على هجومه على من سماهم بالسادة الكرام، الذين يعتبرون المرأة مخلوقًا من الدرجة الثانية وربما العاشرة، فلم يشر لهذه المسألة أدنى إشارة.
- وبيّنوا كذبه في اتهامه للعلماء في مقالة «يوميات كاسيت» بالكذب فلم يردّ على ذلك.
- واستغربوا تناقضه في حديثه عن العلاّمة ابن القيم، ونزار قباني الشاعر الماجن، الذي يقول: قد يعرف الله في فردوسه المللا، ويقول: أنا أرفض الإحسان من يد خالقي، فلم يكشف سر هذا التناقض ويبرّره.
- واستنكروا تبرأه من حبّ المدح وحبّ الشهرة، مع كثرة مقالاته ومقابلاته، والمقالة المشهورة التي نشرها في الشرق الأوسط وهي قائمة برسائل المديح التي وصلته، فلم يعلّل هذا التناقض.

● وذكّروه بكلامه القبيح الذي نشرته مجلة «النيوزويك» و«التايم»، واعتبره الشيخ ابن باز حفظه الله والشيخ ابن حميد رحمه الله ردة إن لم يتب أو يعلن البراءة من هذا الكلام، فأنكر الحادثة جملة وتفصيلاً، وهذا من أعجب العجب.

● وأخيراً أوردوا نماذج من شعره الهابط، الذي يتحدث فيه عن الفاحشة والخمر ونحوهما، فلم يذكر هذه القضية حتى مجرد ذكر.

* أقول إني أسأل سؤالاً مهماً:

لِمَ لَمْ يتعرّض لهذه المسائل بل لجأ إلى الهجوم والاتهامات والافتراءات التي بينت كثيراً منها؟

* **ولعل الجواب سهل يسير وهو:**

أنّه لما كثر عليه الطرق، وتثاقلت عليه الأحمال، وجوبه بأمور إن أنكرها كُذِّب، وإن أوّلها ضَحِكَ منه الناس، ولم يوفقه الله بعد فيرزق قلبًا شجاعًا لا يخجل من إعلان التوبة والاعتراف بالخطأ والاعتذار عنه، لمّا لم يكن كذلك، لجأ إلى أسلوب الهجوم، والهجوم فقط، المجرّد من الدليل والبرهان.

ولعل مستندي في هذا الحكم أوضح من الشمس، فهو لم يهاجم صراحة إلا هؤلاء الثلاثة، وقد ذكر مرة واحدة فقط غيرهم، **وإذا علمت أن هؤلاء الثلاثة هم الذين تكلموا فيه، بان لك صدق مقالتي، إذ المشايخ غيرهم كثير، فَلِمَ خَصَّ هؤلاء؟**

ثم إنه لم يناقش من كلام هؤلاء المشايخ إلا ثلاثة أشرطة بنى عليها كل اتهاماته، **وإذا علمت أن هذه الأشرطة الثلاثة هي التي تُكلِّم عليه فيها، بان لك صدق مقالتي، وإلا فأشرطتهم تعدُّ بالمئات، فَلِمَ خَصَّ هذه الأشرطة الثلاثة؟**

ثم لِمَ لَمْ يتهم هؤلاء إلاّ بعد أن تكلموا فيه.. ألم يعرف خطرهم إلاّ الآن، وهم في مضمار الدعوة منذ أمد بعيد.. أم أنه ضَعْفُ الحيلة وقلة البصيرة، لأن منطق الحكمة يقتضي أنّ الشخص المطلع على وجود مؤامرات تحاك للإطاحة

بالحكم القائم والاستيلاء على السّلطة، أقول منطق الحكمة يقتضي وجوب كتمان هذه المؤامرات، والإبلاغ عنها بسرية تامة، حتى تتمكن السلطات المختصة من متابعتهم والقبض عليهم بسهولة. أمّا عامة الناس فما فائدتهم من معرفة ذلك.

لا أظن سفير دولة ومتخصصًا في السياسة يجهل هذا الأسلوب، لكنّه يعلم أن السلطات المختصة ستطالبه بأدلّة وإثباتات، وهو لا يملك إلا كلامًا سمعه في الأشرطة وحرَّفه وبتره، ونشره في هذه الرسائل، ظانًا أن الدولة تستفز بمثل هذه المهاترات، وظانًا أن الناس سيصدقونه لأول وهلة.

ومن العجائب، أن يتهم الدكتور السفير الوزير السابق الشاعر.. إلخ أشخاصًا لا يعرفهم، ولا يذكر أنه لقيهم قط، ولا تبادل معهم كلامًا وسلامًا[1] بمثل هذه التهم (الإطاحة بالحكم، إشعال الحرب الأهلية، تأليب الجماهير على الحكم، وغيرها).

وإني لا أعجب، وأعذر من يعجب لأنه لم يسمع بالعلمانية، ولا يعرف خططها، ولا يعرف الدكتور وسوابقه مع فطاحل علماء هذا البلد الذين تشرئب إليهم الأعناق، وتتطلع إليهم الأنظار مما ستعرفه بعد ذلك.

ونكتفي هنا بقوله تعالى: ﴿**أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم، ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم**﴾. [سورة محمد، الآيتان: ٢٩، ٣٠]. وقوله، ﷺ: «**إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم**»[2].

ولنعد الآن إلى فقرات ملف الدفع، لننقض ما غزله الدكتور، ونحلّ ما عقده، ونفلّ ما أبرمه، ونبطل ما أحكمه.

١ ـ أولى نقاط هذا الملف الكلام حول التهمة الرئيسة، وهي تهمة

---

(١) الرسالة الأولى /٩.

(٢) أخرجه مسلم عن عائشة برقم /٢٦٦٨.

الإطاحة بالحكومة والحلول محلها[1]، ولعلكم تفاجأون إذا قلت إني لن أتكلم عما ينقض هذه التهمة، فقد أصبحت هذه التهمة نكتة مضحكة مبكية في نظر الشعوب العربية، لأنهم ملّوا من لعب العلمانيين بهذه القضية وتكرارها وبخاصة مع الدعاة والعلماء.

غير أنه سيستوقفني هنا أمران:

أولهما: قوله: «حبُّ السّلطة من طبيعة البشر، وقوله: من ذا الذي يكره الاستئثار بالسلطة»[2].

لقد عرضت قبل منهج أهل السنة والجماعة، وموقفهم من الحكم والتعامل مع الحاكم، مما تبيّن معه أن الهدف هو حكم الناس بشريعة الله، كما أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويناصحون الولاة ويبيّنون لهم أخطاءهم، ولا ينزعون يدًا من طاعة بل يطيعون في المنشط والمكره والعسر واليسر، وإن أخذ مال أحدهم وضرب ظهره، إلّا أن يروا كفرًا بواحًا عندهم فيه من الله برهان فلا سمع ولا طاعة حينئذٍ.

فهذا هو المنهج الدقيق المحدد، الذي يحفظ على الأمة أمنها واستقرارها، كما يحفظها من الزيغ والفساد والضلال.

فلا يقال: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومناصحة ولاة الأمر، وبيان أخطائهم وأخطاء من تحت أيديهم، لا يقال إن هذا تأليب على الحكم وسعي لإضعافه، ثم إسقاطه والحلول محله، كما يقول العلمانيون.

ولا يقال: إن الطاعة لولي الأمر تعني السكوت عن المنكرات والأخطاء التي تقع عفوًا أو عمدًا من بعض الولاة أو من تحت أيديهم، كما يقوله بعض المخدوعين أو العوام.

أما قوله حب السلطة من طبيعة البشر، ومن ذا الذي يكره الاستئثار بالسلطة، فهو معذور فيه لاحتمال أنه يتحدث عن واقعه وواقع فئة يعيش بينها،

(١) الرسالة الرابعة ٢١.

(٢) المرجع السابق /١٦.

يستميتون ويخطّطون ويعملون الليل والنهار في سبيل الوصول إلى السلطة، بل إنهم يستذلون ويمرّغون وجوههم في التراب في سبيل الحصول على منصب أو التقـرب إلى صاحب منصب، ومن تكلم عن واقعـه الـذي تدل عليه أحواله وأقواله، فهو معذور من جهة، وإن كان مطالبًا بكشف الأمر من كل جوانبه.

وثانيهما: قوله إنّهم جزء من الاستراتيجية الأصولية الترابية[1]. وأقول باختصار عجبًا.. أو كلما أخطأ أحد الدعاة، ومال عن المنهج القويم لاجتهادٍ أو تعجلٍ، أو كلما ظهر أفّاك ينتسب إلى الإسلام والدعوة وهما منه براء، عُمِّمَ ذلك على جميع العلماء والدعاة.

* كل الدعاة في مصر ـ عند بعض القوم هناك ـ من جماعة التكفير أو منظمة الجهاد، وسل الإعلام يخبرك اليقينا.

* وكل الدعاة عندنا ـ في نظر القصيبي وأمثاله ـ من أتباع جهيمان وحملة أفكاره.

* وكل الدّعاة في العالم الإسلامي ـ في نظر العلمانيين ـ أنموذجهم المقتفى الثورة الإيرانية، وزعيمهم المقدّم الخميني.

واليوم بعـد أن أخـطأ الترابي ـ وكان يومًا ما لا يُذكر بسوء، بل يستقبل بحفاوة وترحيب إذا زار ـ أصبح الدعاة جزءًا من مخططه للاستيلاء على الخليج.

أما صـدام وعرفـات ونحوهمـا من البعثيين والعلمـانيين، فخطؤهم خطأ فرد، لا يتحمّـل حزب البعث ولا البعثيون في العالم العربي ولا العلمانيون منه شيئًا، مع اتحادهم في الأفكار والأهداف والغايات حتى قبل الغزو بأيام، بل كان قبل الغزو الشجاع الملهم، ثم انقلب بعد الغزو إلى الجبان الظالم.

والعجب أنهم يجعلون جريمة صدام هي فقط احتلال الكويت وتهديد المملكة، ويتجاهلون أن خطيئته قبل كل شيء كفره وضلاله، لأنهم يريدون إلغاء

---

(١) جريدة الشرق الأوسط العدد ٤٤٦٩ بتاريخ ٢٢/٢/١٩٩١م.

دور الإيمان من المعركة.

ومع اختلافنا في بعض نواحي الفكر مع الدكتور الترابي، إلا أن الإنسان يعجب من إطباق الصحافة الغربية وعملائها من العلمانيين على استنكار أي تحرك سياسي يرفع راية الإسلام، واعتبار ذلك استغلالاً للدين، وسعيًا للثورة والانقلاب تحت ستار الدين.

ونقول لهؤلاء: وهل هناك فهم للعلمانية غير هذا الفهم الذي يعزل الدين عن السياسة؟!

ونقول لهم أيضًا: لم لا يستنكر على الحركات العلمانية - شيوعية كانت أو غيرها - تحركاتها السياسية؟! وهل جاءت معظم الحكومات العلمانية في العالم الإسلامي، إلا عن طريق الانقلابات الدموية؟! ثم ماذا قدمت لبلادها بعد انقلاباتها؟

ونقول ثالثًا لأبناء جلدتنا وبلادنا من هؤلاء: قد كنا نسمعكم في وقت مضى، ولازال بعضكم إلى الآن يصف حكومة بلادنا بالرجعية والعشائرية والطائفية إلى آخرها من الألقاب المعروفة، فلم سكت بعضكم الآن؟ هل تغير في بلادنا شيء؟.

إن الذي تغير هو خطتكم فقط، التي انقلبت من الصراحة إلى النفاق.

٢ - لقد ابتكر المدعي لفظ «الفقهاء السياسيون»[(١)] وجعل منه علمًا على طبقة جديدة من فقهاء المملكة، وجّه إليها كل ما في جعبته من تهم، **فما هدف هذا المسلك؟ وما الذي جعله يسلكه؟**

في نظري أن لهذا المسلك أهدافًا وأسبابًا عدة منها:

أ - أنه لا يستطيع مهاجمة علماء المملكة قاطبة، فافتعل هذا المصطلح، لكي يهاجم هو وغيره من شاءوا من خلال هذا المصطلح.

ب - أنه يهدف إلى التفريق بين العلماء، بتقسيمهم إلى طبقتين أو أكثر.

---

(١) الرسالة الرابعة /١٤.

جـ - أنه يهدف إلى تحطيم الصف الثاني من العلماء، حتى يخلو الجوّ له ولطائفته إذا ذهب الصفّ الأول.

د - أنه يريد إشعال فتيل البغضاء بين الحكومة والعلماء واستعدائها عليهم، لأنهم العقبة التي تقف في وجه مخططات العلمانية.

ولننظر بعد معرفة هذه الأسباب والأهداف، ماذا قال في تحديد صفة هؤلاء العلماء الذين سمّاهم بالفقهاء السياسيين:

■ **قال**: «إنهم غلاة جدد أحفاد الغلاة القدامى»[1]، ولم يعرفنا بالغلاة القدامى، ولم يحدد صفات هؤلاء الغلاة الجدد، فقد يكون فضح العلمانيين وبيان خططهم ومكائدهم إحدى هذه الصفات، لأننا لم نر منهم إلّا ذلك.

■ **وقال**: «إنّهم يختلفون جذريًّا عن علمائنا الذين ألفهم مجتمعنا»[2]، ولم يبيّن لنا وجوه الاختلاف، فكلّ علمائنا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقولون كلمة الحق، ويناصحون ولاة الأمر، ويوجهون الناس، فلم نر هذا الاختلاف الجذري لا في الفكر ولا في الأساليب.

■ **وقال**: «إنّهم فقهاء زعماء ساسة يتبعون كل أساليب المعارضة السياسية[3]، ولم يبين لنا هذه الأساليب، فتأملنا أساليبهم فلم نجد أساليب المعارضة، ولم نر منهم إلا دعوة إلى التمسك بالكتاب والسنة وحرصًا على وحدة الأمة، وأمرًا بطاعة ولاة الأمر، وتحذيرًا من الفتن والإخلال بالأمن.

■ **وقال عنهم**: «إنّهم يقودون جهاداً»[4]، فلم نر منهم إلا جهادًا باللسان والكلمة والقلم في نصح المسلمين وفضح المفسدين، ونعم الجهاد هذا.

إنّه والله من السفه أن يقدّم المدعي هذا الاستدعاء، أو الاستعداء إلى مفتي

---

(١) الرسالة الثالثة / ٣٠.

(٢) الرسالة الرابعة / ١٤.

(٣) المرجع السابق / ٢٥.

(٤) المرجع السابق / ٢٦.

المسلمين[1]، وعلماء المسلمين[2]، وهم لا يعرفون عن تلاميذهم شيئًا مما ذكره المدعي، فقد صنعوهم على أعينهم وربّوهم على أيديهم، ويعلمون ما هم عليه من الفكر والعمل، فتشكيكهم فيما يعلمونه غاية السّفه، لأنهم يدركون أن من شكّك في تلاميذهم اليوم، فسيشكك فيهم غدًا، لأنّ الفكر والمنهج والأسلوب واحد.

كيف؟ وهـذه الاتهامات عبارة عن استنتاج من عبارات حرِّفت وبُترت، حتى صارت موافقة لما يريد المدعي أن يصل إليه منها، وهذه العبارات لثلاثة من العلماء لا يعرفهم من قبل، وإنّما سمعها كما يقول في ثلاثة أشرطة[3] هاجمه فيها هؤلاء المشايخ، فهل يقبل اتهام يرفعه مثل هذا في دعوى متهافتة مثل هذه.

* **ثم أخيراً ماذا يعني بلفظ «الفقهاء السياسيون»؟**

● هل هو إنكار لصلاحية الفقيه لتولي السلطة؟، فهذا كفر، لأنه قدح في رسول الله، ﷺ، وهو سيد الفقهاء وسيد السياسيين، وقدح في خلفائه الراشدين ومن بعدهم من حكام الأمة الإسلامية، فهم ما بين فقيه مجتهد، وما بين حاكم صالح مقرِّب للفقهاء، لا يصدر إلا عن رأيهم، وعلى هذا قامت هذه الدولة «السعودية» منذ نشأتها.

● وإن كان يقصد بالفقهاء السياسيين الإنكار على علماء الإسلام، ودعوتهم إلى عدم الخوض في السياسة كما صرح بذلك غير مرة، فهذه والله العلمانية بعينها، ولا مفر له بعد هذين الخيارين، فليختر أحدهما، أو ليتب إلى الله ويعتذر.

وهذه القضية من أصرح ما يبين منهج الرجل ونظرته للدين، فقد ضرب نفسه بعصاه التي يلوح بها في وجوه العلماء، وكشف عما في نفسه بيده، وشف

---

(١) الرسالة الأولى /٣، ١١.

(٢) الرسالة الخامسة /صفحة العنوان.

(٣) الرسالة الأولى /٩، والثالثة /١١.

لسانه عما يكنه جنانه، **﴿ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم﴾**. [سورة محمد، الآية: ٣٠].

٣ - لقد أيّد المدعي حجته بأن النموذج النظري الذي حرّك هؤلاء الفقهاء السياسيين هو «ولاية الفقيه»[١].

وهو يدعي أنّ الخميني ابتكر هذه النظرية، وأن موجزها أن السلطة يجب أن تكون حكرًا للفقهاء[٢]، ويزعم أن الحركات الإسلامية تبنّت هذه النظرية منذ بدأت صراعها مع الحكومات العلمانية[٣]، ويخلص إلى نتيجة هي: أن من سماهم «الفقهاء السياسيون» يدعون إلى هذه النظرية، ويستدلّ بأقوال بعضهم على صدق دعواه[٤]، التي قد نفهم منها بأنه يصنف هؤلاء من السائرين على خط الإمام!!

وأنا أقول - مستعينًا بالله - ناقضًا هذه الدعوى، ومبيِّنًا تهافت كلام المدعي، إنّ ولاية الفقيه لها أصل في عقائد الشّيعة المشهورة، وهي عقيدة النيابة عن الإمام المعصوم، وبعض الشيعة يخصّ نيابة الفقيه عن الإمام في المهمة الدينية، وبعضهم - ومنهم الخميني - يعمّمها على كل أمور الحياة، وقد بعث الخميني هذه العقيدة وتحمّس لها، ونقل عن بعض كبار أئمة الشيعة المتقدمين ما يؤكدها كالطّوسي والطّبرسي والشيخ الصدوق[٥]، وقد وافقه على هذه العقيدة جلّ فقهاء الشيعة المعاصرين، ولم يعارضه فيها إلا عدد قليل معظمهم من العرب ومن أبرزهم محمد جواد مغنية[٦].

---

(١) الرسالة الرابعة /١٤.

(٢) المرجع السابق /١٥.

(٣) المرجع السابق /١٦.

(٤) المرجع السابق /٣٠.

(٥) روح الله خميني - كشف الأسرار، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان ط ١ سنة ١٤٠٨هـ صفحة /٢٠٦ - ٢٠٧.

(٦) عبدالله بن محمد الغريب، وجاء دور المجوس /١٩٥ - ١٩٦.

وحيث عرف أنّ هذه عقيدة شيعية راسخة قديمة، فإننا نستغرب أن تنسب إلى أهل السنة، وأنا أطالب هذا المدعي - مع جزمي بعجزه سلفًا - أن يثبت نصًا واحدًا عن أحد من علماء أهل السنة يفهم منه الناس دون تحريف أو تحميل أو تأويل المناداة بحصر السلطة في الفقهاء.

إن الخميني نفسه يعلم هذه الحقيقة عن أهل السنة، ويعلم عقيدتهم في ذلك حين قال: «بلاد السنة تؤمن بطاعة حكامها، أما الشيعة فقد كانوا دائمًا يؤمنون بالثورة»[1].

ونحن لا نعجب من تناقضه وصنيعه، لأننا نعلم سلفًا قصده السيء وإرادته الكيد والدسيسة بما أفصح عنه لسانه، ولهذا فهو يتجاهل الأمر الذي عرفه العالم كله عن علماء هذا البلد، وهو بغضهم للرافضة وعداوتهم لهم، وترى علماء كثيرين في العالم الإسلامي ينادون بالتقريب بين المذاهب السّنية والشيعية، وبوحدة المذاهب الإسلامية على اختلافها، ولا يقف في وجوه هذه الدعوات ويبين خطورتها على المسلمين، وعلى الإسلام ويحذر من الرافضة ومذهبهم الباطل ويبين بغضهم لأهل السنة، إلا علماء هذا البلد وقلة من العلماء من غيره، وقد شهد بهذا المدعي حينما اتّهم العلماء بالتفريق بين أبناء البلد الواحد، بسبب تعرّضهم لجزء كبير من شعب المملكة - كما يقول - وهم الرافضة[2].

ثم يأتي هنا ليناقض نفسه، ويزعم أن هؤلاء العلماء أنفسهم يجعلون النموذج المقتفى لهم الثورة الإيرانية، ويدعون إلى الأفكار التي نادى بها الخميني، معتمدًا على شريط لسلمان العودة، حرّف فيه، وبدّل، وحمّل النّصوص مالا تحتمل، فلنتعرف على أدلته على وجود ولاية الفقيه عند علمائنا.

■ نقل عن الخميني قوله: لا نريد لشبابنا أن يتصور علماءنا في زاوية في النجف أو في قم يدرسون مسائل الحيض والنفاس بدلاً من التركيز على السياسة.

---

(١) الرسالة الرابعة /٩.

(٢) المرجع السابق /٢٣.

ثم نقل عن سلمان العودة قوله: أتريد من العالم أن يبقى محصورًا فقط في أحكام الذبائح والصيد والنسك والحيض والنفاس والوضوء والغسل والمسح على الخفين، وأن يترك قضايا الأمة لغيره ممن لم يتذوقوا طعم العلم الشرعي، ولم يعرفوا ببلائهم وجهادهم في سبيل الله، ولا شهدت لهم الأمة بالجهاد في ميدان دعوتها وعودتها إلى الصراط المستقيم.

ثم قال المدعي: هذه ـ والله ـ ولاية الفقيه بعينها يبشّر بها جهارًا نهارًا أخونا سلمان العودة[1].

* **وأقول**: لعل المتأمل في النصين جميعًا لا يجد فيهما ما يدلّ على دعوى المدعي التي أقسم على أن النص الثاني يدلّ عليها.

إن كل مسلم يجب عليه أن يعتقد أن علماء المسلمين يجب أن يبيِّنوا حكم الله في كل شأن من شئون الحياة، ومنها شأن السياسة، إذ الإسلام دين الحياة، ومن اعتقد خلاف ذلك فقد كفر، وإذا كان الخميني أراد أن يصل من كلامه هذا إلى ولاية الفقيه، فما ذنب علماء السنة إذا وافقهم أعداؤهم في جزئية أو جزئيات.

وإذا علمت أن النصّ الذي ساقه عن سلمان العودة هو ردّ من الشيخ سلمان على المدعي لقوله في إحدى مقالاته: «نتمنًى على بعض علمائنا الكرام أن يبقوا في مجال تخصصهم، وأن لا يزجّوا بأنفسهم في بحار السياسة» وهو المقال الذي ذكر فيه أنه لا يقبل شهادة الفقهاء في السياسة[2]. وقد قال له الشيخ سلمان بعد الكلام الذي نقله المدعي في رسالته: «إنك بكلامك هذا أسقطت مجموعة هائلة من فتاوى هيئة كبار العلماء تتعلق بأمور سياسية بجميع المقاييس، وأسندت الأمر في هذه الفتاوى إلى من تنوهم أنت وتقبل شهادتهم»[3].

فهل يقول المنصف إن هذه دعوة إلى ولاية الفقيه؟

---

(١) المرجع السابق /٢٨ ـ ٣٠.

(٢) جريدة صوت الكويت الدولي عدد ٢٠/٥/١٤١١هـ.

(٣) الشريط الإسلامي ماله وما عليه.

■ نقل المدعي عن الخميني قوله: كل قضايا المسلمين موكولة إلى الفقهاء.

ثم قال: ومن هذا المنطلق عاب علي أخي الكريم سلمان العودة تعرّضي لشئون الصناعة والتنمية والصحة.. وتعرضي للعلاقات الدولية.. وتعرضي إلى ما سماه «*تخصصنا*» [يعني علوم الشريعة].

وقد بنى المدّعي على هذا الكلام، أنّ سلمان العودة ينادي بولاية الفقيه، واعتبر هذا من أقوى الأدلّة[1].

*** وأنا أقول**: قال سلمان العودة ـ وفقه الله ـ كلاماً قبل هذا يبيّن مقصده، وهو «إنّك تطالب باحترام التخصّص كما هو ظاهر من عبارتك [يعني العبارة السابقة في حقّ العلماء] وهذا إجمالاً ممكن ومعقول، ولكن لننظر هل هذه قاعدة عامة لكل الناس، أم أنك مستثنى من هذه القاعدة ولك الحق في طرق أي موضوع بدون استثناء»[2].

فقد اتضح بهذا الكلام أن الشيخ لا يدعو إلى ولاية الفقيه، وإنما يعرض تناقض رجل يطلب من الناس الالتزام بتخصصاتهم، وهو لا يلتزم ذلك، ومن رجع إلى الشريط رأى الوثائق التي أوردها الشيخ سلمان.

■ نقل عن الخميني حديثه باحتقار عن الذين درسوا في الخارج، ثم قال المدعي: وأخي الكريم سلمان العودة من المنطلق نفسه يتساءل، لماذا لم تثر حميتي الدينية ضد الذي علّمني الاقتصاد؟

ثم قال: والسبب أنه في ولاية الفقيه «معرفة الفقيه» تكفي لإدارة كل شيء[3].

* وأقول: ليس السبب هو ولاية الفقيه، إن السبب هو ما أوضحه الشيخ بقوله «ما هذه التناقضات، إنني لا أستطيع أن أفهم شخصًا يتكلم عن ابن القيم

---

(١) الرسالة الرابعة /٣١ ـ ٣٢.

(٢) الشريط الإسلامي ماله وما عليه.

(٣) الرسالة الرابعة /٣٣.

ومـالك والشافعي والشاطبي - رحمهم الله - ثم يتكلم بلهجة التعظيم عن نزار قبـاني وطـه حسـين [والـذي علمـك الاقتصـاد وهـو قد عرف بإعلانه الكفر والفسوق]، لم لا تتكلم عن مناوأتهم للأمة ومخالفتهم حتى لأخلاقياتها وقيمها، بل حتى لمصالحها[1].

فالشيخ يسأل لِمَ ثارت حميتك في حدّ القذف، والذي ظهر منه مطالبتك بحدّ من تكلم في نساء ظهر منهن الفسوق والفجر، والدعوة إلى قيادة السيارة التي يقصـد منهـا إشاعة الفساد وهو منكر أنكره العلماء، ولم تثر ضد هؤلاء الثلاثة وأمثالهم من أعداء الأمة، فهل نقول بعد هذا إنّ ولاية الفقيه هي السبب في تساؤل الشيخ.

هذه أظهر حجج المدّعي على دعوى أن علماءنا يدعون إلى ولاية الفقيه، وقد ظهر - بحمد الله - بطلانها وتهافتها، **وليعلم أنّ الذي دعاه إلى الحديث عن ولاية الفقيه في رده على سلمان العودة، أن شريط العودة موثّق، ومملوء بالحقائق الـدامغة، التي لم يستطع المدعي الرد عليها، ولهذا بحث عن أمر يعلّق عليه تهمه، ليفرغ ما في نفسه من غيظ من خلال هذا المسلك.**

٤ - لقـد زعم هذا المـدعي أنّ هؤلاء العلماء يدعون إلى حرب أهلية، تُسفك فيها دماء المسلمين[2]، والذي جعله يزعم هذا الزعم ويهول هذه القضية، كلمة وأبيات ذكرها الشيخ عايض القرني في شريطه.

أما الكلمة فهي قولة الشيخ: كيف إذا أُخِذَتْ رؤوسهم بسيف ولي الأمر، فصلبهم بعد صلاة الجمعة.

فهـل يفهم عاقـل يعرف اللغة العربية من هذه العبارة دعوة إلى حرب أهلية، أو لسفك دماء المسلمين، فالقائم بالمهمة ولي الأمر، والمصلوب هم أحفاد المنافقين من العلمانيين.

---

(١) الشريط الإسلامي ماله وما عليه.

(٢) الرسالة الثالثة /٢٧ و٢٨ والرسالة الرابعة /٢٤.

وأما الأبيات التي تمثل بها الشيخ فهي:

أخي جاوز الظالمون المدى ... فحق الجهاد وحق الفدا
أنتركهم يغصبون «الجزيرة» ... أرض الأبوة والسؤددا
فجرّد حسامك من غمده ... فليس له اليوم أن يغمدا

فهل نعدّ هذه دعوة من الشيخ لمن في المسجد لتجريد سيوفهم وقتل بعضهم بعضًا، كما زعمه المدعي هداه الله، أم أنه نداء موجه لولي الأمر تذكيرًا له بخطر هذه الفئة التي تستحق أن يجرد لها السيف، كما جرده الآباء ضد لصوص العقيدة.

ولما استنتج المدعي من هذين النصين أنّ الشيخ يدعو إلى حرب أهلية تسفك فيها الدماء، قاس عليها كل محاضراته وهو لم يسمع منها شيئًا، فجعل الشيخ يجوب القرى والمدن والوديان والهجر في المملكة داعيًا لهذه الحرب ولسفك الدماء، بل حتى محاضراته في الكليّة هي تعليم الطلبة أنّ حب الله يعني تمزيق الوطن وسفك دماء المسلمين.

ولكن من عجيب صنع الله به، أنه شنّع على الشيخ غير مرة لندائه بصلب العلمانيين[1]، فعرفنا أن هذا كله دفاع عن العلمانيين ليس إلاّ.

وأما النصّ الذي استنتج منه المدعي الدعوة العلنية الاستفزازية إلى حرب أهلية والتي ينادي بها لأول مرة في تاريخ المملكة، فهو قول الشيخ ناصر العمر: العلمانيون الآن يريدون أن يستدرجوا شباب الصحوة إلى الفخّ الذي يحيكونه لهم، يريدون أن يستغلّوا هذا الحماس فيدفعوا كثيرًا من الطيبين إلى أمور تكون عاقبتها وخيمة، فالله الله، الحذر الحذر من الاستدراج، والعلمانيون أيها الأخوة مشكلتهم إنهم يعيشون بيننا.. إلخ»[2].

فهل يفهم من هذا النص دعوة لحرب أهلية بصورة علنية استفزازية، أو

---

(١) الرسالة الثالثة /٢٧.

(٢) شريط «السكينة.. السكينة».

يفهم منه دعوة إلى ضبط النفس والحذر من التصرفات الهوجاء.

لا شكّ أن اللبيب سيفهم الثاني قطعًا، خصوصًا إذا سمع الشيخ بعد ذلك يتحدّث قائلاً: «نحن مطالبون أن نحفظ أمن المجتمع، أن نحفظ أمن هذا البلد، لأنه أيها الأخوة إذا اختلّ الأمن حدثت الفوضى، وإذا حدثت الفوضى ـ لا قدّر الله ـ فستكون كارثة على الطيبين وعلى السيئين، وكارثتها على الطيبين أكثر، لأن السيئين لا يستحقون البقاء، ولا يستحقون العيش في هذه الحياة، ولكنّ الخوف على أمن هذا المجتمع ينبع منهم، فالله الله حافظوا على أمن مجتمعكم، حافظوا على أمن بلادكم»[1].

وإذا فهم اللبيب العاقل أنّ هذا الكلام معناه الحثّ على ضبط النفس، والأمر بالمحافظة على الأمن، فماذا نقول لمن فهم منه أنه خطة من الطيبين حتى يكلموا استعدادهم، ومن ثم يقوموا بهذه الحرب، وأقول: أنا أجزم أنه يقول بلسانه ما لا يعتقده قلبه، ولكن له مآرب أخرى، نسأل الله أن يهديه ليتوب منها، أو يفضحه ليسلم الناس منها.

٥ ـ لقد زعم المدّعي ـ هداه الله ـ أن العلماء ـ بهدف إضعاف الحكم ـ يقومون بتأليب الناس على نظام الحكم بشكل يدعو إلى العصيان المسلح[2] [نعم.. العصيان المسلح]، وشاهده على ذلك نصٌّ مفاده: أن هناك أنظمة تخالف الشّرع، وأنظمة جيّدة، ولكن لا تطبق كليًّا، ووجود ألفاظ الكفر في بعض الصحف السعودية، ونحو ذلك، وعلق على النصّ بقوله:

أليس معنى هذا: أنّ النظام أصبح علمانيًّا لابدّ من الإطاحة به؟ ثم استشهد بكلمة لصاحب النصّ، وهي قوله: «مهمتنا أن نعمل على تغيير الواقع».

ولا أدري مِمَّ أعجب، هل من الكذب، أو من التحريف؟

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الرسالة الرابعة /٢٢ ـ ٢٣.

فهل يخلو نظام الحكم ـ في كل قطاعاته ـ من خطأ؟

سيكون الجواب ـ قطعًا ـ لا .

فهل يُعدُّ التنبيه إلى الأخطاء، وتوجيه الناس وتحذيرهم من الأخطار والأعداء والمفسدين دليلاً على وجود نيّة الإطاحة بالحكم؟ .

إذن أصبح كلُّ علماؤنا كذلك، ولعله ما يريد أن يصل إليه المدعي يومًا ما، فيعمم هذه التهمة على كل علمائنا .

بل أصبح كل الشعب عنده هذه النية، لأننا ـ بحمد الله ـ عودنا ـ في هذا البلد فتعودنا أن نقول كلمة الحق، وننبّه إلى الخطأ فنشكر على ذلك، وما فتحت أبواب المسؤولين إلا لذلك .

بل حتى هو يمكن أن يدخل في هذا المخطط لأننا طالما قرأنا له نقدًا للتعليم والإعلام وغيرها ! !

إن الأخطاء موجودة في أجهزة الدولة، فالربا مخالف لشرع الله بنصّ القرآن، والإعلام مليء بالمخالفات الشرعيّة، بل حتى بالمخالفات للسياسة الإعلامية للمملكة، والصحف السعودية قد تنشر الكفر الصريح[1] فتوقف الصحيفة ثلاثة أيام أو أربعة، أو يعاتب الكاتب ليس إلاّ، ولا ننسى حكم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله، وسماحة الشيخ عبدالله بن حميد ـ رحمه الله ـ على المدعي بالردة إن لم يعلن التوبة أو يعلن التكذيب لمقالته .

ومع هذا تظلّ هذه الأخطاء ممارسات أفراد، لا تشكّل الصفة الغالبة للنظام، حتى نقول بأنه ينقلب بسببها إلى علماني .

إن هذه الأخطاء أورام، تنتظر مبضع الجراح (وهو ولي الأمر) ليزيلها ويزيل أسبابها ومن وراءها .

ولو جئت أيها المدعي بعبارة الشيخ كاملة، لعلم الناس سوء قصدك ولكنك بترتها لتؤدي ما في نفسك، فالشيخ يقول: ليست مهمتنا أن نغيّر الواقع،

---

(١) ذكرنا نماذج من ذلك في القسم الأول .

بل أن نعمل على تغيير الواقع سواء تغيّر أم لا ، وكررها الشيخ ، وقال افهموها[1]، ولكن الدكتور الكريم يأبى أن يفهم.

٦ ـ يقول الكاتب في معرض الموازنة بين الوضع في إيران والوضع عندنا: «في الحالتين كان الكاسيت أمضى أسلحة الثورة» [2].

وإني لأسأل الناس في هذا البلد: **أترون عندنا ثورة؟**

كيف يرى هذا الرجل وهو في البحرين مالا ترون؟

وأعود إلى الكاسيت المسكين الذي يلقى حملة شعواء من الغرب والشرق وأذنابهما، فالعلمانيون ـ عندنا ـ قد أغاظهم هذا الكاسيت كما أغاظ أسيادهم لأنه أصبح من أهم وسائل نشر الوعي الإسلامي بين الناس، حيث يسمعه الكبير والصغير والنساء والرجال على كل المستويات الثقافية. فخافوا أن يصدّ الناس عنهم، ولم يكفهم أنهم يستخدمون وسائل الإعلام الأخرى التي تبثّ أفكارهم بصور متعدّدة وإلى كل أحد.

وسبب حملتهم العامة على الكاسيت، أنهم لم يجدوا مدخلاً لمنع ما يريدونه من مواد، إذ الأشرطة التي يريدون منعها لا تدعو إلى إسقاط الحكم، ولا تأليب الرعيّة، ولا العصيان المفتوح، فلم يجدوا مدخلاً للمنع، فلجأوا إلى أسلوب التعميم، وهو أسلوب فاشل بإذن الله بداية ونهاية، لأن ولاة الأمر يعلمون فائدة هذه الأشرطة للأمة وما تحمله من علم وهدى وخير.

٧ ـ لا أدري ماذا يريد المدعي بالثورة والتحريض الذي يتطوّر إلى الاجتماعات الحاشدة، ثم إلى عصيان مفتوح، حينما ذكر هذا في معرض الموازنة بين الوضع في إيران والوضع عندنا؟ [3].

---

(١) شريط «السكينة.. السكينة».

(٢) الرسالة الرابعة /٢٦.

(٣) المرجع السابق /٢٦.

هل يعني بها المظاهرات؟

فإننا ـ بحمد الله ـ لم نرها في بلادنا إلّا أخيراً، ومن ثُلَّةٍ نكِرَها المجتمع، لتحديها دين المجتمع، وأنظمة دولته وقيمه الأخلاقية.

وإن كان يقصد بها الجموع التي تحضر المحاضرات وخطب الجُمع ودروس العلماء، فإنّ المكيدة هنا كالمكيدة في الأشرطة، لما لم يجدوا مدخلاً لجأوا إلى التعميم إمعانًا في التلبيس والمخادعة.

٨ ـ قال المدعي: إن العلماء شقُّوا إجماع الأمة في أحرج اللحظات خلال أزمة الخليج[١].

وأقول: إن جميع العلماء الذين قصدتهم، حتى سفر الحوالي وسلمان العودة، كانوا جميعًا يقولون: «أما وقد قال كبار العلماء كلمتهم فلا كلام لأمثالنا» وأشرطتهم خلال الأزمة شاهدة على ذلك.

لكنهم كانوا ينبِّهون إلى أنَّ الاعتماد والتوكّل على الله يجب أن يسبق الأسباب الماديّة، وكذلك يفعل كل علماؤنا.

كانوا يقولون: إنّ استفادتنا من الكفار واستعانتنا بهم، يجب أن لا تُنسينَا أنّهم كفار ونحن مسلمون، فلا حب ولا مودة بيننا وبينهم بنصّ القرآن، وكذلك يفعل علماؤنا جميعًا.

كانوا يؤكدون أنّ الكافر لا يؤمن جانبه، فقد يخون وهو لا يعمل إلّا لمصلحته، ويسردون وقائع التاريخ التي تؤكد ذلك للذكرى، وينبّهون على وجوب الحذر منه وأخذ الاحتياطات اللازمة، وكذلك يفعل علماؤنا، بل كان الشيخ ابن باز ـ حفظه الله ـ ينهى عن تسميتهم أصدقاء، وكان يسميهم دائمًا الأعداء في أشرطته التي قالها في أثناء الأزمة.

وهب أنّ عالمًا منهم قال رأيًا يخالف ما تبنته الحكومة، أوليس باب الاجتهاد مفتوحًا لم يغلق؟ أوليس الرأي الآخر يجب أن يتاح له المجال؟ أم أن هذه القواعد

---

(١) المرجع السابق /٢١ ـ ٢٢.

والدعاوى التي ينادي بها المدعي ومن معه تُطبَّق على كل أحد إلّا العلماء الذين يخالفونهم في الرأي؟

ثم من الذي شقّ إجماع الأمة: أهو الذي ينبّه الأمة إلى الأخطار المحدقة، ويرشدها إلى أخذ الحذر؟ أم الذي يستغلّ الحدث لشغل الأمة بقضايا، الهدف منها فساد المجتمع، كالمطالبة بقيادة المرأة للسيّارة التي يعلم الناس ما وراءها ومن وراءها، أو قضايا تمزّق جمع الأمة وتفرّق بين ولاة الأمر والعلماء، كرسائل هذا المدعي التي شحنها بالهجوم على علماء الأمة.

إن النـاس في هذا البلد ـ ولله الحمد ـ وولاة أمرهم يعرفون الحق من الباطل والمصلح من المفسد، ويعلمون فضل العلماء على هذا البلد منذ نشأته إلى اليوم في المحافظةعلى وحدته وأمنه، مهما عمل المرجفون والمفسدون.

٩ ـ أمّـا كلام المـدعي عن الفتـاوى واستغـلال من سمّاهم بالفقهـاء السياسيين لها ليؤلبوا بها الناس على الحكم[١]، فإنّ لنا معها جولة أخرى سنرى فيها إن شاءالله حقيقة دعواه وسببها وخلفيتها، وهي دعوى سبقه إليها أسلافه، فنؤجـل الكـلام عنهـا إلى موضعه والله المستعان، ﴿**وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون**﴾. [سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧].

(١) الرسالة الخامسة / ١٠.

الوقفة الرابعة:

الاجتهاد والفتوى عند القصيبي، وسيلة، أم غاية

هذا الموضوع ليس وليد هذه الأيام، وليس من بنات أفكار الدكتور القصيبي، فمنذ أن بدأت أوائل البعثات الدراسية التي خرجت من مصر وبعض بلدان المغرب العربي وغيرها، تعود إلى بلدانها يغمرها الإعجاب بالغرب وحضارته المادية، وهي تطرح مثل هذه القضايا التي لُقِّنت إياها أو تشرَّبت بها هناك.

وقبل أن أعرض بعض النماذج والشواهد دعني أطرح تساؤلاً ينبغي أن يُبدأ به.

ما الهدف من هذه الحملة التي يقودها بعض أبناء المسلمين، مدفوعين إليها أو مندفعين؟

ثم ما الخطر من طرق هذه الموضوعات حتى نقف في وجه من يطرحها؟

والإجابة على هذا: أن لهذه الحملة أهدافًا عديدة، يشكل تحقيقها خطرًا على الإسلام والمسلمين ومنها:

١ ـ أنَّ الدعوة إلى الاجتهاد والقول بجواز تغيّر الفتوى كلاهما حق، ولكنه حق يراد به الباطل، إذ إن هذا من أعظم مداخل الاستعمار، **للاقتراب بالإسلام من أفانين المدنيّة الافرنجيّة الحاضرة**(١)، وذلك بتغريب الإسلام أو بحصر مفهومه في مجال الحياة الروحيّة فقط.

٢ ـ يقصد أصحاب هذه الدعوة بها: **إضعاف ثقة أبناء المسلمين بدينهم،** وذلك بإظهاره في صورة المختلف المضطرب الذي يقول فيه كل من شاء ما

(١) بكر بن عبدالله أبوزيد «التعالم وأثره على الفكر والكتاب» دار الراية بالرياض، ط١ سنة ١٤٠٨هـ صفحة /٥٨.

شاء، ولو تأملت المسائل التي يثيرها هؤلاء لوجدت في معظمها إجماعًا أو شبه إجماع، وإنما يريدون التلبيس على الناس فقط.

٣ - يرمي أصحاب هذه الدعوة أيضًا إلى **تشويش قيم الإسلام، وتغيير المفاهيم الإسلامية**، فبعد أن كان الناس يعرفون أنّ هذا الذي غلبوا على أمرهم فيه ليس من الإسلام، والأمل قائم في أن تجيء نهضة صحيحة تعيد الأمور إلى نصابها، يصبح الناس وهم يعتقدون أن ما يفعلونه هو الإسلام[1]، ولعلّ أظهر الأمثلة في هذا، هو محاولة بعض هؤلاء إشاعة الأقوال الشاذة في حكم الربا[2]، فضلاً عمّا يشاع عن الغناء وكشف الوجه وغيرهما.

٤ - تهدف هذه الدعوة إلى **إشاعة الفاحشة**، وذلك بإشاعة الأقوال الشاذّة والضعيفة، التي تكون متكأ لمرضى القلوب وضعاف الإيمان وأهل الفسق وعبيد الهوى، ليظهروا فسقهم وفجورهم باسم اتباع هذا القول أو ذاك.

هذه بعض أهداف أصحاب هذه الحملات، وأما أخطار هذه الحملات فحدث عن هذا ولا حرج.

فبالإضافة إلى ما ذكرنا فإنّ هناك أخطارًا أخرى منها:

١ - **هزّ ثقة المجتمع بالعلماء وإضعاف مكانتهم فيه**، حيث يصبح الكلام في الدين والفتوى غير مقصور على أهل العلم الراسخين فيه، بل مفتوحًا لكل من هبّ ودبّ، وهذا واقع بعض بلدان العالم الإسلامي الذي يتصدى للفتوى الأراذل من مغنين وممثلين وما فتاوى عادل إمام وأضرابه عنّا ببعيد.

٢ - **تدرج أصحاب هذه الدعوة**، فمن الدعوة إلى تغير الفتوى باختلاف العادات وفتح باب الاجتهاد في حدود ضيقة، إلى أن تصبح الدعوة دعوة عامة

---

(١) د. محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية، المكتب الإسلامي، ط ١ سنة ١٣٩٩ بيروت، صفحة /٥٣.

(٢) بحث الدكتور محمد بن إبراهيم الناصر حول الربا.

تهاجم التقليد وتطالب بإعادة **النظر في التشريع الإسلامي كله دون قيد**، وهذا ما حصل في مصر على يد محمد عبده وتلاميذه[1]، ولعل دعوة القصيبي عندنا للحوار والتفريق في المسائل الشرعيّة بين الأمور الخلافية وما هو معلوم من الدين بالضرورة[2] تنحـو هذا المنحى، لأنه يطالب في مقال آخر بإقامة حوار هادىء سلمي في شؤون الحياة جميعهـا[3]، ويخـبر عن نيّته الحقيقية في فاكسه المشهور بقوله: «**وإننا نتطلع إلى مرحلة يكون كل شيء فيها قابلاً للنقاش**، ويحاول أن يقول مثل هذا علنًا حينما طالب بجوٍ من الانفتاح غير المؤقت[4].

وهذه الأهداف الخطيرة هي التي تجعل هذه الطائفة تتكلم عن موضوعات الاجتهـاد والفتـوى ونحوهما كلامًا عامًّا، فلا هي تستطيع التصريح بأهدافها الحقيقية، ولا هي تجد شيئًـا يقتنـع النـاس به فتقوله، ولهذا يواجههم العلماء الراسخون بالأسئلة التي لا يجدون لها جوابًا يجرؤن على قوله، ومثال ذلك ما وجهه للدكتور القصيبي فضيلة الشيخ العلامة صالح بن فوزان، حينما رد عليه في مقال له عن الاجتهاد فكان من أسئلته له:

أ ـ هل هناك من ينكر مشروعية الاجتهاد فيريد الدكتور الرد عليه؟

ب ـ لِمَ خصَّ التحذير من القول بالتحريم، وأهمل التحذير من التحليل مع أنه أخطر؟

جـ ـ لِمَ تكلَّم عن الاجتهاد كلامًا عامًّا، دون تنبيه لوجوب توفر شروطه الشرعيّة وهي قلما تتوافر في زماننا؟

د ـ لِمَ لم يُنبّه الدكتور إلى أن قبول قول المجتهد مشروط بموافقة الكتاب والسنّة؟[5].

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية /٥٠ ـ ٥١.

(٢) الرسالة الأولى /١٤.

(٣) مجلة الفيصل العدد /٤٦.

(٤) جريدة الحياة عدد ١٠٢٣٦ الثلاثاء ٢٨/٧/١٤١١هـ.

(٥) مجلة اليمامة عدد /١١٣٥ الأربعاء ٢/٦/١٤١١هـ.

وأنا على يقين بأن الشيخ حينما وجّه هذه الأسئلة، يدرك حقيقة ما يريد القصيبي، لكنه يريد أن يكشف الرجل أمام الملأ.

والقصيبي ـ كعادة هذه الطائفة ـ إذا أحرجهم العلماء بمثل هذه الأسئلة رجعوا إلى المسألة التي يتوقّعون أنَّ لها تأثيراً في الناس، وهي إثارة الفتنة وشقّ عصا الطاعة، ولعلي أقول هنا: **إننا يمكن أن نضيف إلى أهداف القوم من إثارة هذه المسائل استخدامها كسلاح ليضربوا بها خصومهم من الدعاة والمصلحين**، واقرأ معي هذا النص الـذي يتضح فيه هذا الهدف كثيراً: «ولكن الخطورة تبدأ حين تدخـل الأهواء السياسية في الصورة، فتجعل كل من لا يأخذ بقول معين في المسائل الاجتهادية خارجًا عن الإسلام، والأهواء السياسية لا تفعل ذلك غيرة على الدين، والدين يحتمل السعة في المسائل الاجتهادية، بل مدفوعة باعتبارات سياسية محضـة، هي تصـوير الحكـومـة القـائمـة على أساس أنها حكومة غير إسلامية.. وأنه من الضروري إسقاطها لإقامة الحكومة الإسلامية.. وارحمتاه للشباب الذين يقال لهم الآن إن كل من يخالف ما هم عليه في صغيرة أو كبيرة هو فاسق أو منافق أو كافر أو علماني، فيصدقون دون أن يدركوا أنهم أدوات بريئة في يد تخطيط سياسي ماكر يستغلهم للوصول للحكم»[1].

والتصريح بهذا الهـدف لم أره من القصيبي إلا في رسائله، وبخاصة في الرسالة الخامسة والتي لو غير عنوانها إلى «**يا علماء الإسلام، هذا ما يريده الفقهاء السيـاسيـون من إثـارة المسـائل الاجتهادية، وهذا ما أريده**». لطابق العنوان المضمـون لأنه ذكر فيها أن الفقهاء السياسيين يستخدمون هذه المسائل لإثارة الناس على الحكومة.. فهذا ما يريده هؤلاء.

ثم ذكـر أنّ على علماء الإسـلام أن يبيّنـوا للعامة (**نعم للعامة**) الأقوال المتعدّدة في المسألة، فيقولوا مثلاً: كشف الوجه لا يجوز عندنا على الصحيح مما

(١) الرسالة الرابعة /١٥ ـ ١٦ وانظر صفحة ١٠ ـ ١١ والرسالة الثانية /٢٣.

تدل عليه الأدلة، ويجوز عند بعض الفقهاء، واختر ما تريده أيها العامي، **فهذا ما يريده القصيبي.**

وقد يعجب القارىء فيقول: نعرف أن العامة لا يريدون من المفتي إلا أن يقول: افعلوا أو لا تفعلوا دون دخول في تفصيلات ولو حتى في الدليل.

وأقول للقاريء: لا تعجب، فأنا أظن قائل هذا الكلام لا يعرف كثيراً مما يتعلق بموضوع الاجتهاد والخلاف ولعله ينفذ مهمة وكلت إليه، وقد سبقه إلى هذه المهمة فئام من ربائب الغرب متذرعين بأن الدين ليس حكراً على فئة معينة وليس دينًا كهنوتيًا، متناسين أن لكل شيء بابًا، وباب الفقه في دين الله العلم، ومـزاحمة العلماء بالرّكب، وليس كل من قرأ فصلاً من كتاب مجلد أصبح إمام المفتين الممجد، ولقد أصبحت هذه الفئات تمثل مدرسة معروفة، فلنعرض قصة هذه المدرسة، ثم نعود لصاحبنا ونكمل معه قصة الفتوى والاجتهاد.

خير الدين التونسي، شركسي من أواسط آسيا، اختطفه تجار الرقيق وباعوه في العاصمة العثمانية، وتناقلته الأيدي حتى استقر في قصر الباي أحمد حاكم تونس، فتوجه حينئذٍ للعلم وبخاصة العلوم العصرية، وتدرّج في المناصب حتى أصبح الوزير الأول.

وخـلاصة فكره «أنه ينادي بتجديد حياة الأمة بالحرية والدستور والحياة النيابيّة، والأخذ بالنمط الفرنسي كسبيل للنهضة، وصنع لتونس دستورًا في سنة ١٨٦٧م لكنه لم ينفذ».

وبعـد أن قاومـه المعـارضون لأفكاره، اعتزل الناس وكتب كتابه «**أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك**» سجّل فيه رحلاته وتجاربه ومشاهداته في بلاد الغرب وجعل له مقدمة فيها خلاصة أفكاره.

ولقد كان بالمغرب نظير رفاعة الطهطاوي بمصر، كلاهما ارتاد أو قاد الدعوة لتجديد حياة الأمة بالاستفادة مما وصلت إليه أوربا[1].

فلقد كان يرى التوسعة على المشرِّعين، وردّهم إلى قواعد عامّة لا يعتد فيها إلا بجلب المصالح ودرء المفاسد، ويستشهد بمثل قول ابن القيم: «**إن أمارات العدل إذا ظهرت بأي طريق كان فهناك شرع الله ودينه**»[2] [3] ودعا خير الدين إلى الاجتهاد في أضيق الحدود، بإعادة النظر في الأحكام المترتّبة على العادات.. وكانت الدعوة إلى الاجتهاد في هذا الطور مقتصدة غاية الاقتصاد تدعو إليه في أضيق الحدود.. **ثم إن الدعوة من بعد أصبحت على يد محمد عبده ومدرسته ولا سيما رشيد رضا، دعوة عامة تهاجم التقليد، وتطالب بإعادةالنظر في التشريع الإسلامي كلّه دون قيد،** فانفتح الباب على مصراعيه للقادرين وغير القادرين، ولأصحاب الورع، وأصحاب الأهواء[4].

وهذا هو الذي جعل كرومر يقول: والأيام وحدها هي التي ستكشف عمّا إذا كانت الآراء التي تعتنقها المدرسة التي تزعّمها الشيخ محمد عبده، سوف تستطيع التسرّب إلى المجتمع الإسلامي، **وأنا شديد الرجاء في أن تنجح في اكتساب الأنصار تدريجيًّا.. إن أتباعه ليستحقون أن يعانوا بكل ما هو مستطاع من عطف الأوربي وتشجيعه**»[5].

ولعلنا لا نعجب من الدكتور القصيبي حينما نرى حماسته لنقل آراء أبرز تلاميذ هذه المدرسة وهو رشيد رضا فيما أورده في كتابه من مسائل، كمسألة مدة

---

(١) د. محمد عمارة، التراث في ضوء العقل، دار الوحدة للطباعة والنشر سنة ١٤٠٥هـ صفحة /٢٥٧ ـ ٢٥٨.

(٢) الطرق الحكمية /١٦.

(٣) الإسلام والحضارة الغربية /٣٣.

(٤) المرجع السابق /٥٠ ـ ٥١.

(٥) المرجع السابق /٧٨.

الحمل[1] **ومسألة الغناء**[2] **وغيرهما مما سنفصله بعد إن شاءالله تعالى.**

ونصّ ابن القيم السابق في ظهور أمارات العدل بأي طريق، يعتمد تلاميذ هذه المدرسة عليه كثيرًا دون أن يفقهوا ما يريده ابن القيم، أو من باب التلبيس على الناس، يقول د. **محمد عمارة**: لكن أعلام السلفية [ويعني بهم ابن تيمية وابن القيم] اتخذوا لأنفسهم موقفًا عبقريًا بالغ العمق في هذا الموضوع، فقرّروا أنّ مقاصد الشريعة هي إقامة العدل وتحقيق المصالح ودفع المضارّ في المجتمع، ومن ثم فإن كل ما يحقق هذه المقاصد فهو شرع وشريعة أو جزء من الشرع والشريعة، حتى ولو لم ينزل به الوحي ولم ينطق به الرسول، ﷺ، **وهكذا جعلوا المعيار في الشريعة: هو المصلحة وتحقيق العدل، وليس ما كان شرعًا أو شريعة في عصر النبوة والتنزيل. اهـ**[3].

وقد أورد في موضع آخر نصّ ابن القيم مشيدًا به، مرددًا مثل ما قاله قبل قليل مما نقلناه عنه[4].

ولم أستغرب أن أرى الدكتور القصيبي ينقل نصّ ابن القيم، مُجِلًّا له، معظِّمًا، موهمًا الناس أن هذا النقل قطع كل كلام[5]، وهو لم يتأمّل فقرات النصّ السابقة واللاحقة لما أورده، لأنّها تنقض ما يريد إقناع الناس به.

ورحم الله ابن القيم الذي توقّع أن يفعل هؤلاء مع نصه مثل ما فعلوا، فقال قبل هذا النص: وهذا موضع مزلة أقدام، ومضلة أفهام، وهو مقام ضنك، ومعترك صعب، **فرط فيه طائفة، فعطّلوا الحدود، وضيّعوا الحقوق، وجرءوا أهل الفجور على الفساد، وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد محتاجة إلى غيرها. . والذي أوجب لهم ذلك، نوع تقصير في معرفة الشريعة، وتقصير**

(١) الرسالة الثانية /٣٢.
(٢) الرسالة الخامسة /٢٦ ـ ٣٢.
(٣) التراث في ضوء العقل /٢٣٤.
(٤) المرجع السابق /٢٤٣.
(٥) الرسالة الثانية /٣٣.

في معرفة الواقع، وتنزيل أحدهما على الآخر، وأفرطت طائفة أخرى قابلت هذه الطائفة، فسوّغت من ذلك ما ينافي حكم الله ورسوله، وكلتا الطائفتين، أتت من تقصيرها في معرفة ما بعث الله به رسوله وأنزل به كتابه. اهـ[1].

والذي أوقع هؤلاء في هذا الخطأ أنهم يرون أن نصوص الشرع محصورة لا تعالج كل مسائل الحياة، وقد نقل القصيبي هذا الكلام في رسائله وأقرّه[2]، وظنّ أنّ كلام ابن القيم الذي نقله في آخر رسالته مؤيِّدًا لدعواه، وإنّما أتى من باب جهله بموضوع كلام ابن القيم، فظنّ أنه يريد ما يريده هو، أو لعلّه علم قصد ابن القيم ولكن أراد التلبيس.

ومثل هذا نرشده إن كان جاهلًا إلى قول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وهو شيخ ابن القيم «اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة، فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها، وإلاّ اجتهد رأيه لمعرفة الأشباه والنظائر، **وقلّ أن تعوز النصوص من يكون خبيراً بها وبدلالتها على الأحكام**»[3].

وقوله: «**ومن كان متبحرًا في الأدلة الشرعيّة، أمكنه أن يستدل على غالب الأحكام بالنصوص والأقيسة**»[4]، والنصوص عن الأئمة في ذلك كثيرة فيها مقنع لمريد الحقّ، وحسبك قول الله تعالى: ﴿**ما فرطنا في الكتاب من شيء**﴾. [سورة الأنعام، الآية: ٣٨]. لكن مشكلة هذه الطائفة: أنها لا تبحث عن الحقّ، وإنما تسعى للأهداف التي بيّناها في أول هذا المبحث، ولذلك فهم يستكبرون عن النّصح بل يثورون إذا نُصِحُوا ووُعِظُوا.

---

(١) الطرق الحكمية /١٥.

(٢) الرسالة الثانية /١٩.

(٣) شيخ الإسلام ابن تيمية، الحسبة في الإسلام، المطبعة السلفية ط ٢ سنة ١٤٠٠هـ صفحة /٣٨.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٩/٢٨٩.

* فهذا الكاتب محمد زكي عبدالقادر استدرك عليه بعض العلماء وصفه للرسول، ﷺ، بأنّه إمّعةٌ ونَكِرَةٌ، فثار وأرغى وأزبد، وردّ قائلاً: «**أنا أعرف من جوهر رسالة محمد، ﷺ، وجوهر الإسلام المكين ما يعصمني من زلّة القلم واللسان.. ارجعوا إلى كلمة سواء واذكروا قول الله جلّ وعلا أم تريدون ألا يتحدث عن النبي، ﷺ، أحد غيركم.. هل احتكرتم الدين كما فعل الكهّان في القرون الوسطى.. كلّا يا أسيادي العلماء الأجلاء، ليست في الإسلام رموز وطلاسم.. ليست في الإسلام قيصرية ولا بابوية.. وهل لابد أن نأخذ المغفرة عن طريقكم وننتظر منكم التجريد والحرمان. كما ننتظر الرحمة والرضوان.. دعوا الخلق لخالقهم، فهو وحده يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور**»[1].

* وكتب حسين أحمد أمين يقول: «**إنني أعتمد على أمهات الكتب، وأدرس ما اتّفق عليه العلماء والأئمة الأربعة وغيرهم.. غير أنّي لا أعتبر نفسي ملزمًا إلا بما انتهى إليه تفكيري، ولا يضيرني أن أكون أوّل من قال بهذا الرأي أو ذاك دون أن أستند إلى مرجع.. نعم يا سيدي المفتي أنا زعيم لك بأني أهل لأن أنافس الأئمة المجتهدين وأن أدلي بدلوي كما أدلوا بدلائهم**»[2] اهـ.

والذي يقرأ مثل هذين النصّين البذيئين، لا يستغرب العبارات المهذّبة ـ في الظاهر ـ التي خاطب بها القصيبي سلمان العودة حينما طالبه الشيخ بلزوم تخصصه وعدم الخوض في غيره، فردّ قائلاً: «**لا يسرّني أن أسوءك، وأرجو ألّا يسوؤك، أني سأستمر حسب طاقتي المحدودة في بحث ما يسهّل الله لي بحثه من شؤون الشريعة دون أن أطلب ترخيصًا من أحد، ما دامت ولاية الفقيه لم تعلن بعد**»[3]. ولا تعليق لي على مثل هذه النصوص إلّا أن أهدي للقصيبي ـ إن كان يريد الحقّ ـ ولأمثاله هذه الوصايا الموجزة التي أرجو أن ينتفع بها:

---

(١) كلمة الحق لأحمد شاكر /١٦٦.

(٢) عودة الحجاب القسم الأول /٢٦٩.

(٣) الرسالة الرابعة /٣٢ ـ ٣٣.

● قال الله تعالى: ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾.
[سورة النحل، الآية: ١١٦].

● قال الله تعالى: ﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيبًا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين، إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾. [سورة البقرة، الآيتان: ١٦٨، ١٦٩]. فلا تكن عبدًا للشيطان مطيعًا له.

● قال، ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا اتّخذ الناس رؤوسًا جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلُّوا وأضلُّوا»[(١)] فلا تكن أحد هؤلاء.

● قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ: لا يحل لأحد أن يفتي في دين الله إلاّ رجلاً عارفًا بكتاب الله بصيراً بحديث رسول الله بصيراً باللغة الفصحى والشعر الجيد وما يحتاج منها في فهم القرآن والسنة، ويكون مع هذا مشرفًا على اختلاف أهل الأمصار، وتكون له قريحة وقّادة»[(٢)] فتفقَّد هذه الأمور في نفسك، وأنا أجزم بضعفك في القرآن والحديث ومعرفة الخلاف، فإياك والغرور.

● وقال أيضًا ـ رحمه الله ـ: ومن تكلف ما جهل ما لم تثبته معرفته، كانت موافقته للصواب إن وافقه من حيث لا يعرفه غير محمودة، والله أعلم[(٣)].

● وقال الإمام ابن حزم ـ رحمه الله ـ: «لا آفة على العلوم وأهلها أضرّ من الدّخلاء فيها وهم من غير أهلها، فإنّهم يجهلون ويظنّون أنّهم يعلمون، ويفسدون ويقدِّرون أنهم يصلحون»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري برقم / ١٠٠.
(٢) محمد سليمان الأشقر، الفتيا ومناهج الإفتاء، مكتبة المنار الإسلامية، ط ١ سنة ١٣٩٦هـ، صفحة /٢٨ ـ ٢٩.
(٣) الإمام محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، فقرة /١٧٨.
(٤) التعالم /٧.

● وقال الشيخ شهاب الدين ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «إذا تكلّم المرء في غير فنِّه أتى بالعجائب»[1] فلا تعرِّض نفسك لسخرية الناس.

● وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ إنّ من تجوز له الفتيا أربعة أصناف:

١ ـ عالم بكتاب الله وسنة رسوله وأقوال الصحابة، فهو المجتهد في أحكام النوازل.

٢ ـ ومجتهد مقيد في مذهب من ائتم به، فهو مجتهد في معرفة فتاويه وأقواله ومأخذه وأصوله، متمكن من التخريج عليها.

٣ ـ ومجتهد في مذهب من انتسب إليه مقرِّر له بالدليل متقن لفتاويه عالم بها.

٤ ـ وطائفة تفقّهت في مذهب من انتسبت إليه وحفظت فتاويه وفروعه.

وأجزم بأن الدكتور ليس من هؤلاء الأربعة، فهل يرضى إذن لنفسه أن يصفه ابن القيم بقوله: ومن عدا هؤلاء، فمتكلِّف متخلِّف، قد دنا بنفسه عن رتبة المشتغلين، وقصر عن رتبة المحصِّلين[2].

● إنّ من يتعرض للشريعة لابد أن يكون قدوة للناس في التزامه بأحكامها حتى بالسنن والمندوبات، أما من يخالف ظاهره ـ وربما باطنه ـ كثيراً مما دلّت عليه أحكام الشريعة، فحري بالناس أن لا يثقوا به ولا بكلامه، بل قد يتّهم بإثارة الشُّبه والشُّكوك والقدح في شريعة الله.

● وأخيراً إن أبواب العلم الشرعي مفتوحة، وليس العلم مقصوراً على فئة معيَّنة، فإن كان لديك نيَّة خالصة ورغبة صادقة، فهلمّ إلى المساجد وحِلَق العلماء، **ولا عيب في طلب العلم ولو بعد الخمسين، إنما العيب أن تُؤتى البيوتُ من غير أبوابها**، فاحذر أن تتكبّر عن طلب العلم من طرقه المعروفة، فتَضِلّ وتُضلّ، وتَهلك وتُهلِك، وتَغرق وتُغرق الناس معك.

---

(١) كلمة الحق /١٣١.

(٢) الإمام ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٣٨٨هـ ٤/٢١٢ ـ ٢١٤.

فليس يا معالي الدكتور كل شيء يؤخذ بالقراءة ولا بالتذاكي، واعلم أنّ الغرور هو الذي يدفع الإنسان إلى المزالق، متناسيًا موقعه المناسب ومكانه الصحيح، وأنّ أفعى الشهرة هي التي تعمي عين الإنسان عن الحقّ، بل تجعله يرى الباطل حقًا، وقد وصفتها أنت بنفسك حينما قلت: تبدأ في بث سمِّها اللذيذ تدريجيًا. . يبدأ الشهير معتقدًا أنّه إنسان مختلف عن الآخرين. . أنّه أشد نبوغًا وأكثر ذكاءً ويبدأ التصرف على هذا الأساس.

أفعى الشهرة التي تحوّل الفنانين في العالم الصناعي إلى ساسة. . وتحوّل الساسة في العالم الثالث إلى فلاسفة مُلهمين. . ومعلّمين منظّرين، وقادة ملهمين»[1].

فأنت تعلم أن لكل علم أهله ورجاله، فكما لا يجوز للمهندس أن يفتي في أمور الطبّ. . كذلك لا يجوز أن يكون علم الشريعة كلأً مباحًا لكل أحد ممَّن هبَّ ودرج، بدعوى أن الإسلام ليس حكرًا على فئة معيّنة، وأنه لا يعرف طبقة رجال الدين، ولكنّا نقول إنّه يعرف العلماء المتخصصين ـ ككل العلوم ـ الذين أخذوا مبادئه وأسسه وأصوله من طرقه الطبيعية التي تُوصِل إليه، وقد علَّمنا القرآن والسنة أن نرجع فيما لا نعلم إلى أهل الذكر والخبرة بقوله تعالى: ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾. [سورة الأنبياء، الآية: ٧]. وقال عليه الصلاة والسلام في صاحب الشَّجَّة: «**قتلوه قتلهم الله تعالى ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال**»[2].

لكنك ترى الأطباء والمهندسين وحتى أرباب الصنائع الحرفية، ينكرون على من دخل إلى مجالهم دون أن يدرس العلم بمبادئه وأصوله، في حين تجد من يجترىء على الفتيا في أخطر القضايا، دون أن تكون عنده مؤهلات الفتوى، وقد يخالف الجمهور بزعم أنه ليس مقلدًا، وأنّ باب الاجتهاد مفتوح للجميع، ولم

(١) مائة ورقة ورد / ٩٩.
(٢) أخرجه أبو داود. انظر بذل المجهود ٣/ ٦٤.

تُعلن ولاية الفقيه بعد، ومؤهّله لخوض هذا الغمار الخطابة والتفاصح، إذ ليس هو من أهل التحقيق العلمي أو الموضوعية أو النظر الصحيح، فكثيراً ما يجمع بين الغثّ والسَّمين، ويخلط بين المسائل، وتختلط عليه المراتب، فيضخّم الصغير، ويعظّم الهيّن، ويهوّن العظيم، ويصغّر الكبير، ويعتقد السّامعون المبهورون بحسن الأسلوب والبيان أن مثله جدير بأن يؤخذ عنه(١).

وهذا المسلك هو مسلك معظم المتفيهقين، فهو يريد تبرير الأنماط الغربية يمينها وشمالها ـ وكلاهما شمال ـ فتراه يسأل نفسه منذ البدء: ما هي النصوص الشرعية التي تؤيد هذا الأمر وتبيحه، أو التي تعارضه وتحرمه؟ ومن أجل ذلك فهو يراجع كتب الفقه على اختلاف مذاهبها، ليتصيَّد منها ما يلائم هدفه وهواه.. وبذلك يجيء اجتهاده المزعوم مبنيًا على البتر والتحريف والتدليس(٢).

وهؤلاء يتصورون ـ جهلاً أو خبثًا ومكيدة ـ أنّ مجرد الخلاف في المسألة ـ ولو كان خلافًا شاذًا أو قولاً مهجوراً ـ كافٍ في حلِّ الأخذ بأي الأقوال شاء الإنسان، وهذا الموضوع خطير، مخالف لما دلّ عليه الكتاب والسنة، فإنه تحكيم الهوى في الشرع، أو ما يسميه العلماء بالتشهّي، أو الترخّص المذموم، لأنّ الخلاف يجب أن يُردَّ الحكم فيه إلى الشّرع لا إلى مجرد الهوى والرأي، كما قال تعالى: ﴿**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول**﴾. [سورة النساء، الآية: ٥٩]. وقال: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم**﴾. [سورة النساء، الآية: ٥٩]. فجعل ردّ الخلاف إلى الله والرسول في هذه الآية والتي قبلها، دليل الإيمان وشرطه، وذلك لأن التعلّق بالأقوال الضّعيفة والشّاذة، سبيل إلى تغيير الدين، فلا يتعلق بها ـ غالبًا ـ إلا من في إيمانه خلل.

قال الإمام ابن القيم: ثم ذلك الخلاف قد يكون قولاً ضعيفًا، فيتولّد من

---

(١) د. يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، سلسلة كتاب الأمة تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر شوال سنة ١٤٠٢هـ صفحة ٢٠٣ ـ ٢٠٨.

(٢) الإسلام والحضارة، الغربية / ١٢٩.

ذلك القول الضعيف، الذي هو من خطأ بعض المجتهدين، وهذا الظن الفاسد الـذي هو خطأ بعض الجـاهلين، تبـديل الدين وطاعة الشيطان ومعصية رب العالمين[1]. وقال بعض السلف ما من عالم إلا وله زلَّة، ومن أخذ بكلّ زلل العلماء ذهب دينه[2]. فزلّات العلماء ليست من الرخص التي يحبها الله، لأنّ هذه المقصود بها الرّخص الشرعية التي يسر الله بها على العباد. ودلّت عليها النصوص، كالفطر والجمع والقصر للمسافر ونحوه.

ولو قصد هؤلاء من هذا العمل مجرّد التشهّي واتباع الهوى لهان الخطب، لكنهم كما بيّنا في الأهداف، صنائع للأعداء يسعون إلى أعظم من ذلك مما يكون به تبديل الدين وفساد المسلمين.

ولذلك فهم يتعلقون بالشّبه بل يلّفقون الأكاذيب، حتى يبرّروا للناس دعـواهم، ومن أكـاذيبهم في ذلك قولهم: إنّ بعض العلماء المتعنتين أو الغلاة يمنعـون تغـيّر الفتـوى باختـلاف الـزمان والعادات، ويقولون أيضًا إنّ هؤلاء يكفّرون من خالفهم.

ولو طالبتهم بنص لعالم ممن يتهمونهم بهذه التهم، لعجزوا عن الإثبات، فهم يعلمـون أن طلبة العلم ـ فضلاً عن العلماء ـ لا ينكرون تغيّر الفتوى إذا كانت مما يتغيّر، وتوفرت لها دواعي التغيير.

كما أن العلماء لا يقولون بفسق ـ فضلاً عن كفر ـ من قال بقول في مسألة مجتهدًا، لدليل أو تأويل، وكذلك من قلّد هذا العالم بحق، أمّا من عاث في أقوال العلماء من المتقـدمـين والمتـأخـرين باحثًا عن الشّواذ والغرائب، مشيعًا لغثاثة الرّخص، ملبّسًا على الناس دينهم، فقد قال فيه العلماء: «من أخذ برخصة كل عالم اجتمع فيه الشر كله»[3]. ومثل هذا لا يبعد أن يكون له قصد سيء يخرجه

---

(١) التعالم لبكر أبو زيد /٩٣.

(٢) المرجع السابق /٩٤.

(٣) الإمام ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، إدارة الطباعة المنيرية سنة ١٣٩٨هـ ٢/ ٩٣.

عن دائـرة المسلمـين، فإن معظم هؤلاء كانوا قبل زمن من أنصار الشيوعية أو نحوها من الأفكار المخرجة عن الدين جملة.

وقد تشبّه القصيبي ـ هداه الله ـ بهؤلاء، فأورد شبهة عجيبة في هذا المقام، **وهي أن العـوام إذا لم يخبرهـم المفتي بأقـوال العلماء في المسـألة سيكفرون من خالفهم**، ويعدّ هذا بابًا عظيمًا من أبواب الفتنة، ويستدلّ على ذلك بوقائع أو قل نوادر، ما زال يلوكها بعض المصنِّفين عن الاجتهاد منذ زمن بعيد، وهذه الوقائع هي عبـارة عن بعض حوادث العـوام التي قاموا بها نتيجة التعصّب المذهبي، السائد في بعض الأماكن من العالم الإسلامي في فترة سابقة، فشا فيها الجهل، كإنكار بعض الحنفية على غيرهم تحريك الإصبع في الصلاة، وقيام أحدهم بكسر إصبع إنسان حرّكها، ونحو هذه القصة، مما أورده في كتابه[1].

وعلى التسليم له بصحة هذه القصص، فإننا نحاكمه للواقع، **فهل ترى أحـدًا من العامة كفّر حالق لحية، أو شارب دخان، أو آكل ربا، أو مستمع غنـاء**، ونحوها من المسائل التي يكثر وقوع الناس عندنا فيها، وما زال علماؤنا ـ وسيظلون إن شاءالله ـ يفتون بالتحريم في تلك المسائل لدلالة الأدلة على ذلك؟

ثم إن العوام ـ كما هو معلوم من حالهم ـ لا يريدون من المفتي إلا أن يخبرهم بالقول الذي يخرجهم من العهدة والحرج، وكثير منهم يطلب من المفتي أن يخبره بالحكم مجرّدًا ولو من الدليل. وأنا أعذر القصيبي لكونه بعيدًا عن مجال الافتاء، فهو لا يعلم هذه الصفة من أحوال العوام، وعسى ألا يكون يتجاهلها. ولذلك فإن علماءنا يرون من الخير للعوام بدلاً أن يُخاض بهم في مسائل الخلاف، أن يُعلَّمـوا أصـول الدين والعقيدة الصحيحة، ويُحَثُّوا على تطبيق أحكام الإسلام الظاهرة التي فرط فيها الكثير، حتى من المثقفين، كالصلاة، والزكاة ونحوهما، ويُفَقَّهوا حول وجوب الدعوة إلى الله حسب القدرة وآداب ذلك، وآداب إنكار المنكر، ونحوها مما يوجد لعلمائنا فيها المؤلفات العديدة والأشرطة الكثيرة، ولا عذر

---

(١) الرسالة الخامسة / ١٠ ـ ١٤.

لمن لا يعلم ذلك أن يتكلم في العلماء وتقصيرهم فيه حتى يتبيّن الأمر.

وسبب سلوك علمائنا لهذا السبيل: أنهم يدركون بما عرفوه عن أسلافهم، أن الخوض بالعامة في هذه المسائل قد يشوش عليهم، وقد يفتنهم، فيظنون أن الدين مضطرب متناقض، أو أنه خاضع للمزاج والهوى، وقد رُوي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: «ما أنت محدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلّا كان لبعضهم فتنة». ولهذا عقد البخاري - رحمه الله - بابًا: «من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية ألّا يفهموا» قال ابن حجر وهذا مشهور عند العلماء، مروي في بعض الأحكام عن أحمد ومالك وأبي يوسف، وقبلهم أبو هريرة وحذيفة والحسن، وذلك فيما يخشى على العامة منه الفتنة[1].

وأنا أخشى أن الدكتور في هذه القضية ليس صادقًا مع نفسه، وإنما أوردها من باب التلبيس والتشويش.

ودليلي على ذلك أنه في هذه الرسالة أورد كثيرًا من القضايا التي لا تخلو من التلبيس والتحريف.

■ فقد زعم أنّ فتنة الحرم سببها المسائل التي أثارها جهيمان العتيبي - رحمه الله - وجماعته[2]، والكل يعلم أن فتنة الحرم لها ملابسات أخرى لا علاقة لها بتلك المسائل، والكل يعلم أنّ العلماء وطلبة العلم هم أوّل من ناقش جهيمان وأتباعه وحذّر منهم، وبيّن للدولة ما هم عليه من أخطاء، ثم حكموا عليهم بمقتضى الشرع.

■ ثم كذب على جهيمان - رحمه الله - وقال عنه إنه وصل إلى آرائه من خلال دراسة الحديث مدّة أسبوع، معتمدًا على نص من رسائل جهيمان ملخص ما فيه «أن الأخ... قد طلب علم الحديث هو وعدد من الإخوان عند الأخ... مدة أسبوع ثم قال لهم: ابحثوا عن غيري فقد أخذتم ماعندي... أخذ عن هذا

---

(١) فتح الباري ١/٢٢٥.

(٢) الرسالة الخامسة/٢٠.

الأخ في حدود سبعة أيام، طريقة معرفة صحيح الحديث من ضعيفه»[1].

فتأمل التلبيس في هذه القضية.

* هل الذي درس هنا جهيمان، أو الأخ فلان وإخوانه؟ هذه كذبة.

* هل الدراسة مدة أسبوع للحديث، أو لما عند هذا الأخ من علم؟ وهذه كذبة ثانية.

* هل الدراسة لكل الحديث ومعرفة صحيحه من ضعيفه أو لمعرفة صحيح الحديث من ضعيفه فقط؟ وهذه كذبة ثالثة.

* وأخيراً أعذر الدكتور لأنه بعيد عن هذا المضمار ويظن أن المسألة قضية عمر طويل وزمان مديد، ولم يعلم أنّ مراكز خدمة المجتمع في المملكة تعقد دورات في الحديث لغير المتخصّصين لا تتجاوز ساعتها الثلاثين.. ثم أليس من درس الحديث على شيخ في أسبوع، خير ممن لم يدرسه مطلقًا، وهو يفتي ويرجح ويختار ككبار العلماء وفطاحل الفقهاء؟!

ولو أن الأمر توقف عند جهيمان لما عجبنا من صنيع الدكتور، إذ ربما يقصد بذلك الإثارة بأن يقول: احذروا من هؤلاء فإنهم كجهيمان، لكن الأمر تعدى غير جهيمان.

* نقل عن ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أن الأصل عدم التحريم سواء في ذلك الأعيان أو الأفعال[2]. وهذا النقل صحيح لا وكس فيه ولا شطط، لكنه أوهم به القراء أنّ ابن تيمية يقول: إنّ الأصل في الاجتهاد الإباحة، مع أنه لا يفهم من كلام ابن تيمية ذلك.

* ومبالغة في التلبيس، نقل أنّ ابن تيمية يجيز الاجتهاد حتى للعامّي[3]، واعتمد في ذلك على نصٍّ لابن تيمية بتر آخره الذي ينقض دعواه، ويبيّن مراد

---

(١) المرجع السابق /٢٢ ـ ٢٣.

(٢) المرجع السابق /١٣.

(٣) المرجع السابق /١٢.

ابن تيمية، وهو قول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ لكن القدرة على الاجتهاد لا تكون إلّا بحصول علوم تفيد معرفة المطلوب، فأمّا مسألة واحدة من فنٍّ فيبعد الاجتهاد فيها[1].

فاجتهاد العامي عند ابن تيمية نظريًا ممكن، أما واقعيًا فإنه بعيد، ثم إنّ العلماء دائمًا يريدون باجتهاد العامي: اجتهاده فيما يقدر عليه كتحديد جهة القبلة عند الاشتباه ونحوها.

وكيف يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بإباحة الاجتهاد لكلّ أحد، وجوازه حتى للعامي مطلقًا، وهو الذي عُرف منه التشديد في منع بعض العلماء الذين لم يبلغوا درجة الفتوى، حتى قال لهم: يكون على الخبازين والطباخين محتسب، ولا يكون على الفتوى محتسب[2]؟

* قال القصيبي في الرسالة الخامسة: نرى عددًا من العلماء الأجلاء في مختلف أنحاء العالم الإسلامي يحلقون لحاهم، ويستبعد المرء أن يقوم هؤلاء بمجاهرة الله بالمعصية ـ وهم قدوة المسلمين ـ لو اعتقدوا أنهم يرتكبون معصية[3].

وأنا أقول ـ مستغربًا ـ متى كان وقوع بعض العلماء في خطأ دليلاً على الجواز، إذن لفتح الباب على مصراعيه في كل حكم.

فهل العلماء لا يقعون في الخطأ؟

ثم هل كل من انتسب إلى العلم يعد عالمًا؟

تأمل الواقع تجد بعض من يُنسب للعلم، بل لكبار العلماء تصْدُرُ الأخطاء العديدة عنه، وليست مجرد أفعال، بل حتى أقوال، تدل على الجواز في أمور قطعية التحريم.

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٠/٢٠٤.

(٢) جمال الدين القاسمي، الفتوى في الإسلام، دار الكتب العلمية ببيروت ط ١ صفحة /١٥١.

(٣) الرسالة الخامسة /٢٧ ـ ٢٨.

● **ألم تسمع بمن أجاز الربا؟**
● **ألم تسمع بمن يجيز دعاء غير الله والطواف بالقبور؟**

إنّ الحجة ليست في أقوال العلماء ولا في أفعالهم، بل هي في الدليل الصحيح من الكتاب أو السنة، لكن من أراد التلبيس يتعلّق بكل شيء ليصل إلى دعواه.

* أنكر على الهيئات إنكارهم على النساء كشف وجوههن اتباعًا للقول الراجح عبر العصور[1] ولم يثبت لنا مستندًا بذلك، فإننا نعلم أن القول الراجح خلافه، وأنّ كشف الوجه لم يشع في العالم الإسلامي إلا بعد الاستعمار الغربي لبلاد المسلمين على أيدي أذنابه من العلمانيين.

ثم أين القول بتغيّر الفتوى هنا؟ مع وجود الفتنة وانتشار المعاصي والفواحش بسبب كشف الوجه، الذي خالطت بعده المرأة الرجال، فنشأ من ذلك ما نراه من البلاء في بلاد المسلمين.

ثم لِمَ تطلب من العلماء أن يسمعوك أن في الأمر سعة[2] ولا تطلب بيان الحق بدليله.

* قال: تغيرت الفتوى بشأن شرب الدخان، فقد كانت: أما شارب التتن فيؤدّب بأربعين جلدة، فإن لم ينته بذلك أُدّب ثمانين جلدة، ولا أعرف أحدًا يفتي بذلك الآن[3] أهـ.

وأقول: هل أصبح الدخان حلالاً بهذا؟

إن التأديب هنا حكم تعزيري يترك تقديره للقاضي، وفرق بين الفتوى والقضاء، فالفتوى التي يفتي بها علماؤنا إلى اليوم في «التتن» هي التحريم، ولو كان شيوعه مبررًا لجوازه لقلنا إن الربا حلال لوجوده في البلد، وهذا التخريج لا يقول به عاقل.

---

(١) الرسالة الثانية /٢٢.
(٢) الرسالة الخامسة /٣٣.
(٣) الرسالة الثانية /٢٩.

* قال الدكتور: مرّ علينا يوم في الماضي كان هناك خلاف حول الساعة، وهل هي سحر أو صناعة؟ إلى درجة أنّ رجلين تنازعا في شأنها. . إلخ[1].

هذا تلبيس من القصيبي، فإنه لم يقع بين العلماء خلاف حولها، وإنما تنازع فيها رجلان من العامة ـ كعادتهم مع كل جديد عليهم ـ فسألوا عنها عالمًا فأفتاهم بالصواب، ومن رجع إلى المصدر الذي اعتمد عليه القصيبي، وجد أن الشيخ سليمان بن سحمان يقول: إنّ أمر الساعة قد تكلّم فيه العلماء قديمًا وكانت موجودة على عهد مشايخ أهل الإسلام، ولم ينكرها أحد منهم»[2].

ولكن القصيبي ـ هداه الله ـ صور المسألة على غير صورتها الحقيقية، ليلبّس على المسلمين دينهم.

* نقل الفتوى في تحريم التطعيم، وقال إن الفتوى تغيرت فيه إلى الإباحة[3]، والمتأمل لما نقله في رسالته أو للمصدر الذي نقله عنه يلاحظ التلبيس الظاهر على الناس.

فإن الفتوى بالتحريم إنما كانت لأن التطعيم كان بقيح ونحوه من الأشياء النجسة، والتداوي بالنّجس حرام.

وقد أغفل القصيبي الفتوى المطابقة للتطعيم الآن، وهي ما جاء في نفس المصدر من كلام الشيخ حمد بن عتيق ـ رحمه الله ـ ونصه: «وأما كون الدواء اتصل بكم من النصارى، فجميع الأعيان الأصل فيها الحلّ والإباحة، إلا ما ثبت النهي عنه، أو بان فيه مفسدة ظاهرة متحققة، وقد قال تعالى: ﴿**ولا تقف ماليس لك به علم**﴾. [سورة الإسراء، الآية: ٣٦]. ومثل هذه الأمور الأمر فيها هين، ويكفي الإنسان فيها السّكوت عنها حتى يتبينّ دليل شرعي»[4] أهـ.

---

(١) المرجع السابق /٢٩.

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبدالرحمن بن قاسم، مطبوعات دار الافتاء ط ٢ سنة ١٣٨٥هـ ٧/٢٥٩.

(٣) الرسالة الثانية /٣٠.

(٤) الدرر السنية ٤/٢٤٦.

* قال: والإخوان الذين أزعجتهم مقالتنا عن تغيّر الفتوى بتغيّر الزمان، **هل يقبل واحد منهم اليوم بأن نفتيه فترة [هكذا في الأصل] الحمل يمكن أن تمتد خمس سنين كما عند مالك ـ رحمه الله ـ أو أربعة كما هو عند الشافعي ـ رحمه الله ـ . . . إلخ** [1].

وبغض النظر عن ركاكة الأسلوب والخطأ في العربية، فإنّ هذا القول أبان عن جهله، حيث ظنّ أنّ الخلاف هو في مجرد مقدار المدة، وبنى على ذلك أنّه ما دام وجدت الطرق الصناعية للتوليد، فلن يرضى أحد أن يجاوز ابنه المدة الشائعة بين الناس، وما علم أن الفتوى بكون مدة الحمل تمتد إلى أربع سنين هي التي يفتي بها علماؤنا إلى اليوم في كثير من بلدان العالم الإسلامي، وأنه ينبني على هذه الفتوى نتائج كإرث الحمل من أبيه المتوفى ونسبته إلى أبيه ونحو ذلك.

فهل يجترىء الدكتور أن يقول: إنّ من أتت بولد لأكثر من سنة بعد طلاقها من زوجها أو وفاته عنها فهي زانية؟

أقول: إن الجهل يؤدي بصاحبه إلى الاضطراب والتناقض، ولو نظر إلى الواقع لرأى بعض النساء ممن يتأخر حملها أكثر من سنتين، فضلاً عما ذكره العلماء من حوادث في العصور الماضية[2]، فالمسألة راجعة للعرف، إذ ليس فيها تقدير من الشارع، وهي مفروضة لعموم الناس ممن لا تتوفر عندهم الوسائل الصناعية الحديثة للتوليد، فهل يفقه الدكتور هذا ويكفّ عن تعريض نفسه لسخرية الناس.

* نقل رأي الإمام أبي حنيفة في المحرّم من الأشربة المسكرة، وأنه لا يحرم سوى ما صُنع من الكَرْمِ والنّخل، وما عدا ذلك فلا يحرم منه إلّا المقدار المسكر، ثم قال: إنّ هذه الفتوى تغيّرت وسبب تغيّرها هو اكتشاف العلم الحديث أنّ

---

(١) الرسالة الثانية /٣٢.

(٢) ابن قدامة المقدسي، المغني، تحقيق الدكتور عبدالله التركي، هجر للطباعة والنشر ط ٢ سنة ١٤١٠هـ ١١/٢٣٣.

سبب الإسكار هو الكحول، ولا علاقة لاسم المشروب بالحِلِّ والحرمة[1].

ونقـول للدكتـور: لقـد ناقضـت نفسـك هنـا، فمقتضى دعـواك التي طالبت فيها ببيان الخلاف للناس، أن لا تحجر على المسلم المثقف الذي يأخذ بقول أبي حنيفة هذا. . هذه واحدة.

وثانية: أنه يوجد من علماء الحنفية المعاصرين من يقول: بقول أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ فقـول أبي حنيفـة أهـون مما تصـوّرت، فإنّه يشترط أن لا يسكر الشارب، فإذا سكر وجب عليه الحدّ، ومع هذا أنكر العلماء عليه قوله[2].

وهل تتصور أن هواة «الوسكي» و«الڤودكا» ونحوها يقنعون منها بالقدر الذي لا يُسكر، وأنت أعلم مني بأحوالهم، لكونك عشت بينهم زمنًا، ووصفت حالهم في شعرك كثيراً، وذكرت أنّك تشرب حتى الصَّباح[3].

وثالثة: من قال إنّ العلم الحديث هو الذي غيّر الفتوى في المسكرات، لقد سبق العلم الحديث رسول الله، ﷺ، الذي قال: «**كُلُّ مسكرٍ خمرٌ وكلُّ خمرٍ حرامٌ**»[4]. فالعلة في التحريم هي الإسكار بغض النظر عن نوع المشروب كما بيّن ذلك العلماء.

* ذكر النتيجة التي انتهى إليها الشيخ «رشيد رضا» حول الغناء، وهي في مجملها تدور حول إباحته[5]، وأنا أستغرب لم التركيز على آراء الشيخ محمد رشيد رضا وإهمال آراء علماء بلادنا، ولعل السبب أن الشيخ رضا عرف عنه الميل إلى العقـلانية تأثـرًا بشيخه محمد عبده، إلا أنه أخيراً بعد وفاة شيخه اتّجه إلى السلفية، لكنه بقيت عنده أخطاء كالذي اعتمد عليه القصيبي.

---

(١) الرسالة الثانية /٣١.

(٢) المغني لابن قدامة ١٢/٤٩٥.

(٣) ديوان معركة بلا راية /٢٢.

(٤) أخرجه مسلم برقم /٢٠٠٣.

(٥) الرسالة الخامسة /٢٦.

والشيخ رشيد رضا لم يوفق في هذه الفتوى التي نقلها عنه القصيبي، ولعلّي أذكر بعض مقالته ليرى ذلك القارىء ويحكم.

أ ـ يقول: لم يرد نص يحتجُّ به في الكتاب والسنَّة في تحريم سماع الغناء أو آلات اللهو.

ب ـ ويقول: ورد في الصحيح أن الشارع وكبار أصحابه سمعوا أصوات الجواري والدفوف بلا نكير.

جـ ـ يقول: إن الأصل في الأشياء الإباحة، وورد نصّ القرآن بإحلال الطيّبات والزينة وتحريم الخبائث.

د ـ ويقول لم يرد نص عن الأئمة الأربعة في تحريم سماع الآلات.

هـ ـ إن الله يحب أن تؤتى رخصه، كما يحبُّ أن تؤتى عزائمه.

ولعل القارىء إذا تأمل هذه النقاط الخمس، يدهش من النتيجة التي خرج بها الشيخ رضا وأعجبت الدكتور القصيبي، وبخاصة إذا عرف الحقائق الآتية:

● إذا علمنا أنّ هناك آيات في القرآن فسّرها الصحابة والتابعون وأجلة العلماء بعدهم بأنّها في تحريم الغناء.

● وأنّ هناك أحاديث تزيد على العشرين، بعضها في البخاري ومسلم، تدل على تحريم الغناء.

● وأنّ دعوى أن النبي، ﷺ، وأصحابه سمعوا الغناء، دعوى متهافتة أبطلها العلماء.

● وأنّ الأئمة الأربعة توافرت عنهم النقول بتحريم الغناء وإنكاره والنهي عنه.

● وأنّ الغناء ليس من رخص الشرع، وإنما هو من زلّات وتراخيص الفقهاء ممن لم يبلغه الدليل.

إذا علمنا ذلك وهو مبسوط في كتب مستقلة[1] علمنا أن رشيد رضا ـ رحمه الله ـ لم يوفق في هذه القضية، وأنها من الأخطاء التي وقع فيها والزّلات التي وقعت منه و«من اعتمد على زلّات العلماء ضيع دينه».

* وأخيراً فإنّ الذي نادى بتغيّر الفتوى، وزعم أنّ هناك من ينكرها، ونادى بوجوب تعليم العامّة مسائل الخلاف، يقول: «**وأحكام الإسلام لا ينبغي أن تتغيّر فيكون في المملكة حكم للإسلام، وفي بقية العالم حكم آخر**»[1].

وإذا سألته أين تغيّر الفتوى بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيّات والعوائد التي صنّفت فيها رسالة كاملة، بل رسالتين، ونقلت النقول ومثّلت بالأمثلة؟

كان الجواب المزيد من التناقض الذي سُقتُ طرفًا منه في هذه الرسالة، **وأنا أتمنى من كل قلبي أن يكون خوض الدكتور في هذه المسائل عن جهل وضعف رأي، وإن كان يأبى ذلك فإننا لا نحمِله إذن إلّا على المكيدة للمسلمين، ومتابعة هجمات الأعداء وأذنابهم في هذا الشأن، والذي يتأمّل ما بين الأسطر يحسّ بأن قصد الدكتور هو الثاني، إلّا أنّ القطع بذلك يحتاج إلى بينة، لكن الاحتياط واجب، والحذر مطلوب، والعمل بالظنّ معتبر عند الأئمة حتى في أمور الشريعة، والله أعلم وأحكم.**

---

(١) مثل: ١ ـ الكلام على مسألة السماع للإمام ابن القيِّم، نشر دار العاصمة بالرياض.
٢ ـ فصل الخطاب في الرد على أبي تراب للشيخ حمود بن عبدالله التويجري.
٣ ـ تنبيه اللاهي على تحريم الملاهي للشيخ إسماعيل الأنصاري.

(٢) الرسالة الخامسة/ ٢٤.

الوقفة الخامسة:

وأخيراً.. وقفة مع القصيبي:

سأجيب أولاً على تساؤلين قد يطرحهما القارىء.

أولهما: لم عقدت هذا المبحث، وقد كان الحديث في معظم المباحث السابقة هو مع الرجل وعن الرجل؟

فأقول مجيبًا: فيما مضى لم أناقش إلا ما ورد في رسائله المعنونة بـ «حتى لا تكون فتنة»، وإذا ذكرت شيئًا من غيرها فإنما أذكره للاستشهاد أو للاعتضاد، أما فكر الرجل وطروحاته وتوجهاته وآراؤه في الدين والمجتمع والحياة فلم أعرض منها هنالك شيئًا.

فأردت هنا أن أعطي صورة واضحة ـ بحسب جهدي ـ عن الرجل، ليعرفه من لم يكن يعرفه، وليعذرني ويعذر غيري من المشايخ الذين تكلموا عنه من انعقد في قلبه شيء من الملامة على صنيعنا، فإننا ما تكلمنا نصرة لفلان أو حقدًا على فلان، وإنما نصرة لدين الله وكشفًا لأباطيل المبطلين.

وأما السؤال الثاني: فهو لم أخرت هذا المبحث وكان حقه التقديم؟ لأنه يحسن أن يعرف من يناقش قبل مناقشته والرد عليه، حتى يستوعب القارىء الردود والمناقشات بسهولة.

والجواب عن هذا السؤال: أن تأخير التعريف بالرجل يعود إلى سببين:

الأول: أني أردت في أثناء مناقشاتي السابقة جعل النقاش نقاشًا لما قيل لا لمن قال، وهذا إضافة إلى أنه أقرب إلى الإنصاف، فإنه أقوى للحجة والإقناع بحيث تبطل الفكرة المعروضة وتزيف بغض النظر عن قائلها.

والثاني: أن هذا المبحث مبحث عاطفي بطبعه، يصعب على الإنسان فيه التجرد من العاطفة، وأنا قد وعدت القارىء أن أكون بعيدًا عن العاطفة مبعدًا لها، وقد جاهدت نفسي في المباحث السابقة لكي أكون كذلك.

فمن المنطق والحكمة حتى لا أفاجىء القارىء بالعاطفة من أول المباحث

أن يكون هذا المبحث هو الأخير، وإن كنت سأجاهد نفسي للابتعاد عنها حتى في هذا المبحث.

من هو القصيبي؟

● غازي بن عبدالرحمن القصيبي، ولد في الإحساء سنة **١٣٥٩هـ**، ولما بلغ الخامسة انتقل إلى البحرين مع عائلته وبها تلقى تعليمه العام، وفي سنة **١٣٧٦هـ** سافر إلى القاهرة للدراسة الجامعية وحصل من جامعة القاهرة على ليسانس الحقوق، ثم سافر في سنة **١٣٨١هـ** إلى أمريكا وحصل هناك على الماجستير في العلاقات الدولية من جامعة جنوب كالفورنيا.

● تزوج من امرأة ألمانية الأصل في عام **١٣٨٨هـ**، وحصل من جامعة لندن على درجة الدكتوراه في نفس تلك السنة وكانت أطروحته عن تاريخ اليمن السياسي الداخلي والخارجي في عهد الإمام أحمد.

● قبل حصوله على الدكتوراه التحق بجامعة الملك سعود على درجة محاضر، ثم تدرج في الوظائف مدرسًا، فرئيسًا لقسم العلوم السياسية، فعميدًا لكلية التجارة، وكان في الوقت نفسه يعمل مستشارًا غير متفرغ في معهد الإدارة العامة ووزارة المالية والاقتصاد الوطني.

● انتقل سنة **١٣٩٤هـ** مديرًا عامًّا لمؤسسة الخطوط الحديدية، ثم عيِّن سنة **١٣٩٥هـ** وزيرًا للصناعة والكهرباء، إلى أن كلِّف سنة **١٤٠٣هـ** بمهام وزارة الصحة، وبعد سنة واحدة أُعفي من مناصبه، فمكث قليلاً، ثم عيِّن سفيرًا للمملكة بدولة البحرين[1].

الصراع مع نوازع الفطرة:

إن نشأة القصيبي في البحرين ـ وهي منذ زمن بعيد بلد مفتوح ـ ثم سفره وهو حدث إلى القاهرة، ثم سفره وهو مراهق عزب إلى أمريكا، كل هذا كان له أثر على حياة الدكتور الذي يظهر أنه لم يحض بتربية دينية متينة قبل ذلك، ولنترك

---

(١) انظر سيرة شعرية وعن هذا وذاك ورد الدكتور وليد الطويرقي على القصيبي.

الدكتور نفسه يحدثنا عن ذلك:

«المجتمع السعودي أكثر محافظة وأقل انفتاحًا على التيارات والمؤثرات الخارجية من المجتمع البحريني. . تربطني بالمجتمع السعودي رابطة الجنسية والأصل وبالمجتمع البحريني رابطة النشأة والعاطفة»(1).

«كان الانتقال من البحرين إلى القاهرة صدمة حضارية بالمعنى الصحيح»(2).

«إن قصائد أشعار من جزائر اللؤلؤ، تمثل في الواقع تجارب مراهق غر بريء في عالم جديد مصطخب»(3).

«إنني شأن معظم الفتيان العرب في تلك السن، كنت متحمسًا لموجة القومية العربية التي اتخذت شكل الناصرية»(4).

«انتقالي من القاهرة إلى الولايات المتحدة شكل صدمة حضارية أخرى أشد وأعنف وأبعد أثرًا. . هناك انبهار من المجتمع الجديد. . هناك مشكلة التكيف مع المجتمع الجديد دون التخلي عن الجذور التي يحملها المرء في أعماقه، هناك الحيرة إزاء العلاقة بين الذكور والإناث وبين أفراد العائلة الواحدة، هناك الدهشة من السهولة التي يبدأ بها الحب، والسرعة التي بها يموت، هناك الحنين إلى المجتمع القديم، ولكن الحنين هنا ولأول مرة تشوبه رغبة جامحة في تطوير المجتمع القديم وإنقاذه من براثن التخلف. . بعد وصولي إلى الولايات المتحدة بأسابيع بدأت في كتابة «أغنية قبل الرحيل» جاءت هذه القصيدة تعبيراً عن المشاعر العنيفة التي كانت تصطرع في نفسي. . إن هذه القصيدة من أقرب

---

(١) مجلة اليمامة العدد / ١٩٩.

(٢) سيرة شعرية / ٤٩.

(٣) سيرة شعرية / ٥١.

(٤) سيرة شعرية / ٥٦.

القصائد إلى نفسي ولعلها أقرب قصائدي إلى نفسي على الإطلاق»[1]. انتهى كلام الدكتور.

وهنا تأتي أولى الأثافي، وهي شعور الشاعر بالحيرة والضياع حتى أنّا لو حاكمناه إلى هذه القصيدة، لحكمنا عليه بالخروج من الدين جملة، لأنه تمرد فيها حتى على الفطرة الكامنة في نفسه اسمعه يقول:

وأنا لا تكذبي لست سوى	عابر ضاق بأغلال الحياة
في دمي ألف صراع خالد	وبأعماقي تبكي الظلمات
إنني أجهل حتى مقصدي	أتمنى أنني لم أولد
أنا في قفر حياتي ضائع	سار في الركب بخطو مجهد
لفني الليل فما أدري وقد	وئد النور بماذا أهتدي
أين أمضي ياسؤالاً لم يزل	ظامئاً يقرع سمع الأبد
هذه الرحلة ما أغربها	أترى ندري مداها في غد
يعجز العلم وتعيا الفلسفة	في جواب نشتهي أن نعرفه
ما الذي نبغيه؟ ما بال الفتى	ضائعاً ما عاد يدري هدفه[2]

حيرة غريبة أن يصدر ما يترجمها عن مسلم، وإذا حملناها على نزوة من نزوات الشباب دفعه إليها تقليد أحد شعراء المهجر، أو حب لفت نظر الناس إليه، فعلام نحمل كونها أقرب القصائد إلى قلب الدكتور، مما جعله يحتفي بها في كل مناسبة؟، فقد نشرها في ديوان «قطرات من ظمأ»[3] كما نشرها في كتاب «قصائد مختارة»[4] ونشرها في «سيرة شعرية»[5].

---

(١) سيرة شعرية/ ٦٤ ـ ٦٥.
(٢) المصدر السابق.
(٣) صفحة/١٠.
(٤) صفحة/٤٢.
(٥) صفحة/٢٧٨.

وليست هذه القصيدة الوحيدة التي تدل على حيرة الدكتور، فهناك قصائد أخرى ذكر الدكتور وليد الطويرقي طرفًا منها[1] بل كان الدكتور القصيبي ـ هداه الله ـ يذكر هذه الحيرة حتى في غير الشعر، فقد أجاب عن سؤال إحدى الصحفيات بقوله: أعيش حيرة جيل ناشيء قادم، حائر بين أولئك الذين يبشرونه بأن الفردوس القادم سيطلع من كتاب كارل ماركس، وأولئك الذين يبشرونه بأن إطالة شعره قليلاً أو تغطية شعرة قليلاً كفيلة بحل كل مشاكله[2] فهل تستوي يا دكتور ـ هداك الله ـ سنة المصطفى، ﷺ، وهديه مع كتاب كارل ماركس، لا شك أن هذه زلة عظيمة تحتاج منك إلى توبة وندم وبيان.

ولنعد إلى الدكتور ليحدثنا عن بقية قصته مع بلاد الغرب يقول:

«لقد كتبت هذه القصيدة[3] وأنا في قبضة صراع رهيب **مع رواسب الطفولة في نفسي**، مع نوازع النكوص والجبن والانهزامية....

وبعينيك أرى قصة حربي وانتصاري.

وانهزام الغسق الأسود في زحف النهار.

وانعتاقي من دجى ضعفي وأوهامي وعاري.

بجبين لم يعد فيه مكان للغبار.

بعيون تتلقى الشمس من غير ستار[4].

لقد حاولت أن أفسر الصراع مع الانهزامية بأنه الصراع مع الذوبان في المجتمع الغربي، لكن صراعه مع رواسب الطفولة، وانعتاقه من دجى الضعف والأوهام والعار أبت علي هذا التفسير، بل فسرت البيت الأخير بالاعتراض على الحجاب والبيت الذي قبله بالاعتراض على السجود، والحكم في ذلك للقاريء

---

(١) القصيبي شاعر الأمس وواعظ اليوم/١٨ ـ ١٩.

(٢) سيرة شعرية/٢٢.

(٣) يريد قصيدة «أضواء المنار».

(٤) سيرة شعرية/٦٧ ـ ٦٨.

لكن أتمنى عليه ألا يحكم حتى يقرأ الكلمات الآتية للدكتور: «كيف ينعكس المجتمع الأمريكي في «قطرات من ظمأ»، إنه ينعكس بصورة واضحة مباشرة كما هو الحال في قصيدة «لوس أنجلوس» التي تصور موقفي من هذه المدينة الآسرة الفاتنة المرعبة التي قضيت في أحضانها قرابة ثلاث سنوات حافلة من حياتي»[1].

ولنقتطف هذه الأبيات من القصيدة التي تصور موقف الدكتور وهذه السنوات الحافلة من حياته:

سأكتب عنك يا عملاقتي	الأخاذة الحسناء
عن الكأس التي مرت	على شفتي مرور النار
عن القبلات تحملني	وتتركني مع التيار
وعن شقراء طارت بي	إلى دنيا من الأسرار
وعن ليل بلا فجر	وعن فجر بلا أنوار
عن الفتيان يجمعهم	سكون الليل بالفتيات
فما في الليل غير الهمس	والآنات والآهات
سأكتب عن ضياعي فيك	عن فتياتك الحلوات
وكيف ينال باسم الحب	مالا تدرك الشهوات[2]

أظنك أخي القارىء توافقني على أن صراع الدكتور ليس للانتصار على دواعي الذوبان في المجتمع الغربي، وإنما للانتصار على نوازع الفطرة التي تحاول حمايته من السقوط الذي صور طرفًا منه في القصيدة السابقة.

الدكتور بين التواضع والغرور:

من الأمور التي تلفت النظر في التعريف بالدكتور السرعة التي تدرج بها حتى عرف واشتهر.

ولست هنا حاسدًا للرجل أو مقلاً من قدرِه، فأنا أتمنى لنفسي ولجميع

---

(١) سيرة شعرية/٦٨.

(٢) قطرات ظمأ/١١١ ـ ١١٦.

الناس الهداية والصلاح والخير، كما أعترف بتمتعه بخصال ومواهب عديدة، وإن كنت آمل لو وجهها في خدمة دينه وأمته، إنما الذي أريد أن أقول هنا: إن هذه الشهرة والبروز قد عادت على الرجل بضرر آخر يتمثل في قدر ليس بقليل من الغرور والتيه والإعجاب بالنفس، وإن كان يحاول أن يخفيه، بل يصرح بعدم وجوده أصلاً.

وقبل أن أسوق بعض الدلائل على وجود هذا المسلك، أحب أن أبين هنا ـ وإن كنت سبق أن أشرت ـ إلى أن بروز الرجل وشهرته ليس راجعًا إلى ما يتمتع به من قدرات فقط، بل إن هناك فئة معينة تحمل فكرًا معينًا، تعمل وبنشاط على إبراز من يحمل فكرها أو يميل إليه، ولا أحسب أن هذا سرًّا من الأسرار اليوم وإن كان كذلك قبل زمن.

بم تفسر هذه الحادثة التي ذكرها الدكتور؟

شاب في بداية الثلاثينيات يعمل إضافة إلى عمله الأصلي مستشارًا في دائرتين لا تدخلان ضمن اختصاصه مباشرة.

لِمَ لَمْ يكن مستشارًا في وزارة الخارجية التي هي أقرب لتخصص العلاقات الدولية؟!

وقد ذكر الدكتور طائفة من الأسماء لا أرى داعيًا لذكرها كانوا من أصدقائه، وهم اليوم في مناصب إدارية وتعليمية بارزة، ولعل منهم الأستاذ محمد سعيد طيب صاحب الفاكس المشهور، وهذا يجعلنا نستشهد هنا بما قاله الدكتور القصيبي عن مدارس النقد في العالم العربي حيث قال: «ولعل هذا هو السبب في كون الشللية ـ مشتقة من شلة حيث يكتب كل من أفراد الشلة عن رفاقه ـ أهم مدارس النقد في العالم العربي في هذه الأيام»[1] ويمكن أن نقول: إن وضع هذه (الشلة) في غير الأدب هو كوضعها في الأدب، لأنه إذا خفتت مراقبة الله وجدت الخيانة الطريق إلى الظهور، ولهذا استغرب الأستاذ عوض القرني أن

(١) المزيد من رأيي المتواضع/٦٥.

تصله رسائل القصيبي مرسلة بالبريد من أبها، وقال: هل له وكلاء توزيع في كل المناطق؟

وأقول لأخي عوض: وأنا أسأل أيضًا هذا السؤال فهل من مجيب؟ ولا أظن الجواب يخفى على لبيب.

ولنغد الآن إلى موضوع هذه النقطة فأقول إن هناك دلائل عدة على وجود ظاهرة الغرور لدى القصيبي.

يحس الدكتور بأنه شخص متفوق على كثيرين، ولو قلت على الجميع لما أبعدت النجعة، يقول عن أيام طفولته: «كنت بالتأكيد مولعًا بالأدب، قد تبدو العبارة الأخيرة غريبة في أيامنا هذه، حيث لا يتوقع أحد من الأطفال إعجابًا كثيرًا أو قليلاً بالأدب»[1]. وقد علق أحد الأدباء على هذه العبارة فقال: إن كان هذا الحكم نتيجة تجربة، فليعلم أنه لا يمكن تطبيق هذه الحالة الفردية على كل الأطفال، وإن كان حدسًا فالحدس ليس بحجة باحث، وعلى أي حال فإن أطفال اليوم ربما كانوا أكثر مقدرة لتوفر وسائل التثقيف[2].

ويتحدث الدكتور القصيبي عن ديوان «أشعار من جزائر اللؤلؤ» قائلاً: «لقد استقبل الديوان بحرارة، وكتبت عنه عدة مقالات نقدية كانت في مجملها مليئة بالثناء، وغني عن الذكر أنني كنت سعيدًا بهذا الثناء، غير أن الذي يهمني في الأمر أن شابًا لم يكد يبلغ العشرين قد وجد الجرأة الكافية للتحدث بصوته الشعري المتميز، في مجتمع أدبي كان يسيطر عليه وقتها شيوخ الأدب.. ولا أعتقد أنني أعدو الحقيقة إذا قلت إن الأدب العربي لم يعرف سوى عدد محدود من الدواوين كتبت جميعها في فترة المراهقة»[3]. وأنا لا أعدو الحقيقة أيضًا إذا قلت:

---

(١) سيرة شعرية/١٧.

(٢) جريدة الرياض بتاريخ ٤/١٢/١٤٠٠هـ.

(٣) سيرة شعرية/ ٥٥ ـ ٥٦.

إن اللبيب هنا لا يحتاج إلى من يؤكد له أن عبارة كهذه تدل على الغرور والإعجاب بالنفس.

ويصف لنا القصيبي قراءته فيقول: لقد كنت منذ سن التاسعة وحتى اليوم قارئًا مدمنًا، ولا أعتقد أن أسبوعًا واحدًا قد مر بي منذ أن أجدت القراءة ولم أنته فيه من قراءة كتابين أو ثلاثة، إنني لا أذكر هذا الإدمان على سبيل المباهاة ولكن كحقيقة لا يد لي فيها.. من الطبيعي والحالة هذه أن تكون قراءاتي قد غطت حقولاً واسعة ومتنوعة»[1]. وأنا لا تعليق لي على هذا لأني لا أعلم الحقيقة، وأكتفي بنقل كلام له يصف فيه أسلوبه في قراءة بعض الكتب «كثيرًا ما أكتفي بقراءة ثلاثة أبيات أو أربعة من ديوان ما قبل أن ألقي به إلى سلة المهملات أو إلى ركن يملؤه الغبار من المكتبة»[2].

وقد ظن الدكتور أن هذه القراءات الواسعة مؤهلة له للخوض في مختلف العلوم دون أن يأخذ ترخيصًا من أحد[3]، فتراه حينًا مفسرًا محدّثًا[4] وحينًا فقيهًا قاضيًا[5] وحينًا أصوليًا[6] وحينًا مفتيًا يرجح ويختار بين أقوال العلماء[7] وقد حسب أن العلوم الشرعية تؤخذ كما تؤخذ كتب الأدب أو تقرأ كما تقرأ الدواوين.

وإذا كان هذا حاله مع غير الشعر، فإنه مع الشعر يصرح بتفوقه المطلق حينما قال:

أنا شاعر الدنيا تبطن ظهرها	شعري يشرق عبرها ويغرب
أنا شاعر الأفلاك كل كليمة	مني على شفق الخلود تلهب

(١) المرجع السابق/٤٠ ـ ٤١.
(٢) المرجع السابق/٤١.
(٣) الرسالة الرابعة/٣٣.
(٤) جريدة الشرق الأوسط العدد/٤٣٩٨.
(٥) جريدة المسلمون ٢٦/٥/١٤١١هـ.
(٦) مجلة اليمامة العدد/١١٣٤.
(٧) الرسالة الثانية/٢٤، ٢٦.

ويصرحه بكبريائه في قوله:

أتيه بالشعر بالأبيات أنحتها ... من الضلوع كما تستوقد النار
لا لن يمر غبار الذل في شفة ... يمدها بلحون الكبر تيار[1]

وهذا الإحساس بالاختلاف عن الناس في المجالات السابقة، إضافة إلى ما وفق إليه من تولى بعض المناصب، جعله يشعر بالغرور المفرط فيقول: «أنا بلغت كل ما يمكن لإنسان مثلي أن يبلغه من مجد في الحياة الدنيا، لا يمكن لإنسان وصل إلى مرحلة أصبح فيها شاعرًا معروفًا قبل سن التاسعة عشرة، وأصبح وكيل وزارة قبل سن الثلاثين، وأصبح وزيرًا قبل الخامسة والثلاثين.. الذي مرت عليه هذه الأشياء وشبعت منه وشبع منها.. أعتقد أن هذا الكلام يصبح غير ذي موضوع» كان هذا الكلام ردًّا على تساؤل طرحته إحدى الصحفيات حول سبب كثرة إنتاجه الشعري والصحفي في أثناء أزمة الخليج، وهل هو ناشيء عن الرغبة في المكافأة بمنصب؟ فلما أجاب بالإجابة السابقة سألته هل يعني هذا أنه فقد الطموح؟ فقال:

«لم أفقد الطموح، بل وصلت إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه الطموح، وعندما يصل الإنسان إلى القمة، لا توجد قمم أخرى»[2]!!

إنني لا يمكن أن أصدق صاحب هذا الكلام إذا قال: «جاء والله الجزء البغيض إلى نفسي، الحديث عن نفسي»[3] كيف وهو يورد بعد هذه العبارة قائمة في سبع صفحات عن منجزاته حتى في بناء المدارس والطرق، **ولا أدري هل تولى أيضًا وزارة المعارف ووزارة المواصلات أم ماذا؟**

إنه يبعد أن يصدق من يقول: إنه لا يحس بالاعتداد بالنفس وهو يكتب عن غازي القصيبي كتابًا في ثلاثمائة صفحة ويقول فيه: «إنه يتحدث عنه كشاعر

---

(١) ديوان «أبيات غزل»/٥٨، ط١ مكتبة دار العلوم.

(٢) جريدة الشرق الأوسط العدد/٤٣٣٦ بتاريخ ١٢/١٠/١٩٩٠م.

(٣) الرسالة الثالثة/٢٢.

فحسب لا كتلميذ ولا كمدرس، ولا كعميد كلية ولا كإداري، ولا كعضو في مجلس الوزراء، ولا كسفير ولا كأب ولا كأخ ولا كزوج ولا كابن، وفي كل تجربة من هذه التجارب وكثير غيرها ما يكفي لكتابة مؤلف»[1].

أنا لا أظن أحدًا سيصدق الدكتور في قوله: «لا توجد لدي كما توجد لدى أكثر الشعراء الذين أعرفهم ملفات تحتوي على ما كتب عني»[2] وهو يجعل بعد ورقة واحدة جزءًا مكونًا من ثمانية فصول في أكثر من مائة صفحة يورد فيه مقابلات صحفية أجريت معه.

إننا يصعب أن نقتنع بأن شخصًا ما لا يحب المديح وهو ينشر في صحيفة سيارة، قائمة طويلة من رسائل الإعجاب التي بعثت إليه ويُصدّرها بقوله «ننشر اليوم مقتطفات من عشرات الرسائل التي وصلتنا ونحن نعتذر لعدم تمكننا من **الإشارة إلى الرسائل كلها**»[3].

وأخيراً فإننا نخشى أن تكون أفعى الشهرة قد لدغت الدكتور، فإنه قد وصفها بقوله: «تبدأ في بث سمها اللذيذ تدريجيًّا، يبدأ الشهير معتقدًا أنه إنسان مختلف عن الآخرين، أنه أشد نبوغًا وأكثر ذكاءً، ويبدأ التصرف على هذا الأساس»[4].

وماذا عن الشعر؟

لا تتم الكتابة عن القصيبي دون التحدث عن الشعر، ولن نتحدث هنا عن شعر الدكتور، فقد كتب عنه هو كما كتب عنه كثير من الأدباء والنقاد، فهو بدون مبالغة شاعر فحل، ولو من الناحية الفنية على الأقل، لكننا هنا سنتحدث عن رأي الدكتور في الشعر وفلسفته في ذلك.

---

(١) سيرة شعرية/٩.

(٢) المرجع السابق/١٥١.

(٣) جريدة الشرق الأوسط العدد/٤٣٨٥ بتاريخ ١٩٩٠/١١/٣٠م.

(٤) مائة ورقة ورد/٩٩.

الشعر عند الدكتور كما يقول عنه نفسه: «يمثل الكثير الكثير، فهو غنائي في لحظات السعادة، ودموعي حينما يجتاحني الشوق إلى البكاء ومعه أعيش أوقات لا تنسى»[1]، وهو كما يقول أيضًا عن نفسه: «عبد آخر ذلك أن الشعر يملكني ولا أملكه»[2]، ونحن نذكر الدكتور الشاعر بقوله تعالى: ﴿**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾. [سورة الرعد، الآية: ٢٨]. وبقوله: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾. [سورة الذاريات، الآية: ٥٦].

لقد كان الدكتور ـ منذ أن بدأ يحس من نفسه الميل إلى الشعر ـ متعلقًا بشعراء عُرف عنهم الانحراف، فقد عرض على أخيه عادل إحدى قصائده في البدايات موهمًا إياه أنها لنزار قباني[3]، وهو دليل الإعجاب والميل.

ويؤكد هذا القصيبي بقوله: «إن شاعرًا واحدًا فقط من المشاهير، هو الذي أفلت من حلقة التجديد التقليد المفرغة، واستطاع أن يخاطب الإنسان العربي بلغة الشعر عن هموم العصر هو نزار قباني» . . . . إن سيرورة شعر نزار قباني لا تعود إلى ما في شعره من تهتك أو تحرر، وإن كان بعض شعره لا يخلو من هذين، ولكنها تعود إلى كونه استطاع أن يتكلم بلغة يفهمها الناس جميعًا عن قضايا يعاصرها الناس جميعًا، إن كثيرًا من الهجوم الذي يتعرض له اليوم نزار من الشعراء لا يعدو أن يكون شعورًا مبطنًا بالغيرة، لأنه نجح في الوصول إلى ما فشلوا في العثور عليه»[4].

ولعل هذا الإعجاب هو الذي جعل القصيبي يتأثر بنزار قباني[5] فيكثر في شعره التهتك والتمرد وليس التحرر كما عبر الدكتور.

---

(١) سيرة شعرية/١٧٨.

(٢) المرجع السابق/٢٠٩، ٢١١.

(٣) سيرة شعرية/٢٣.

(٤) مجلة الفيصل العدد/٤٦ صفحة/٣٣.

(٥) سيرة شعرية/٣٧.

وليس نزار هو الشاعر الوحيد من أصحاب الفكر المنحرف الذين أعجب بهم القصيبي ، فلقد ذكر أن صلته بالشعر الحديث ازدادت عمقًا بتعرفه على إنتاج بدر شاكـر السياب، فكان مما قال القصيبي في ذلك: «وكانت رائعة السياب «المـومس العمياء» هي أول ما قرأت له، وقـد بلغ من إعجـابي بها أنني كنت أحفظها كاملة، وأتصور أنني في كثير من القصائد التي كتبتها من الشعر الحديث كنت متأثرًا بالسياب في المضمون وأحيانًا في الأسلوب»(1). والسياب كما يعرف معـظم القـراء اشـتراكي قومي، تمتلىء أشعاره بألفاظ الكفر فضلاً عن ألفاظ الفسق، فهو الذي يقول في قصيدة «المومس العمياء» التي حفظها القصيبي كاملة:

ومن الذي جعل النساء. . دون الرجال
فلا سبيل إلى الرغيف سوى البغاء
الله ـ عز وجل ـ شاء
ألا يكن سوى بغايا أو حواضن أو إماء
أو خادمات يستبيح عفافهن المترفون
أو سائلات يشتهيهن الرجال المحسنون(2)

ويقول في قصيدة «مدينة السندباد»:

محمد اليتيم أحرقوه. .
وأحرق الإله في جفونه
محمد النبي في حراء قيدوه
غدًا سيصلب المسيح في العراق. . ستأكل الكلام من دم البراق

ويذكـر الدكتور القصيبي أنه اكتشف في حوالي السادسة عشرة إبراهيم ناجي، وبدأ إعجابه الشديد به واستمر، وهو يزداد رسوخًا بمضي الأيام، كما

---

(1) سيرة شعرية/ ٣٩.
(2) انشودة المطر/ ٩١، دار الثقافة الجديدة.

يذكر إعجابه بقصيدة «الأطلال» لإبراهيم ناجي وأنه حفظها كاملة في السابعة عشرة[1]، وحسبك أخي القارىء أن تقرأ في الأطلال قول ناجي:

وأراني قلب من أعبده
ساخرًا من معبدي سخر العدا
ظل في الأرض من ينشد أخبار السماء

أقول حسبك أن تقرأ هذا فتعرف بأي نوعية من الشعراء يعجب الدكتور غازي، فقد ذكر أيضًا إعجابه بصلاح عبدالصبور وأمل دنقل[2] وإيليا أبو ماضي[3] ولعل قصائد الدكتور الحائرة مرجعها التأثر بهذا الشاعر الذي يقول في قصيدته المشهورة «الطلاسم»:

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت
أنا لا أذكر شيئًا عن حياتي الماضية
أنا لا أعرف شيئًا عن حياتي الآتية
لي ذات غير أني لست أدري ماهية
فمتى تعرف ذاتي كنه ذاتي لست أدري[4]

ويكفي أن تعلم أن الدكتور يجعل أنموذج جيل الرواد السياب وعبدالصبور والقباني وأمل دنقل[5]، لتعرف الخط الذي أثر في صياغته، وحتى لا يتصور أحد أن الإعجاب بهذه النوعية هو مجرد قضية فنية، فإن الدكتور يتحدث عن طبيعة هذا الإعجاب قائلاً: «إن الإعجاب يتعلق بائتلاف الأرواح واختلافها، لا بتحليل ذهني جامد، هذه الألفة هي التي تشدك إلى شاعر ما تجعلك تحس بأنه يعبر عن أحاسيسك أنت بصدق وروعة، تجعلك تقول: كيف

(١) سيرة شعرية/٣٨ ـ ٣٩.
(٢) المرجع السابق/٢٥٦.
(٣) المرجع السابق/٣٩.
(٤) الجداول/١٣٩ ـ ١٧٧ دار العلم للملايين، ط١٥ ١٩٨٢م.
(٥) سيرة شعرية/٢٥٥.

عرف هذا؟ تجعلك تصرخ «ليتني قلت هذا أنا»[1].

فإذا كان أمثال هؤلاء الشعراء وقد ذكرنا نماذج من شعرهم من آلاف النماذج، يعبرون عن أحاسيس القصيبي بصدق وروعة تجعله يصرخ «ليتني قلت هذا» فإننا نخشى على إيمان الدكتور إذا نحن صنفناه مع هذه المجموعة التي يحبها والمرء مع من أحب.

ولعل مما يؤيد هذا التصنيف ما عرف عن الدكتور من دعوة قوية إلى تحييد الشعر إلى درجة تقترب من مذهب أهل «الفن للفن» ولننقل هنا بعض أفكار الدكتور حول هذه القضية.

يرى الدكتور القصيبي أن كل شعر لا يرفضه الإسلام فهو في نهاية المطاف شعر إسلامي، وأن تضييق دائرة الشعر الإسلامي وقصره على موضوعات محددة لا يتجاوزها يتنافى مع الفهم الصحيح لموقف الإسلام من الشعر، وهو يريد هنا الاعتراض على من يحصرون مسمى الشعر الإسلامي في شعر الجهاد والدعوة[2]، والخلاف في هذه النقطة مع القصيبي خلاف لفظي، فنحن وإن قلنا إن الشعر الإسلامي هو ما يخدم الإسلام، فإننا لا نقول إن ما عدا ذلك من فنون لا يجيزها الإسلام، وهو السؤال الذي سنلتمس إجابته فيما سيأتي من أفكار الدكتور، والسؤال بعبارة أخرى هل يرى القصيبي أن الإسلام له أن يتدخل فيما يقوله الشاعر أو لا يرى ذلك؟

يرى القصيبي أن الشعر غاية في حد ذاته، يحقق كل أهدافه لمجرد أنه شعر، فالشعر في حد ذاته ظاهرة محايدة[3] وقد كان ولا يزال يطالب بشدة بإبعاد المعايير السياسية والاجتماعية عن الشعر، وقد كان ولا يزال يرى أن أي معيار يزج به زجًا في الحكم على الشعر للوصول إلى نتائج ذات طبيعة أخلاقية أو سياسية،

---

(١) المرجع السابق/١٦٨.
(٢) منهم الشعراء الذين يتبعهم الغاوون، نشر بيت القرآن بالبحرين، ط١ ١٤١٠هـ.
(٣) سيرة شعرية/١٤٧.

هو معيار قليل الفائدة إن لم يكن ضارًا[1].

ويؤكد الدكتور هذه الفكرة بقوله: «إننا نهين الشعر إذا تصورنا أنه يرتقي عندما يتحدّث عن الأمور العظيمة، وينحدر عندما يتحدث عن الأمور التافهة، لا يوجد في نطاق الشعر مواضيع عظيمة ومواضيع تافهة، يوجد شعر ولا شعر»[2]. فقد تستوي أو تتفوق عند القصيبي قصيدة قيلت في «مومس عمياء» يجعل فيها الشاعر النساء بغايا أو حواضن أو إماء، ويسخر فيها من الحكمة الإلهية، على قصيدة تتحدث عن دين الإسلام أو عن رسول الله، ﷺ، وهذا ما يفيده قوله بعد: «إن كثيرًا من الخلط المتعلق بالشعر ينبع في رأيي من النظر إليه بمنظار غير منظار الشعر ذاته، إذا نظرنا إلى الشعر بمنظار سياسي وقعنا في ورطة، لابد لنا أن نستبعد من نطاق الشعر أشعارًا معينة، لأنها لا تتمشى مع أهدافنا السياسية، وإذا نظرنا إلى الشعر بمنظار أخلاقي، وقعنا في ورطة أخرى، فلابد لنا أن نستبعد من نطاق الشعر الأشعار التي تتعارض مع قيمنا الأخلاقية، وإذا نظرنا إلى الشعر بمنظار الفلسفة وقعنا في ورطة ثالثة وهلم جرا»[3].

وهذا الفهم من الدكتور يمكن أن أسميه «علمانية الشعر»، لأنه ـ باختصار ـ يطالب بإبعاد الدين عن التدخل فيما يقوله الشاعر، وهو وإن لم يجرؤ على ذكر اسم الدين أو الشريعة، إلا أن كلامه يدل عليه دلالة واضحة، فهو يرى أن أي معيار يحكم به على الشعر معيار ضار، ويمثل بالمعايير السياسية والاجتماعية والقيم الأخلاقية، ومعلوم أن المسلم يستمد هذه المعايير والقيم من أحكام دينه.

وهذا الموقف من القصيبي هو الذي جعله في صراع مع بيئته، يقول القصيبي: «هناك دائمًا أقلية متزمتة تحاول تكميم كل صوت لا يروق لها باسم

(١) المرجع السابق/١٨٨.

(٢) المرجع السابق/١٤٧.

(٣) المرجع السابق ١٤٧ ـ ١٤٨.

الدفاع عن الفضيلة والأخلاق، وقد كانت لي مع هؤلاء مشاكل وخطوب»[1].
ويحاول القصيبي أن يجعل ما واجهه من العلماء وعقلاء الأمة الذين يحمونها من أهل الدعوة إلى الانحلال والانحراف يحاول أن يجعل هذا أمرًا عامًّا حينما يقول: «إن الشاعر ـ أي شاعر ـ كثيراً ما يجد نفسه في صراع مع بيئته ويزداد هذا الصراع كلما كانت بيئة الشاعر محافظة متزمتة»[2] وأقول للدكتور إن الذي يصطرع مع بيئته المحافظة هو ذلك الشاعر الذي وصفته أنت بأنه لا يلتزم موقفًا معينًا، ولا يسير على نهج معين، والذي يتناقض مع نفسه ومع مواقفه السابقة ومع منطلقه القديم، والذي لا ترى أنت أي ضير في القراءة له، لأنك كما تقول تعتقد أن الإنسان السوي هو بالضرورة إنسان متناقض[3]، ولأن الذي يعنيك من شاعر ما هو شعره فحسب وأن تجاوز ذلك للبحث والتنقيب عن موقفه والتزامه هو من قبيل الشطط والتعنت[4].

ويحاول القصيبي الاستدلال على هذه المفاهيم من خلال الاعتماد على تأويل آيات سورة الشعراء حيث قال: «أجابهم القرآن أن الشعراء» في كل واد يهيمون» وهم بالفعل يتحدثون عن تجارب مختلفة متباينة دون حرص على اضطراد منطقي، ودون مبدأ ثابت أو منطلق واضح، والشعراء «يقولون مالا يفعلون» وهم بالفعل يعتبرون القول غاية تغني عن الفعل»[5] وهو يظن أن هذا التفسير ـ القريب مما قاله المفسرون ـ مسعف له وما علم أن الآيات مسوقة لذم هذا الجنس من الشعراء الذين وصفهم الله بأنهم «يتبعهم الغاوون»، واستثنى الشعراء المؤمنين منهم بعد ذلك، فإذا كان هذا ذمًّا فلا يكون دليلاً على تسويغ فعلهم.

---

(١) المرجع السابق/٢٧.
(٢) المرجع السابق/٢٧.
(٣) سيرة شعرية/١٨٧ ـ ١٨٨.
(٤) المرجع السابق/١٨٧.
(٥) المرجع السابق/١٤٨.

وليس العجب من هذا، إنما العجب حينما يعتمد التفسير الذي يجعل هذه الآيات خاصة بالشعراء الكفار الذين هجوا رسول الله، ﷺ، ويؤلف لتأييد ذلك رسالة مستقلة، ويرجح بأن معنى «يقولون مالا يفعلون» أي يقولون: إنهم يستطيعون معارضة القرآن الكريم، ويرجح أيضًا أن الاستثناء في قوله تعالى: ﴿**إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾. الآية. هو بيان لشروط توبة هؤلاء الشعراء المشركين[1].

ويعرض القصيبي تمامًا عما قرره العلماء بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[2]، فالذم لكل شاعر اتصف بالغواية واتبعه الغاوون واتخذ الكذب مطية لشعره، والاستثناء شامل لجميع الشعراء من المؤمنين الذين اتصفوا بذكر الله كثيرًا وعمل الصالحات.

ويزيد تلبيس القصيبي في هذا الموضوع حينما يقول «لقد تمتع الشاعر في تاريخنا الأدبي بحرية كبيرة، وكان الناس عمومًا ينجحون في التفرقة بين شخص الشاعر وشعره، ولم أسمع خلال تاريخنا أن أحدًا طالب برجم شاعر لأنه تحدث عن الوصال، أو بجلده لأنه وصف الخمر»[3]. وأنا لا أدري ماذا يريد الدكتور بلفظ الحرية، فإن كان على حسب ما فهمناه من كلامه من قبل وهو التهتك والتمرد فإن الشعراء لم يتمتعوا بحرية كهذه، بل كان من يعرف بذلك من الشعراء موضع احتقار من الأمة، لا يلتفت إليه ويقترب منه إلا الغاوون من الناس.

أما حرية النصح والنقد والتوجيه الذي لا يصل إلى الهجاء المقذع فقد كان المسلمون يقدرونها ويحترمونها.

وأما قضية حد الشاعر بما يعترف به في شعره من زنا أو سكر أو غيرهما، فإن

---

(١) منهم الشعراء الذين يتبعهم الغاوون/٢٣ ـ ٤٣.

(٢) الإلتزام الإسلامي في الشعر تأليف ناصر بن عبدالرحمن الخنين دار الأصالة للثقافة والنشر بالرياض ط١ ١٤٠٨هـ ص١٠٨.

(٣) سيرة شعرية/٢٧.

للعلماء في ذلك قولين ذكرهما ابن كثير وغيره[1]، وإذا كان جماهير العلماء لا يقولون بحده، فإنهم يقولون بذمه ولومه وتأديبه قطعًا لدابر الفساد من المجتمع المسلم، ودليل ذلك قصة عمر ـ رضي الله عنه ـ مع النعمان بن عدي حينما ولاه ميسان من أرض البصرة، فبلغه أنه يقول شعرًا يتغني فيه بالخمر وشربها فعزله[2] ولا أظن المسلمين يضرهم إن كان القصيبي لم يسمع بذلك ما دام أن علماء الأمة قد قالوا به. وأنا أجزم أنه سمع بذلك، فإنه قد رجع إلى تفسير ابن كثير في الموضع الذي نقلنا منه حكاية الأقوال، بل نقل حتى الأقوال في كتابه «من هم الشعراء الذين يتبعهم الغاوون»[3] ومن الطريف أنه نقل عن الشافعي ـ رحمه الله ـ قوله: «إن من شبب بامرأة بعينها ليست ممن يحل له وطؤها حين شبب فأكثر فيها وشهرها وشهر مثلها بما يشبب، وإن لم يكن زنى ردت شهادته، ومن شبب فلم يسم أحدًا لم ترد شهادته، لأنه يمكن أن يشبب بامرأته أو جاريته»[4] وهو يظن أن الشافعي يقبل بهذا الكلام شهادته وشهادة أمثاله من شعراء الغزل الفاضح والأدب المكشوف، ولم يتأمل قول الشافعي ـ رحمه الله ـ «بامرأته أو جاريته» ونحن نعلم أنه مكث خمسة عشر عامًا أو تزيد وهو لا زوجة له ولا أمة يحمل عليها شعره!!

إننا بعد هذا كله نفهم أن القصيبي ينادي في الشعر بـ «اللاالتزام» فهو يؤمن باختصار «بأننا يجب ألا نخنق الشعر بالهالات والأوهام وألا نثقله بالمواصفات، وألا نتطرف في مطالبنا منه»[5] ويقول: «كل ما في الحياة يصلح موضوعًا للشعر، والذين يحددون للشاعر ما يصح ومالا يصح تناوله لا يفهمون شيئًا في الشعر ولا في الحياة»[6]. ويقول: «الشعر غاية في حد ذاته يحقق كل

---

(١) تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، طبعة دار الفكر ٣/٣٥٣.

(٢) المرجع السابق ٣/٣٥٤.

(٣) صفحة/٣.

(٤) من الشعراء الذين يتبعهم الغاوون/٦٧.

(٥) عن هذا وذاك، دار الوطن بالرياض ط١ ١٣٩٨هـ.

(٦) مجلة اليمامة عدد/٣٢٠.

أهدافه لمجرد أنه شعر»[1] .

والـذي يظهر لي من تأمل أفكار الدكتور في هذا الموضوع أن لديه ميلاً لنظرية سارتر الوجودية في هذا المقام التي تقول بأن الشاعر ليس ملتزمًا ، لأن مهمة الشاعر تنتهي بمجرد فراغه من صياغة الشعر، والالتزام يتضمن جملة من الحقائق ليست غاية الشعراء عرضها أو طرحها، وفي هذه النظرية غموض واضطراب فإنها تلتقي مع نظرية «الفن للفن» التي سخر منها سارتر وسماها الفن الفارغ[2] وهذا الاضطراب نلحظه في مواقف أخرى للدكتور من هذه القضية.

فهو وإن كان نادى بوجوب التفريق بين الشعر والشاعر، إلا أنه في الوقت نفسه يقول: «إن فصل السيرة الشعرية عن السيرة الذاتية أمر بالغ الصعوبة»[3] .
بل يعتقد «أن كل شعر حقيقي هو بالضرورة شعر ذاتي»[4] . ويقول موضحًا هذا: «حقيقة الأمر أن ما يقرأه الشاعر وما يمر به في حياته من تجارب ، والبيئة السياسية والثقافية والاجتماعية المحيطة به عناصر تمتزج وتتفاعل مشكلة في مجموعها القوى والأحاسيس والانفعالات التي تتسلل إلى وعي الشاعر، وإلى لا شعوره، وتترك بصماتها على حياته وعلى شعره، ومحاولة فصل هذه العناصر عن بعضها وتحليلها واحدًا واحدًا أمر في منتهى الصعوبة إن لم يكن مستحيلاً»[5] .

والـدكتور لا يكتفي بهذا التناقض، بل إنه يتناقض حتى في موقفه من الشعر ذاته، فبعد أن ذكر أن الشاعر من صفاته أن يقول مالا يفعل ، جاء مرة ثانية ليقـول: «ليس في الكتـاب الحميد ما يجيز لأحـد شاعرًا كان أو ناثرًا أن يكـذب»[6] . ونقول للدكتور: إن كنت صادقًا في أشعارك طالبنا بحدك، وإن

---

(١) سيرة شعرية/١٤٧ . .
(٢) الإلتزام الإسلامي في الشعر ٨٩ ـ ٩٠ .
(٣) سيرة شعرية/٩ .
(٤) المرجع السابق/٨٣ .
(٥) المرجع السابق/٣٥ .
(٦) من هم الشعراء الذين يتبعهم الغاوون/١ .

كنت كاذبًا فماذا نفعل بقولك هنا؟

وبعد أن طالب بترك الحرية للشاعر ليقول ما يريد، وطالب بشدة بإبعاد المعايير السياسية والاجتماعية والأخلاقية عن الحكم على الشعر، جاء مرة ثانية ليقول: «إن الموقف من الشعر يعتمد على طبيعة الشعر، الإسلام يبيح الطيبات ويحرم الخبائث، والشعر الطيب يدخل دون جدل في دائرة المباح، أما الشعر الخبيث فمرفوض مع بقية الخبائث»[1]. وهذا كلام جميل جدًّا في تحديد الموقف من الشعر.

إن هذا التناقض يدعونا للحيرة في أمر الدكتور، فمرة نقول: إن له فطرة سليمة تستيقظ أحيانًا لتنزعه من هذه الأفكار التي سيطرت على عقله بسبب الشبهات والشهوات.

ومرة نقول: إن الرجل لا ينطلق من مبدأ ثابت فهو يتناقض مع نفسه ولا يرى التناقض عيبًا كما صرح بذلك[2].

وثالثة نقول: إن الرجل يخفي في نفسه شيئًا، فهو يدندن حوله حينًا، ويتكلم بما يناقضه حينًا ليستره.

وأنا أتمنى أن يصدق الاحتمال الأول، وأن يصدق الدكتور مع نفسه، وينتصر لفطرته، فإنه أعقل من أن تلعب به أفكار سارتر وفرويد الخرف وأشياعهما.

ولكننا إذا طالعنا ما كتب الدكتور من نثر أو شعر، وجدنا الاحتمال الثالث يدلي بحجة قوية، ليدلل على أن وراء الأكمة ما وراءها، فلنجل جولة فيما كتب الدكتور لنرى قوة هذه الحجة.

---

(١) المرجع السابق/١٤.

(٢) سيرة شعرية/١٨٨.

زلات خطيرة في مجال العقيدة:

آثرت التعبير بكلمة زلة رجاء أن يكون ما أورده هنا من أخطاء الدكتور يقف عند حد الزلة القابلة للتصحيح ولا يتجاوز ذلك.

وقد سبق لي أن أوردت في أثناء هذه الرسالة بعض الكلمات للدكتور وأشرت إلى خطورتها في مجال العقيدة، وسأقوم الآن بعرض شيء من العبارات الأخرى التي مرت بي في أثناء مطالعتي لبعض ما كتبه القصيبي، وقصدي من إيراد هذه العبارات في هذا المبحث وما بعده أمران:

أولهما: لفت نظر الدكتور إلى خطورة هذه الكلمات التي أرجو أن تكون صدرت منه نتيجة جهل أو تقليد.

وثانيهما: إشعار القارىء بأن من يعيش في ثقافته بعيدًا عن الشريعة وعلمائها يكون عرضة للوقوع في زلات خطيرة، ولننتقل الآن إلى النماذج.

■ **يقول الدكتور:** «لجأ الإنسان إلى الدين بحثًا عن منشأ الكون ومصيره، ولجأ إلى الفلسفة لتفهم مشاكل النفس والحياة، ولجأ إلى العلم لاكتشاف قوانين الطبيعة واستغلالها، ولجأ إلى الشعر ليعبر عن مشاعره من ألم وفرح وشقاء»[1]. إن هذا النص مليء بالأغاليط.

هل الإنسان لجأ للدين كما تقول نظرية الميثولوجيا، أم أن الله هو الذي أرسل رسله بالدين، وقد كان التوحيد هو الأصل في آدم وذريته، ثم انحرف الناس بعد ذلك؟

وهل وظيفة الدين هي تفسير منشأ الكون ومصيره، أم أنه يتناول كل شؤون الحياة؟

وهل الفلسفة هي التي تحل مشكلات النفس والحياة، أم أنها هي سبب حيرة الإنسان واضطرابه؟

---

(١) عن هذا وذاك/٢٣.

وأخيراً فإن كلمة «قوانين الطبيعة» قد يفهم منها أن الطبيعة فاعلة، وأرجو أن لا يريد ذلك الدكتور، الذي آمل منه أن يتأمل ما أوردته من أسئلة ويراجع نفسه في ذلك.

■ يقول الدكتور وهو يعني صدام: «لو أنه بالفعل وجه صاروخًا واحدًا نحو إسرائيل.. كنا جميعًا متنا في سبيله»[1].

لا أدري هل الدكتور يرضى أن يموت في غير سبيل الله؟

في سبيل صدام البعثي المجرم.

■ قال الدكتور في مقابلة مفتعلة مع شاعر صاعد:

«من أنت؟

أنا مهدي الأدب المنتظر

متى كتبت الشعر؟

في رمضان الماضي»[2].

ونتساءل لماذا اختار «المهدي المنتظر» رمزًا؟! ولماذا خصَّ «رمضان» بكتابة الشعر من بين الشهور؟!

■ قال الدكتور:

أيها الشوق إلى التوبة

كم خطيئة يجب أن أقترف؟

كم أفعى يجب أن أضاجع؟

كم موعظة يجب أن أحتمل؟

قبل أن أصل إلى التوبة!

أيها الشوق إلى المجد

كم مبدأ يجب أن أنحر؟

---

(١) جريدة الشرق الأوسط العد ٤٣٣٦ في ١٢/١٠/١٩٩٠م.

(٢) المزيد من رأيي المتواضع/٦٩.

كم رجلاً يجب أن أخدع؟
كم وجهًا يجب أن أرتدي؟
قبل أن أصل إلى المجد!
أيها الشوق إلى الخلاص
كم شعلة يجب أن ألمس؟
كم سكينًا يجب أن أعانق؟
كم شوكة يجب أن أمضغ؟
قبل أن أصل إلى الخلاص![1]

وأنا عَجِبُ أشد العجب من المقاطع الثلاثة:

أما المقطع الأول: فإني لا أعلم أن من شروط التوبة وجوب اقتراف الخطايا ومضاجعة الأفاعي البشرية، فلا يقول مسلم بأن من أراد التوبة يجب عليه الإتيان بهذين، وإنما يعرف الناس أن شروط التوبة الندم على الذنب بعد الإقلاع عنه ثم العزم على عدم العودة.

وأما المقطع الثاني: فإن كان الدكتور ناقدًا لوضع معين فقد أخطأ، إذ يمكن النقد بأقل من إيجاب نحر المبادىء والمخادعة والتلون.

وأما المقطع الثالث: المتعلق بالخلاص، فأعترف بعجزي عن الفهم التام له، فإني لا أعرف مصطلح «الخلاص» إلا في دين النصارى، لكن قلبي يحدثني أن هذا المقطع رمز لشيء لم يجرؤ الدكتور على التصريح به والله أعلم.

■ اختار الدكتور أبياتًا في كتابه «مائة ورقة ورد» من شعر العقاد والرصافي فكان من بينها.

حياتك شؤم على العالمين ... وموتك شؤم على الآخرة[2]
وتكره نفسي كل عبد مذلل ... لقد كرهت حتى الطريق المعبدا[3]

(١) عن هذا وذاك/٩.
(٢) صفحة/٩٢.
(٣) صفحة/١٣٦ ـ ١٣٧.

وللشعـر عين لو نظرت بنـورهـا إلى الغيب لاستشففت ما في بطونه[1]
نظرنـا لأمـرالحـاضرين فرأينـا فكيف بأمـر الغـابـرين نصـدق[2]

وأنا أستغرب اختيار الدكتور لهذه الأبيات التي فيها جرأة واضحة على الله، بادعاء أن موت إنسان ما شؤم على الآخرة، وكراهية العبودية مطلقًا ولو كانت لله، وادعاء أن الشاعر قد يعلم الغيب، وإنكار المغيبات، وأترك الجواب عن هذا للدكتور.

■ يلاحظ القـارىء لشعـر الـدكتـور وجـود تجاوزات خطيرة في مجال العقيدة، ولعـل القارىء يذكر ما أشرنا إليه من قبل حول قصيدة «أغنية قبل الرحيل. وتصريح الدكتور فيها بالحيرة وضياع المبادىء والأهداف، وتشبهها إلى حد ما قصيدة «معركة بلا راية» وقصيدة «ففيم العناء».

وبالإضافة إلى ظاهرة الحيرة تجد الاستهزاء بالدين صراحة كقول القصيبي:

تعـالى دقـائـق نهرب فيهـا على زورق مبـحـر في صور
وحيدين نسمـع رجـع الضجيج فنضحـك من فلسفـات البشر
من النـاس يخترعـون الشقـاء ويدعـونـه نكـبـات الـقـدر
من الصـابـرين من السـاخـطين من المـؤمـنـين بألا مفـر[3]

وكقوله:

سأسكـر حتى أحس الـوجـود جنـونًـا تموج بأحـلى الصـور
وحـتـى أحس بأني انـتصرت وأني هزمـت مآسي الـقـدر[4]

وفي هذين المقطعين يعجز التأويل أن يجد مخرجًا لحسن النية، فماذا بعد تحدي القـدر والاستهزاء به، والضحك على فلسفات البشر، وعلى الصابرين

---

(١) صفحة/ ١٣٦ ـ ١٣٧.
(٢) صفحة/ ١٣٦ـ ١٣٧.
(٣) قصائد مختارة/ ١٩.
(٤) قطرات من ظمأ/ ٥٦.

والمؤمنين بألا مفر؟ وهذه لا يوازيها في الخطورة إلا قوله:

نهيم خلف وجـود ... ما عاش إلا بظن[1]

أفيقول الدكتور: إن ما جاء في القرآن والسنة الصحيحة ظن؟ إن كان يقول هذا ويعتقده فهذا كفر بواح، عندنا فيه من الله برهان.

ويكاد القصيبي ينكر أمجاد أمة الإسلام حين يقول:

أنـنشـد للمـجـد يا للغبـاء ... وأمجـادنـا كبـياض الـغـراب

ونصرخ أمس بلغـنـا الـسـماء ... وكـان الـرشيد يسـوق السحاب

ونـزعـق نحـن على موعـد ... مع الفجر حين ينادي الإياب[2]

ولو أن القصيبي لم يذكر الرشيد لحملنا الكلام على أمجاد العرب في العصر الحاضر من دعاة القومية والوطنية، أما وقد ذكر الرشيد ثم استهزأ بمن يصيح «إننا على موعد مع الفجر حين نرجع إلى ما كان عليه أسلافنا» فإن الأبيات لا محمل لها إلا ما ذكرته قبلها، والذي يستهزىء بأمجاد الأمة لا يستغرب منه أن يستهزىء بمبادئها حين يقول:

عالمنا.. هذا الذي نفر من شقائه

نضج من غبائه

نلعنه لأنه يشرب من دمائنا

عالمنا ـ تدرين ـ شيء كامن في عمق روحينا

فإن تمردنا تمردنا على بقائنا» [3]

إني لا أعلم شيئًا كامنًا في عمق روح المسلم غير الإسلام ومبادئه، فهل يتمرد القصيبي عليها أم على ماذا؟

---

(١) قصائد مختارة/٧٧.

(٢) ديوان معركة بلا راية/٢٩.

(٣) ديوان معركة بلا راية/١٢٢.

وأنا أنصح في هذا المقام بقراءة ما كتبه المهندس سمير المالكي في رده على القصيبي، فقد ذكر نماذج كثيرة من شعر الدكتور في هذا الموضوع.

نظرة القصيبي إلى مجتمعنا:

يقول الدكتور القصيبي: «في أواخر سنة ١٩٦١م سافرت إلى كالفورنيا حيث بدأت مرحلة جديدة مثيرة في حياتي وفي شعري على حد سواء»[١] ويفسر طبيعة هذه المرحلة في موضع آخر بقوله: «هناك انبهار من المجتمع الجديد الذي نجح في بناء أعظم حضارة مادية شهدها العالم، ومع ذلك بقيت جوانب عديدة منه قاتمة خالية من الدفء الإنساني، هناك مشكلة التكيف مع المجتمع الجديد دون التخلي عن الجذور التي يحملها المرء في أعماقه، هناك الحيرة إزاء العلاقة بين الذكور والإناث، وبين أفراد العائلة الواحدة، هناك الدهشة من السهولة التي يبدأ بها الحب والسرعة التي بها يموت»[٢].

هذا الانبهار والحيرة والدهشة جعلت القصيبي ينظر إلى مجتمعه السابق نظرة احتقار وازدراء، حيث قال: «هناك الحنين إلى المجتمع القديم، ولكن الحنين هنا ولأول مرة تشوبه رغبة جامحة في تطوير المجتمع القديم وإنقاذه من براثن التخلف»[٣]، وإذا سألنا عن نوعية هذا التخلف أجاب بقوله: «كنا نقول ذات يوم إننا بلد متخلف في جميع الميادين»[٤].

وإذا طالبته بتحديد هذه الميادين أجابك «العدو الأول في نظري هو التخلف، كل خطوة نخطوها للابتعاد عن التخلف بأنواعه المادية والفكرية والاجتماعية والسياسية هو خطوة للتخلص من الهزيمة»[٥]، وأنا أعجب من

---

(١) سيرة شعرية/٥٧.
(٢) سيرة شعرية/٦٤ - ٦٥.
(٣) المرجع السابق/٦٥.
(٤) عن هذا وذاك/٢٨.
(٥) سيرة شعرية/٨٣.

الدكتور الذي لا يرى أن العدو الأول إسرائيل، ولا الاستعمار العالمي، وأسأله هل الغرب الكافر والشرق الملحد متقدم علينا حتى فكريًا واجتماعيًا؟، فنأخذ منه التقدم المادي والسياسي والفكري والاجتماعي. وهل تعتقد كما ذكرت ذلك في اليمامة بأن في كل مكان من العالم الإسلامي قحط فكري(1).

إني لا أعجب منه بعد هذا إذا وصف نفسه وحبيبته بقوله:

نحن جرحان من جروح التقاليد ومن قسوة الليالي العنيدة
نحن قيثارتا لحون ولكن أتعِي لحننا النفوس البليدة(2)

أو خاطب حبيبته التي لا يجرؤ على الكتابة لها ولا تجرؤ هي على الكتابة له بقوله: «وهل نجرؤ ونحن مشدودان إلى عالمينا بخيوط العنكبوت والحرير والذهب والفضة أن نحول الشوق المجهول إلى الشوق المعلوم، حب الاستطلاع إلى الاستطلاع، اللعب عن بعد بالنار إلى غمس الأصابع في عمق البحر»(3).

وأترك للقارىء تأمل هذين النصين وتحليلهما ليرى مقدار السخرية بمجتمعنا:

ولا أعجب منه أيضًا إذا وصف صحراءنا ووصفنا بقوله:

«وهل يرعى دجى الصحراء.. إلا كوكب الجدب
ومأساتي
وإن قالوا أنا أوجدتها.. صدقتها.
وعشقتها فسكنت دنياها
كمأساة الملايين
رفاقي في صقيع الكون.. أصحابي المساكين

---

(1) العـدد/199.
(2) سيرة شعرية/38.
(3) المزيد من رأيي المتواضع/27.

حياة طوقوها دون إدراك لمعناها

وسجن قيل موتوا فيه أحياء إلى حين»[1]

أو بقوله:

«وغدًا نرجع من عبقر لا شيء لدينا

غير ومض باهت في مقلتينا.. وبقايا رعشة في شفتينا

وغدًا نرسف ما بين الجموع.. بقيود الندم الفظ ونقتات الدموع.

فكأنا ما التقينا

وغدًا نرجع للعرس الحزين.

في ضفاف الميتين.. الآلى لم يدفنوا.. يمشون في الأرض.

الحيارى الضائعين

وغدًا تلمسنا الحمى فننهار كباقي **الأشقياء»**[2]

وإذا كنت لا أعجب من صنيع القصيبي، فإني أعجب من مجلة الفيصل التي تحمل اسم ذلك العلم الهمام كيف تجرؤ وتستبيح نشر هذا الذم الواضح لمجتمعنا.

لو نشر هذا في مجلة كاليمامة لما عجبت، فقد عودتنا على النشر لأرباب الأفكار المنحرفة، ولذا لم أستغرب منها نشر قصيدة القصيبي «رسالة من باريس» التي يقول فيها:

أحاول أن أتقمص باريس

أن أتحرر من جسدي المغبر[3]

فهل يعد تقمص باريس بلاد الانحلال الخلقي تحررًا؟

إن الدكتور القصيبي يرى أن أجسامنا مغبرة، ويقترح علينا أن نذهب

---

(١) قصائد مختارة /١٣٦.

(٢) مجلة الفيصل عدد /٥٦ صفحة /٤٧.

(٣) العدد ٨٤٨ في ١٣/٧/١٤٠٥هـ.

لباريس وأمثالها لننظف هذا الغبار، وهذا التصور من القصيبي جعله يحس بأنه يسبح ضد التيار، ويسير في خط معاكس لما عليه المجتمع كما سبق أن نقلنا عنه قوله: «إن الشاعر ـ أي شاعر ـ كثيراً ما وجد نفسه في صراع مع بيئته ويزداد هذا الصراع كلما كانت بيئة الشاعر محافظة متزمتة»[1].

وبيئتنا بحمد الله محافظة ملتزمة بشرع الله في نظرنا، متزمتة في نظر القصيبي وأمثاله، ولذا كان له مع هذه البيئة مشكلات وخطوب[2] وصلت إلى حد تشكيل لجنة من كبار العلماء لمحاكمته، وإن كان يحاول أن يخدع الناس بأنه مظلوم لأنه صادق وغيره يعيش على الكذب كما في قوله:

أحبك آذتني المكائد روعت
قوافي ألقت بي على شاطىء الرعب
أعاصير من حولي تطارد خطوتي
وجمع من الأعداء يجأر بالحرب
وما نقموا مني سوى أنني فتى
نوى الصدق في دنيا تعيش على الكذب[3]

وأقول له: إنها ما روعت من قوافيك إلا ما اشتمل على الفسق والفجور والاستهزاء بالدين وأهله، وإنهم ما نقموا منك إلا ذلك، ولم يقف في وجهك إلا العلماء والدعاة الذين وصفتهم بأنهم أقلية تحاول تكميم كل صوت لا يروق لها باسم الدفاع عن الفضيلة والأخلاق[4].

هذا الشعور من القصيبي، جعله يحاول النيل من هذه الفئة التي يزعم أنها أقلية، وهي في الحقيقة أكثرية، أعني طائفة العلماء والدعاة التي لا تقف

---

(١) سيرة شعرية /٢٧.
(٢) المرجع السابق /٢٧.
(٣) جريدة الجزيرة عدد ١٩٣٢ في ١٤/١٠/١٣٩٧هـ.
(٤) سيرة شعرية /٢٧.

وحدها في وجه القصيبي وأمثاله، وإنما يقف معها جميع المسلمين سوى شرذمة من أصحاب الأفكار المنحرفة.

لقد تنوع هجوم القصيبي على العلماء، فقد وصفهم بأنهم «يودون محاربة الصواريخ بالخناجر، والعلم بالسحر، والأسلحة النووية بالتعاويذ»[1]. وهذا الوصف منه للعلماء يدلنا على أن أفكار الرجل لم تتغير، فقد قرأنا له قبل عشرين سنة قوله:

قال لي الشيخ الوقور
أنا أعددت حجابًا
يهزم الجيش يبيد الطائرات
معجزات»[2]

وهو لا يدخر وسعًا في الاستهزاء بالعلماء والافتراء عليهم، فالكل قد قرأ كلماته في الأيام القريبة الماضية «نتمنى على بعض علمائنا الكرام أن يبقوا في مجال تخصصاتهم، وألا يزجوا بأنفسهم في بحار السياسة»[3] ولكنه حين جاء يوزع التخصصات لم يترك لهم حتى تخصصهم، يقول: «الوضع السليم هو أن يكون لكلية التجارة دور قيادي في البحوث الاقتصادية والإدارية، ويكون لكلية الزراعة رأي في كل ما يتصل بشؤون الزراعة.. والوضع السليم هو أن يساهم أساتذة القانون في الجامعة في مناقشة الأنظمة وإعدادها ودراستها، ويساهم أساتذة الاقتصاد في رسم الخطط الاقتصادية والمالية للدولة، ويقود أساتذة الأدب الحركة الأدبية في البلاد»[4] ولا أدري ماذا سيفعل بعلماء العلوم الشرعية وأساتذتها، لا ريب أن مكانهم عنده هو المسجد فقط، ولا دخل لهم في الحياة، وحتى المسجد يجب ألا يتعارض دورهم فيه مع ما يريد إشاعته في المجتمع.

(١) جريدة الحياة العدد /١٠٢٣٦ الثلاثاء ١٤١١/٧/٢٨هـ.

(٢) ديوان معركة بلا راية /٦٢.

(٣) جريدة صوت الكويت الدولي الجمعة ١٤١١/٥/٢٠هـ.

(٤) عن هذا وذاك ٧٢ - ٧٣.

مجلة المجتمع عدد ٤٥٦

الثلاثاء ٣ ذو الحجة ١٣٩٩هـ
٢٣ أكتوبر ١٩٧٩م

ليست حياة المسلمين المتمسكين بشرع الله حياة لا إنسانية

بقلم الشيخ
عبد العزيز بن
عبد الله بن باز

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله واصحابه ومن اهتدى بهداه.

اما بعد: فقد اطلعت على ما نشر في مجلة «النيوزويك» الامريكية الصادرة في ١٧ ابريل ١٩٧٨م وعلى ما نشر في العدد الصادر يوم ٢٤ ابريل ١٩٧٨م من مجلة «تايم» الامريكية من الكلام الذي نسب الى وزير الصناعة والكهرباء الدكتور غازي القصيبي وجاء فيه ما ترجمته: **«انك اذا لم تتذكر تطلع شعبنا الى حياة افضل بعد ثلاثة الاف سنة من الوجود اللا انساني فانك لن تستطيع فهم ما يجري اليوم في السعودية»**. وهذا الكلام سبق نشره في مجلة النيوزويك الامريكية الصادرة في ٩ يوليو ١٩٧٧م والمنقول عن مجلة «الاعتصام» المصرية. ورغم صدور هذا الكلام في الصحف الامريكية غير مرة وفي مجلة الاعتصام المصرية فاننا لم نسمع تكذيبا له من الدكتور القصيبي وذلك يدل على اقراره بما جاء فيه والا لسارع الى تكذيبه وتفنيده.

وقائل ذلك الكلام يعتبر الفترة التي حددها بثلاثة الاف سنة دون مستوى الانسان، وان الناس فيها يعيشون حياة لا انسانية، وهذه الفترة يدخل فيها زمن النبوة والخلافة الراشدة وعهد السلف الصالح ومن سار على نهجهم.

ولا شك ان ذلك نوع من انواع الردة عن الاسلام لان كل من انتقص الاسلام او طعن فيه او زعم انه لم يحصل به اسعاد الامة ولا رقيها او زعم ان حالة الناس اليوم احسن من حالهم في عصر النبوة والسلف الصالح على سبيل الاطلاق فهو مرتد عن الاسلام مكذب للنصوص من الكتاب والسنة واجماع الامة وان لم يشعر بذلك، وهو في الحقيقة انكار لفضل الاسلام على الانسانية وما حصل به لها من الرقي العظيم والسعادة والعزة التي لم يسبق لها نظير في تاريخ الامم وهو ايضا انكار للاسلام ودعوته وجحود لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم وفضلها على البشرية وذلك كفر صريح باجماع المسلمين، ولقد وصف الله الذين استهزؤا برسول الله واصحابه بالكفر ولم يقبل اعتذارهم فقال تعالى:

«قل اباالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم . الاية».

ثم ان ذلك تكذيب لحقيقة تاريخية يشهد بها الاعداء قبل الاصدقاء، فكلهم يعترفون بان العهود الاسلامية الاولى كانت ازهى عصور التاريخ واكثرها انسانية وان الاسلام جاء باعظم التشريعات التي ترفع شأن الانسان في دنياه واخراه ومن كذب بذلك فهو جاهل بالواقع او مكابر يقوده الحقد والكراهية للاسلام الى ان يقول مثل هذا المقال الشنيع، وان مما يزيد في خطورته امور منها:

١ ـ نسبته الى رجل يعمل وزيرا في دولة اسلامية تدعو الى الاسلام وترفع رايته ويرمقها المسلمون في جميع بقاع الارض لحرصها على تطبيق الشريعة الاسلامية وتحكيمها ولانها خادمة الحرمين الشريفين ومهد الاسلام ومنبعه فهي وابناؤها اولى الناس بالمحافظة على الاسلام والدفاع عنه والانكار على مهاجميه.

٢ ـ ان الشباب قد ينخدعون بمثل هذا الكلام اذا صدر من مسؤول كبير فياخذونه قضية مسلمة دون تفكير او مناقشة مما يكون سببا في انحراف كثير منهم عن الاسلام ما دام لا يهيىء للناس حياة انسانية فيكون على القائل وزر قوله ومثل اوزار من ضل به الى يوم القيامة.

٣ ـ اعطاء التأييد لاعداء الاسلام لمهاجمته والاستشهاد باقوال ابنائه وذلك مما يعطي موقفهم قوة ودعما: وقد استغل هذا الكلام محرر مجلة «النيوزويك دوريت كريستوفر» فزعم ان ستة الاف شاب سعودي يدرسون في امريكا سيعودون بافكار علمانية، ولن يرضوا ان تبقى المملكة العربية السعودية محكومة بالانظمة الرجعية التي تقطع يد السارق وترجم الزاني واعتبر المحرر المشار اليه ان من علامات التاخر في المملكة ان غير المسلمين لا يحق لهم ان يصبحوا مواطنين فيها ولا بد في رايه ان يصبح لليهود والنصارى وغيرهم من الكفرة حق المواطنة في المملكة وجهل او تجاهل ان الجزيرة العربية لا يجوز ان يبقى فيها دينان ولا ان يقيم بها كافر الا بصفة مؤقتة تدعو لها الحاجة، كما لا يجوز ان يعطى الكافر في الجزيرة العربية الرعوية التي تمكنه من الاقامة بها.

ونحن بعد كل هذا لا نجزم بان هذا الكلام المنسوب للدكتور القصيبي من كلامه فعلا فهو خبر يحتمل الصدق والكذب، ولكننا ندعوه الى المبادرة بتكذيبه ان كان لم يقله وليكن ذلك في جميع وسائل الاعلام وبعدة صحف ومجلات وخاصة مجلتي «التايم» و «النيوزويك» الامريكيتين.

اما ان كان قد صدر منه فالواجب عليه التوبة النصوح الى الله من ذلك ومن تاب صادقا تاب الله عليه كما قال سبحانه وتعالى **«وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون»** ويجب اعلان التوبة بوسائل الاعلام لقول الله تعالى **«ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم»** ولم يستثن من الملعونين الا من تاب واصلح وبين، والبيان انما يكون بالطرق التي اعلن بها الباطل.

ونسأل الله ان يوفقنا وسائر المسلمين لمعرفة الحق واتباعه والتوبة النصوح من جميع الذنوب انه سميع قريب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

٣٥

---

٦ ـ نص خطاب سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ـ حفظه الله ـ، الموجّه للدكتور غازي القصيبي، والذي نشرته مجلة المجتمع تحت العدد «٤٥٦»، الثلاثاء ٣ ذو الحجة ١٣٩٩هـ. ٢٣/ اكتوبر ١٩٧٩م.

وقد زعم القصيبي أن العلماء يتصورون أن المرأة مخلوقًا من الدرجة الثانية وربما العاشرة، وأنه هو من أنصار المرأة[1].

وبلغت به الجرأة أن يقوم بتعليم علماء الشريعة آداب الاجتهاد وآداب الخلاف[2]، وأن يدعي أنهم يستخدمون ألفاظًا يستحق قائلها الحد أو التعزير[3].

وهو لا يكتفي بهذا الهجوم العام، بل يهاجم أشخاصًا بأعيانهم من العلماء والدعاة وقد عرضت وناقشت خلال هذه الرسالة هجومه السافر على ثلاثة من أبرز الدعاة وسأعرض هنا موقفه من عالم من أكبر العلماء في العالم الإسلامي اليوم.

* سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز حفظه الله، نشر في مجلة المجتمع مقالاً بعنوان: «ليست حياة المسلمين المتمسكين بشرع الله حياة لا إنسانية»، وقد ناقش فيها عبارة منسوبة للدكتور تناقلتها مجلتا «نيوزويك» و«تايم» الأمريكيتان، ثم نقلت ذلك مجلة الاعتصام المصرية ونقدته، ونص العبارة هو: «إنك إذا لم تتذكر تطلع شعبنا إلى حياة أفضل بعد ثلاثة آلاف سنة من الوجود اللاإنساني، فإنك لن تستطيع فهم ما يجري اليوم في السعودية».

* وقد قال سماحة الشيخ في هذا المقال المرفقة صورته: «ورغم صدور هذا الكلام في الصحف الأمريكية غير مرة وفي مجلة الاعتصام المصرية فإننا لم نسمع تكذيبًا له من الدكتور القصيبي، وذلك يدل على إقراره بما جاء فيه وإلا لسارع إلى تكذيبه وتفنيده»[4].

وبعد أن بين الشيخ ما يفهم من هذه العبارة قال: «ولا شك أن ذلك نوع من الردة عن الإسلام، لأن كل من انتقص الإسلام أو طعن فيه أو زعم أنه لم يحصل به إسعاد الأمة ولا رقيها أو زعم أن حالة الناس اليوم أحسن من حالهم في

(١) مجلة اليمامة العدد ٦٨٤ في ١٤٠٢/٣/٢٠هـ.
(٢) مجلة اليمامة العدد /١٣٣ في ١٤١١/٥/١٨هـ.
(٣) جريدة المسلمون العدد /٣٠٦ في ١٤١١/٥/٢٧هـ.
(٤) مجلة المجتمع العدد ٤٥٦ في ١٣٩٩/١٢/٣هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

غازي عبدالرحمن القصيبي

صاحب السماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

اطلعت بمزيد الأسف والألم على المقال المنسوب لكم في مجلة المجتمع الكويتية والذي وردت فيه عبارات تحز في نفسي قلمي من تكرارها.

لقد استغربت غاية الاستغراب لأن الموضوع سبق أن أثير من قبل وأصدرت تكذيباً له وتبادلنا حوله الرسائل ووصلني منكم الخطاب المرفق صورته لسهولة الاطلاع.

لقد أسأتم إليّ إساءة بالغة في المرة الأولى وإساءة بالغة في المرة الثانية وهذا مسلك عجيب لا أستطيع فهمه ولا إدراك الدوافع له.

على أنني لا أود أن أجزي الإساءة بمثلها حرصاً على تضامن المسلمين ووحدتهم وخاصة في هذه الظروف العصيبة ولهذا فلا أملك إلا أن أدعو الله سبحانه وتعالى أن يغفر لكم ما اقترفتموه في حقي من إساءة ظالمة وأن يلهمكم السداد والصواب ويقيكم شر التصرفات اللامسؤولة وأن يوفقنا وإياكم إلى صالح الأعمال وإلى ما فيه رضاه إنه سميع مجيب

أخوكم

غازي [illegible]

في ١٤٠٠/١/٦

---

١ ـ صورة من الخطاب الموجّه من الدكتور غازي القصيبي، إلى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ـ حفظه الله ـ الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية للإفتاء والدعوة والإرشاد.

عصر النبوة والسلف الصالح على سبيل الإطلاق، فهو مرتد عن الإسلام، مكذب للنصوص من الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وإن لم يشعر بذلك»[1].

وقد بين الشيخ حفظه الله في هذا المقال الأسباب التفصيلية لكون هذه العبارة ردة عن الإسلام، وخطورتها من حيث كونها صدرت من وزير في أكبر دولة إسلامية تعلن تطبيق شرع الله، وتخدم الحرمين الشريفين، فقد يخدع بها الشباب الغر، وقد يستغلها أعداء الإسلام كما فعل «د. روبرت كريستوفر» محرر مجلة النيوزويك حيث قال: «إن سبعة آلاف شاب سعودي يدرسون في أمريكا سيعودون بأفكار علمانية، ولن يرضوا أن تبقى المملكة العربية السعودية محكومة بالأنظمة الرجعية»[2].

* وقد دعا الشيخ ابن باز القصيبي في آخر المقال إلى تكذيبه إن كان لم يقله، وليكن ذلك في جميع وسائل الإعلام وبعدة صحف ومجلات، وخاصة مجلتي التايم والنيوزويك، وإن كان قد صدر عنه فليبادر إلى التوبة النصوح إلى الله من ذلك. وبعد نشر الخطاب بأكثر من شهر بعث القصيبي إلى سماحة الشيخ الخطاب المرفقة صورته والذي يدرك القارىء بعد قراءته أسلوب الدكتور في مخاطبة أهل العلم، وأن ما سطره في رسائله الخمس من هجوم على العلماء لم يكن غريبًا عليه، ولنتأمل معي هذه النقاط:

● الشيخ ابن باز يقول: لم نسمع تكذيبًا له من الدكتور والقصيبي يقول: أصدرت تكذيبًا له وتبادلنا حوله الرسائل.

فمن نصدق: الشيخ ابن باز أو الدكتور؟

● القصيبي يعف قلمه عن تكرار عبارات سماحة الشيخ!!

● القصيبي لا يستطيع فهم ولا إدراك الدوافع التي دفعت سماحة الشيخ إلى هذا المسلك العجيب، الذي أساء فيه إلى القصيبي إساءة بالغة مرتين وليست مرة واحدة!!

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

● القصيبي لا يريد أن يجزي الإساءة بمثلها حرصًا على تضامن المسلمين ووحدتهم . . وهل بعد هذا الخطاب يا دكتور من إساءة إلا إطلاق النار كما تقول في رسائلك[1].

● القصيبي يصف سماحة الشيخ بأنه يتصرف تصرفات لا مسؤولة لأنه اقترف ضد القصيبي إساءة عظمى!!

وهذا الأسلوب مع سماحة الشيخ ـ كما ذكرت ـ لا يستغرب من الدكتور، إنما المستغرب أن يهدي له الرسالة الأولى من رسائل «حتى لا تكون فتنة» قائلاً له: «إلى سماحة الشيخ الجليل الأب الوالد عبدالعزيز بن باز الذي تشرئب إليه الأعناق، وتتطلع إليه الأنظار منتظرة منه أن يقول كلمة الحق»[2] أهـ. فلا نملك أمام هذا الاستغراب إلا نتذكر قول الله تعالى: ﴿**وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين**﴾. [سورة النور، الآية: ٤٩].

وبعد هذا فإن الشيخ يطالبه بنشر التكذيب أو التوبة في جميع وسائل الإعلام، وبعدة صحف ومجلات وخاصة المجلتين الأمريكيتين، ولا نعلم أنه كذب ذلك أو اعتذر عنه إلا في زاوية منزوية وبعبارة مستحية في إحدى الصحف المحلية قليلة الانتشار.

إن الذي يقف من سماحة الشيخ هذا الموقف، لا يستغرب منه أن يقف مع العلماء غيره مواقف مشابهة، ويمكن أن نشير باختصار إلى ما كتبه عن الشيخ ناصر الدين الألباني وهو من هو في جلالة قدره، فقد كتب القصيبي في مقال «يوميات الكاسيت» معلقًا على شريط صدر عن الشيخ خلال الأزمة: «لا ندري هل يظن فضيلة الشيخ أن صدام طور أسلحته الجهنمية الفتاكة بالاستعانة بالمسلمين دون غيرهم؟!! إذا كان الشيخ لا يدري فهي طامة، وإن كان الشيخ يتوقع بالفعل أن نقاوم علمانيًا ملحدًا استعان بكل قوى الشر بالمسلمين وحدهم

---

(١) الرسالة الثالثة /٢٣.

(٢) الرسالة الأولى /٣.

فهي طامــة أعـظم!! نتمنى على بعض علمائنـا الكـرام أن يبقـوا في مجالات تخصصـاتهم، وألا يزجـوا بأنفسهـم في بحار السياسة وهم لا يحسنون السباحة فيها.. حتى لا يغرقوا.. ويغرقوا شبابنا الحائر معهم!! وقديمًا قال فقيه ألمعي: «بين أصحابنا من أرجو بركته ولا أقبل شهادته» قلت: في أمور السياسة!!»[1]

هذه السخرية الفجة التي تلاحق كلماتها علامات التعجب هي سخرية من المحدث المشهور الشيخ محمد ناصر الدين الألباني الذي حرص القصيبي في رسائله على إبراز قوله في الحجاب[2] مما يجعلنا نقول: قال الله تعالى: ﴿**وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين**﴾. [سورة النور، الآية: ٤٩]. أفلا يجد القصيبي عبارات مهذبة يتحدث بها عن الشيخ، بل عن المشايخ؟

ألا يخاطبهم بما خاطب به كيسنجر اليهودي حينما قال له: «ربما كان هذا الرجل حتى بعد أن نجرده من الهالات والأساطير خير من يستطيع المساهمة في حل مشكلة الشرق الأوسط.

أنت ياسيدي الرجل المناسب في المكان المناسب في الوقت المناسب.. أما الذين يصنعون التاريخ فهم الساسة الذين أصبحت واحدًا من أبرزهم»[3].

ألا يخاطبهم بما خاطب به رفعت المحجوب الذي يعرف المسلمون عداوته للشريعة الإسلامية، ولمن تمسك بالإسلام أو دعا إليه، حينما قال عنه: «فكرت في الأستاذ الذي علمني أكثر من حرف.. والذي سمعت منه لأول مرة أسماء آدم سميث وريكارد وكارل ماركس.. رحم الله أستاذي الدكتور رفعت المحجوب وجزاه عن تلاميذه خير الجزاء»[4].

هل ثنـاء الـدكتـور مقصـور على الكفـار والملحدين والعلمانيين وأعداء

---

(١) جريدة صوت الكويت الدولي الجمعة ٢٠/٥/١٤١١هـ.

(٢) الرسالة الخامسة /٣٣.

(٣) عن هذا وذاك /٧٦ ـ ٧٧.

(٤) مجلة اليمامة عدد /١١٢٧ في ٦/٤/١٤١١هـ.

الإسلام، وسخريته واستهزاؤه وهجومه موقوف على الدعاة والعلماء وحملة لواء الإسلام.

إن هذا الصنيع من الدكتور القصيبي يجعلنا ندرك مع من يقف، وممن يصنف نفسه، وبلسان من يتكلم.

لقد دأب القصيبي منذ زمن بعيد على الدعوة للحوار المفتوح الهادىء، بين من سماهم المقلدين، الذين رفضوا الحضارة الغربية رفضًا تامًّا، محاولين أن يجدوا في التراث مأوى يعصمهم من الطوفان، والذين يريدون أن يكمموا كل الآراء التي تخالفهم بحجة الدفاع عن العادات والتقاليد، ويعدون المجددين طابورًا خامسًا متواطئًامع العدو لا يستحق سوى المحاربة والاحتقار. وبين من سماهم المجددين الذين فتنوا بالحضارة الغربية، وقرروا الانسياق معها والانسلاخ عن تراثهم وتأريخهم، وهم يظنون أن آراءهم تمثل الأغلبية، وأن من حقهم احتكار توجيه الناس بدعوى تطويرهم، ويرون أن المقلدين عقبة كأداء تقف في طريق التقدم[1].

وإن المتأمل فيما يطرحه القصيبي حول موضوع الحوار يلحظ الأمور التالية:

١ ـ أن ظاهر هذه الدعوة، دعوة للحوار في الأمور الفرعية الاجتهادية، لكن باطنها دعوة للحوار في كل شيء كما صرح بذلك في العدد /٤٦ من مجلة الفيصل، وكما قال في الفاكس المشهور: «وإننا نتطلع إلى مرحلة يكون كل شيء فيها قابلاً للنقاش».

٢ ـ أن هذه الدعوة، دعوة للحوار بين العلماء الذين قال إنهم يفهمون المجتمع وما يصلح له، وبين طائفة يقول عنها: إنها عاجزة عن فهم المجتمع قد فتنت بالغرب وقررت الانسلاخ عن تراثها وتأريخها، والعجب أن يدعو إلى

---

(١) انظر لهذا مجلة الفيصل العدد /٤٦ والعدد ٦١ صفحة /٥٤ وكتاب التنمية وجهًا لوجه ط ٢ سنة ١٤١٠هـ صفحة /١٤٥ وجريدة الشرق الأوسط عدد ٤٣٧١ في ١٤١١/٤/٢٩هـ.

الحوار بين هاتين الفئتين في أمور الشريعة، فكيف يحاور العلماء فئة لا تعرف الشريعة؟ وقد قررت الانسلاخ عن تراثها وتأريخها، وهي بالإضافة إلى ذلك كما يقول الدكتور تعتقد بأن الحقيقة احتكار لها، فلا تتيح لغيرها ممن يفهمون المجتمع مجالاً لوضع الخطط التي تطور المجتمع، وتتناسب مع قيمه ودينه وأخلاقه وطبيعته.

٣ ـ أنه ينادي بحوار هادىء بعيد عن استعداء السلطة، وهذا المطلب أظنه يطبقه على العلماء فقط، لأن أولئك ما زالوا منذ زمن بعيد يستغلون ما أتيح لهم من سلطة في التمكين لآرائهم ومحاربة كل مما يعارضها.

٤ ـ أن سبب الدعوة إلى الحوار هو الرغبة في انفلات المجتمع من قيمه وانفتاحه على الحضارة والثقافة الغربية، وهو ما أشار إليه القصيبي نثرًا حينما تكلم عن تطوير الإعلام فقال إنه يكون «بالتخطيط الهادىء والتنفيذ الذكي وجو من الانفتاح غير المؤقت»[1] أي بهدوء وذكاء لا يثير الفريق الآخر، وانفتاح تام على الغرب.

وأشار إليه بشعره حينما قال:

بنت الربى الخضر أخت الفجر ملهمتي
حطمت ذل قيودي عدت منتصبا

هاتي يديك سنمشي في الدروب معًا
نواجه الناس والأيام والنوبا[2]

ولا أظن القارىء يجهل أين تقع الربى الخضر التي سيمسك القصيبي بيدي ابنتها ويمشي معها في الدروب لمواجهة الناس.

وقد صرح بذلك حينما قال:

إخوتي لا تغضبوا إن قلت: ما زلنا صغارًا

---

(١) جريدة الحياة عدد ١٠٢٣٦ في الثلاثاء ٢٧/٧/١٤١١هـ.

(٢) ديوان معركة بلا راية / ١٤.

لم نزل نرضع نهد الأمس . . نمتص شعارًا فشعارا
عندما نضحك من أنفسنا
عندما نقوى على لمس الجراح
عندما نقتلع السور ونمشي في الرياح
سوف نرتد كبارا[1]

ولا أظن القارىء أيضًا يجهل ما نهد الأمس الذي يرضعه المسلم، والذي يعده القصيبي سورًا يريد اقتلاعه؟

إنه يريد ـ باختصار ـ ألا يحكم الناس بشيء يمنع الملحد والفاسق والفاجر من إظهار ما يريدون من قول، أو عمل ما يريدون من فعل، ولذلك يخاطب القمر بقوله:

ترى تعود . . إن نذرنا أن نكون مؤمنين
بحق كل واحد
في أن يقول ما يشاء . . وأن يكون من يشاء
كيف تعود يا قمر
ونحن لسنا نادمين . . ونحن لسنا مؤمنين[2]

٥ ـ أن الدعوة إلى الحوار في الأمور الاجتهادية ليس هدفها الوصول للحق ـ كما سبق أن ذكرت ـ وإنما تهدف إلى فتح الباب لأصحاب الأهواء في أن يجاهروا بفسقهم بحجة أن المسألة خلافية، ولو كان الخلاف فيها ضعيفًا أو شاذًا.

فإن القصيبي الذي يدعو اليوم للحوار ذو ولع بالغناء، حتى جعل صورة العود على غلاف كتابه «سيرة شعرية»[3]، إضافة إلى أنه يؤيد أن يتغنى بشعره في الأغاني، لأنها كما يقول: «بكل تواضع أحس بمراحل من الأغلبية الساحقة من

---

(١) المرجع السابق /٦٢ ـ ٦٣.
(٢) المرجع السابق /٧٣ ـ ٧٤.
(٣) الطبعة الثانية سنة ١٤٠٨هـ.

الكلمات التي أسمعها في الأغاني . . وقد أثبتت فيروز أن الكلمة الراقية يمكن أن تطرب وتسحر، كما أثبتت أم كلثوم الشيء نفسه في القصائد التي غنتها، وكذلك عبد الوهاب»[1].

فهو ليس بحاجة أصلاً إلى فتاوى العلماء في الأغاني، لأنه يستمع لها، بل إن الصوت النسائي الذي يرتاح له هو فيروز[2]، ولأنه يرى أن حاجات الروح تشمل الموسيقى والشعر والفنون الجميلة والمسرح[3]، ولا ندري لم لم يذكر قراءة القرآن، وذكر الله، والصلاة، أليست هذه تغني الروح؟

والقصيبي الذي ينادي العلماء ليسمعوه أن كشف المرأة لوجهها وعدم تحجبها أمر فيه سعة[4] لا يهمه رأي العلماء في ذلك ولا طلب الحق والصواب، بل يقصد البلبلة وتجرئة الفسّاق وأهل الأهواء، لأنه يعد نفسه من أنصار المرأة ضد العلماء الذين يعتبرونها مخلوقًا من الدرجة الثانية وربما العاشرة[5]، ولأن المرأة عنده كما يقول: «هي القناعة الكبرى! هي القضية الكبرى! هي الملحمة الكبرى»[6]، ولذلك صار جميع شعره إلا ما ندر للمرأة وفي المرأة وعن المرأة، فهو لا يتصور وجود شعر بدونها[7]، بل يقول: «إنه لا يمكن أن يوجد شعر دون امرأة»[8]، فالحب والشعر في كتابه كما يقول توأمان من فصيلة التوائم السيامية لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر إلا بقتلهما معًا[9]، وحتى تدرك أخي القارىء كيف يعرف القصيبي الحب، وكيف ينظر إلى المرأة القضية الكبرى والملحمة

(١) سيرة شعرية /١٨٦.
(٢) مجلة اليمامة العدد /٣٢٠.
(٣) سيرة شعرية /٢٦٦.
(٤) الرسالة الخامسة /٣٣.
(٥) مجلة اليمامة العدد /٦٨٤ في ٢٠/٣/١٤٠٢هـ.
(٦) سيرة شعرية /٢٢٢.
(٧) المرجع السابق /٢٢٥.
(٨) المرجع السابق /٢٢٤.
(٩) المرجع السابق /٢٢٥.

الكبرى أنقل لك المقاطع الآتية من شعره:

أ- عرفت الحب ليلاً من شموع ... وأقداحًا محطمة وهرة
وثغرًا لا يرد حنين ظام ... ونهدًا عاريًا وضباب سكرة
وجسمًا في الفراش يضج شوقًا ... ينال إذا أطل الصبح أجره[1]

ب- هل تستطيعين منحي فوق مامنحت
حسناء شاعرها في مخدع ثمل[2]

جـ- أتحسبين أننا..
بقبلة نقدر أن نخلق نفسينا كما نشاء.
وأننا بضمة.. نقوى على نسيان ما يدور في الخفاء.
وأننا إذا ارتمينا في السرير عاريين.
نهرب مما كان في ثيابنا[3]

د- أكانت سوى ليلة ثائرة ... طوت شاعرًا وطوت عابرة[4]

هـ- وهل بثغرك خمر حين أرشفها
أنسى الشفاه التي تشتاقها قبلي[5]

و- وفي الدنيا نهود من رخام ... يثور على تثاؤبها الإزار[6]

ز- أتعرفين عذاب العود تخنقه ... أناته وهو إن داعبته ضحكا
غنى لعينيك حتى غبت فارتعشت ... أوتاره وارتمى في صمته وبكى[7]

---

(١) ديوان معركة بلا راية /١٣٥.
(٢) المرجع السابق /٨٠.
(٣) المرجع السابق /١٢٣.
(٤) المرجع السابق /٧٧.
(٥) المرجع السابق /٧٩.
(٦) المرجع السابق /٤٤.
(٧) المرجع السابق /١٤٥.

وأنـا أستغفر الله من تسطير هذا الفسق والفجور، ولكنني كنت مضطرًا لذلك حتى يدرك القارىء الرجل على حقيقته، وما نقلت إلا مقاطع يسيرة مما هو موجود في شعره، وهذه المقاطع كلها من ديوان واحد فقط، وسيدهش القارىء إذا علم أن ريع هذا الديوان قد تبرع به القصيبي لصالح القضية الفلسطينية مما يجعلنا نتذكر قول الشاعر:

أمطعمة الأيتام من كد. . إلخ.

لكن دهشة القارىء ستزول إذا علم أن القائمين على القضية الفلسطينية في ذلك الوقت من العلمانيين، فالله سبحانه طيب لا يقبل إلا طيبًا.

وأنا أجزم أن لدى الدكتور من القصائد الفاجرة ما هو أعظم مما نشر، فإنه يقول: «يضم ديوان ـ أبيات غزل ـ مقتطفات قصيرة من قصائد أطول لم تنشر من قبل، إما لأن القصيدة الكاملة غير صالحة للنشر، أو غير قابلة للنشر»[1].

وأقـول يا دكتور: وهل هناك شيء غير قابل للنشر عندك؟ أبعد تصوير الفاحشة كما في المقطع الأخير شيء؟

إن القصيبي بأمثال هذا الشعر يعترف بأنه يسيء إلى المرأة، وإلى نفسه، فقد قال في سيرته الشعرية: «كم أتألم عندما أرى بعض الشعراء يتحدثون عن المرأة، شفة مكتنزة، أو صدرًا عامرًا، أو نظرة ساهمة ولا شيء بعد ذلك أو قبل ذلك، هؤلاء الشعراء أبعد الناس عن فهم روح المرأة، وإن ألفوا مئات الدواوين عنها، الشاعر الذي يختزل وجود المرأة. . ليصبح قبلة أو لحظة من شهوة عابرة يسيء إلى المرأة إساءة بالغة، كما يسيء إلى نفسه، فالرجل الذي يحتقر المرأة رجل غير جدير بالاحترام»[2].

فآمل من الدكتور إعادة قراءة دواوينه الشعرية ثم الحكم على نفسه هل هو جدير بالاحترام؟

ولا أظن الدكتور يتجرأ فيقول إن المرأة في كل ما قال من شعر ليست إنسانة

---

(١) سيرة شعرية /٩١.

(٢) المرجع السابق /٢٢١.

حقيقية من لحم ودم، وإنما هي رمز من الرموز، وإن كان يحاول أن يقول ذلك كما فعل عند الحديث عن ديوان أشعار من جزائر اللؤلؤ[1].

وقد كتب أحد أصدقاء الدكتور دراسة نقدية لديواني قطرات من ظمأ، ومعركة بلا راية فكان مما قال: «على أن كون الحب رمزًا لكل تناقضات المراهق وكون بطلة هذا الحب امرأة أسطورية، لا يعني اختفاء ظلال حقيقية لنساء حقيقيات.. ومن الواضح أن الخطاب كان موجهًا في حالات معينة إلى إنسانة بعينها»[2].

وبالرغم من كون كثير من قصائد القصيبي، يلحظ القارىء لها وقوف امرأة حقيقية خلفها، إلا أن تجسيد المرأة وأعضائها والعلاقة الآثمة بها بصحبة الخمر والليل والشموع، هو الطابع العام لقصائد الدكتور ولو على سبيل الرمز، وإن تناول المرأة بهذه الصورة فيه إساءة بالغة للمرأة الأم الرؤوم والأخت الحنون وغيرهما من زوجة وبنت وعمة وخالة، والإساءة في الحقيقة ترجع إلى صاحبها لأن المرأة المسلمة العاقلة تعرف من تكون وأين موقعها الصحيح؟

الدكتور وقصة القومية العربية:

من المعلوم أن شعار «القومية العربية» من الشعارات الزائفة التي رفعها أذناب الاستعمار بتشجيع منه في مواجهة شعارات الوحدة الإسلامية الصادقة التي تخيف الاستعمار وأذنابه.

لقد بدأت علاقة القصيبي بهذا الشعار منذ أن كان طالبًا في القاهرة، فقد ذكر أنه في تلك السن كان متحمسًا لموجة القومية العربية التي اتخذت شكل الناصرية[3]، ثم استمرت هذه الصلة في أمريكا عبر مؤتمرات الطلبة العرب[4]

---

(١) المرجع السابق /٤٩.

(٢) مجلة اليمامة العدد /٤٢٢ شوال سنة ١٣٩٦هـ.

(٣) سيرة شعرية /٥٦.

(٤) المرجع السابق /٧٠.

التي كان أقل ما فيها في تلك الأيام موجة القومية العربية، بل كان التوجه العام لمعظم هذه المؤتمرات ومن يديرها ماركسيًا، يتهم بلادنا بالرجعية، ويصدر في تسفيهنا وتسفيه حكامنا وعلمائنا المجلات والنشرات العديدة.

وبعد هزيمة حزيران، فقد الدكتور ـ كما يقول عن نفسه ـ كل ثقة بالشعارات السياسية(١) لكنه لم يفقد صلته وإيمانه بالقومية، فقد استمرت الهموم العربية تورق «أنت الرياض»(٢)، وإلى الآن والدكتور القصيبي يزداد إيمانًا بالقومية العربية، فقد قال بعد أزمة الخليج «نحن بدون العرب وبدون العمق العربي الاستراتيجي لا يمكن أن تكون لنا حياة رغيدة.. إن الأزمة الحالية تزيدنا إيماناً بقيمنا العربية.. ونحن بعد الأزمة لم نفقد إيماننا بالقومية العربية أو الوحدة العربية»(٣).

وأصحاب هذا التوجه وأمثاله تجدهم دائمًا يتخبطون في أحكامهم على الأشياء وعلى الأشخاص، فتجدهم اليوم مؤيدين مادحين، وتجدهم غدًا منددين ذامين، وما ذاك إلا لأنهم لا يملكون رؤية واضحة، ولا أرضية صلبة ينطلقون منها، وخذ مثالاً على هذا موقف القصيبي من صدام حسين، فهو يقول: «إن مشكلتنا مع صدام بدأت لأنه احتل الكويت أولاً، ولأنه حشد حشوده على المملكة العربية السعودية ثانيًا، هذه مشكلتنا الأساسية مع صدام حسين»(٥). ويقول: «لم يكن الوضع مبنيًا على توجهات اشتراكية لصدام حسين، فهو لم يقرأ كتابًا واحدًا في الاشتراكية»(٦) مع أنه يقول: «إن صدام حسين علماني ملحد»(٧). ويقول: «أنا لا أعتبره عربيًا، ولا أصدق ما يدعيه من نزعات إسلامية، ولم ألحظ

---

(١) المرجع السابق /٨٣.

(٢) سيرة شعرية/١٠٧.

(٣) جريدة الشرق الأوسط العدد ٤٣٣٦ في ١٢/١٠/١٩٩٠م.

(٤) جريدة الشرق الأوسط عدد /٤٣٣٦ في ١٢/١٠/١٩٩٠م.

(٥) مجلة اليمامة العدد ١١٢٨ في ١٣/٤/١٤١١هـ.

(٦) صوت الكويت الدولي ٢٠/٥/١٤١١هـ.

(٧) صوت الكويت الدولي ٢٠/٥/١٤١١هـ.

من قبل في تصرفاته رائحة وفاء، ولم أسمع أحدًا قط يتهمه بالشفقة»[1] فهل يقبل الدكتور القصيبي أن نقيم علاقات الصداقة بل الأخوة مع علماني ملحد لا يعتبره عربيًا، ولا يصدق ما يدعيه من نزعات إسلامية، ولم يلحظ في تصرفاته رائحة الوفاء، ولم يسمع أحدًا يتهمه بالشفقة؟

نعم القصيبي يقبل ذلك، لأنه يقول: «كان موقفنا القديم من صدام صحيحًا وموقفنا الجديد صحيح، ولا داعي لأن نقطع شعرنا»[2] ويعلل ذلك بقوله: «لو تصرفنا من منطلق سوء النية لأصبح العالم غابة.. نحن نفضل أن نقول خدعنا صدام حسين، من أن ننظر طول الوقت خلف أظهرنا ونكون مستعدين ضد صدام»[3] وهذا التعليل من العجائب، لأننا نعرف إنسانًا بأنه علماني ملحد، لا تشم منه رائحة الوفاء ولا الشفقة، ومع ذلك نأمنه، بل نتخذه صديقًا وأخًا، فسلام على السياسة التي يوجهها القصيبي بمثل هذه الأفكار والتصورات، وأنا أدعو ولاة الأمر في بلادنا أن يعيدوا النظر في الاعتماد على أصحاب مثل هذه التصورات.

ولهذا السبب لم أعجب كثيرًا عندما قرأت قول القصيبي «المصلحة الوطنية تقتضي عندما تكون حليفًا لدولة ما، أن تعتبر كل ما يدور فيها خيرًا كان أو شرًّا من شؤونها الداخلية»[4] فهو يقدم هنا المصلحة الوطنية على حكم الإسلام الذي يأمر بنصرة المسلم المظلوم، ويكابر بإنكار هذا الخطأ الذي وقع فيه إعلامنا، بل ينسب ذلك لمصلحة الوطن.

على أن أصحاب هذه الدعوات يعلمون يقينًا إفلاس هذه الشعارات، وعدم قدرتها على تحقيق أي قدر من الوحدة، وفي الوقت نفسه يعلمون في قرارة أنفسهم، أنه لو أتيح المجال للمبادىء الإسلامية لحققت الوحدة التي عجزت

---

(١) جريدة الشرق الأوسط العدد / ٤٣٢٠ في ٢٦/ ٩/ ١٩٩٠م.

(٢) المجلة العربية جمادى الآخرة ١٤١١هـ صفحة / ٧٩.

(٣) جريدة الشرق الأوسط العدد ٤٣٣٦ في ١٢/ ١٠/ ١٩٩٠م.

(٤) المجلة العربية جمادى الآخرة ١٤١١هـ صفحة / ٧٩.

عنها مختلف الشعارات، وفي هذا يقول القصيبي: «كشفت التجارب أن الدين لعب دورًا بارزًا إن لم يكن حاسمًا في كل نجاح حققته فكرة الوحدة»[1]، ولكن المؤسف أن هذه العبارة الصادقة حشرت مع كلام في حدود إحدى عشرة صفحة كلها عن الوحدة العربية، ولم يكن نصيب الدين ودوره من ذلك إلا تلك الكلمات المعدودات.

قصة الفاكس المشهور:

سأصدقك القول أخي القارىء ـ وقد كنت لك صادقًا منذ أن بدأت معك هذه الرسالة ـ أني لم أكن أتصور أن الدكتور القصيبي يصل إلى هذه الدرجة من الخبث والحقد على هذا المجتمع ودينه وقيمه وعلمائه.

لقد وقع هذا الفاكس بيدي فدهشت وذهلت، فقرأته وكررته، وكنت كلما قرأته بان لي منه عجب جديد.

هذا الفاكس العاجل بعث به أحد أصدقاء الدكتور وهو الأستاذ محمد سعيد طيب عضو الإدارة المنتدب لدى شركة تهامة للإعلان والعلاقات العامة والتسويق، وقد رد عليه القصيبي بفاكس مختصر، وأنا أثبت أولاً نص الفاكسين ثم أتأمل معك ـ أخي القارىء ـ ما فيهما من أفكار:

---

(١) عن هذا وذاك /٩.

نص الفاكس العاجل

هذه: لصاحب المعالي الدكتور غازي القصيبي.

فاكس. عاجل

أبو يارا.. أيها العزيز..!

مقالكم أمس ـ الجمعة ـ بالشرق الأوسط تقولون: ولم يكن علماؤنا الأفاضل بمعزل عن تطورات المجتمع، فقد أفتوا بمنع الرق بعد انتفاء شروطه الشرعية.

التعليق: اسم الله عليهم!!

الأمر محسوم بكتاب الله عز وجل! لا رق في الإسلام، و«شروطه الشرعية» منتفية أصلاً، ولم يكن الأمر في حاجة إلى «فتوى» كان في حاجة إلى قرار سياسي وقد كان!، وأنت تعرف ظروف القرار.. وأجوائه[1].. وأسبابه.. ومن كان وراءه!

لماذا ننسب فضلاً إلى غير أهله؟

أبو يارا!

تكفى!! لا نريد أن نراك إلا كما عهدناك نسرًا يحلق في السماء.

طابت لك ولنا الحياة.

السبت ١٧/١١/١٩٩٠م

أخوك

محمد سعيد طيب

---

(١) كذا في الفاكس والصواب وأجواءه.

نص الفاكس المختصر

شخصي

سعادة الأستاذ

محمد سعيد طيب

في عين العاصفة

[توقيع]

١٤١١/٥/١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

العزيز أبا الشيماء.. سلامًا ومودة!

أحسب أن موضوعًا معقدًا يصعب أن يعالج بفاكسات مختصرة! ولكن لا مانع أن نحوم حوله كالعقبان لا النسور (والخلط بينهما خطأ شائع فالنسور تأكل الجيف ولا تحلق عاليًا ولا أنياب لها)!..

لا يوجد نص يقول: «لا رق في الإسلام» لا في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية.. بل هناك أحكام كثيرة تعالج وضع الرقيق، ولكن روح «الإسلام» تلهم أنه ظاهرة مؤقتة.

ولا خلاف أن الموضوع حسم عندنا بقرار سياسي تبعته الفتوى، وكانت للقرار ظروفه وملابساته، ولكن الأمر لم يحسم في عقول العامة إلا بالفتوى!

والظروف هذه الأيام ـ مع المد الذي تعرفه ـ تعني أن أي «فتوى» مهما كان رأينا في «رجعيتها» ستكون «متقدمة» عن الرأي الذي تعتنقه الأغلبية الساحقة من المواطنين.. لا تسألني لماذا، فالوضع ليس من صنعي!

وأحسب أن المبدأ الأول في أي نزعة ديمقراطية هو احترام رأي هذه الأغلبية حتى يمكن تغييره.

وأحسب أن فرض وصاية المثقفين، لا تختلف عن «وصاية الكهنوت» أو «العسكر»!!

لقد حاولت في المقال الذي أثارتك عبارة منه، أو ربما أكثر، أن أؤكد: أن أمور التقاليد لا يجب أن تكون جزءًا من الشريعة، وأن أمور الشريعة قابلة للنقاش، وأن الفتاوى تتغير وليست وحيًا منزلاً، وإننا نتطلع إلى مرحلة يكون كل شيء فيها قابلاً للنقاش.. ربما الغرور ـ وحده ـ هو الذي يصور لي أن هذه الأمور لم يقلها أحد من قبل علنا.. لا من الصقور.. ولا من العصافير!

واسلم لمن يحبك.

وتكفى..

[توقيع]

أعد القراءة.. مرتين أو ثلاثًا!!

٢/٥/١٤١١هـ

للإعلان والعلاقات العامة والتسويق

عضو مجلس الإدارة المنتدب

هام :

صاحب المعالي الدكتور غازي القصيبي

فاكس عاجل

أبدعت .. أيها العزيز !

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] !!

[illegible] ..

[illegible] !

---

٣ - صورة من الفاكس العاجل الموجّه من محمد سعيد طيب عضو مجلس الإدارة المنتدب بمؤسسة تهامة، إلى الدكتور غازي القصيبي.

تهامة
للإعلان والعلاقات العامة والتسويق

عضو مجلس الإدارة المنتدب

و "مشروع الشرعية" مشنقة أصلاً!

ولم يكن الأمر في حاجة إلى "ندوة"!

إنه في حاجة إلى قرار سياسي - وقد تم!

ومن حقك أن تدرك خطورة القرار .. وأبعاده ..

وأسبابه .. ومن أصدره ..!

لماذا نصب مشنقة .. لا غيرها ..؟

أبداً !!

تكلمنا !!

سنرى أين نزال .. إلا كما عهدناك -

نشرة .. مثله في السماء!

[illegible] لك وفي الحياة [illegible]

السبت ١٩٩٠/١١/١٧

[illegible]

---

٤ - تابع إلى الفاكس السابق.

شخصي

سعادة الأستاذ

محمد سعيد طيب

[illegible]

[illegible]

الأخ أبا الشيماء

[illegible] !

[illegible] بفاكسات مختصرة !..

[illegible] (والفلسطينيون [illegible]

[illegible] عالياً [illegible]) !...

[illegible] القرآن الكريم [illegible]

[illegible]

[illegible].

[illegible]

[illegible] الأمر لم يحسم [illegible]

[illegible] !..

[illegible]

[illegible]

[illegible])

[illegible]

[illegible] !

[illegible]

[illegible] !..

[illegible]

[illegible] الشريعة ؟

[illegible]

[illegible] ثابتة [illegible]...

[illegible]

[illegible]... [illegible]!

[illegible]..

[illegible]... [illegible] أرحمونا !!

[illegible]

---

٥ - صورة من الفاكس الموجّه من الدكتور غازي القصيبي، إلى محمد سعيد طيب عضو مجلس الإدارة المنتدب بمؤسسة تهامة.

نظرات في الفاكس المشهور:

عرضنا قصة الفاكس المشهور، وأجزم بأن القارىء للفاكسين لأول مرة لن يصدق ما تقرأه عيناه، بل إن القارىء لهما للمرة العاشرة سيصاب رأسه بالدوار، وبخاصة إذا كان ممن يصدقون القصيبي في أنه «لا يوجد في المملكة علمانيون يطالبون بفصل الدين عن الدولة» ، وإذا تأملنا الفاكسين السابقين، وجدنا أنفسنا أمام طبقة متميزة تسمي نفسها «طبقة المثقفين»، وهي تخالف ما عليه المجتمع من قيم ومثل، وتسعى لتغييرها، فتعال نتأمل هذه الطبقة وصفاتها من خلال نص الفاكسين السابقين فقط:

١ - إن أول ما يفاجىء المتأمل أن تحية الإسلام التي يتعلمها أطفالنا لا يوجد لها في الفاكسين أثر «أيها العزيز». «طابت لك ولنا الحياة». «سلامًا ومودة». «واسلم لمن يحبك» وهذا يدلك على أن التغيير الذي يطالبون به يشمل جميع الأمور.

٢ - تلاحظ في الفاكسين الاستهزاء الواضح بالعلماء «اسم الله عليهم» «وصاية الكهنوت». «لماذا ننسب فضلاً إلى غير أهله».

٣ - بعد الاستهزاء بالعلماء، يأتي التعدي على تخصصهم بالجرأة على الفتوى «الأمر محسوم بكتاب الله عز وجل، لا رق في الإسلام، وشروطه الشرعية منتفيه أصلاً». «روح الإسلام تلهم أنه ظاهرة مؤقتة».

٤ - إنهم يرون أن العلماء رجعيون وفتاواهم رجعية «مهما كان رأينا في رجعيتها»، ولذلك يحاولون إبعاد العلماء عن مواقع الفعل والتأثير، ولا يلجأون إليهم ولا إلى فتاواهم إلا عند الحاجة، «لم يكن الأمر في حاجة إلى فتوى» فمهمة الفتوى عندهم استخدامها كورقة لإقناع الجمهور الذي لا يمكن إقناعه بالقرار السياسي وحده، «ولكن الأمر لم يحسم في عقول العامة إلا «بالفتوى»، «والظروف هذه الأيام - مع المد الذي تعرفه - تعني أن أي فتوى مهما كان رأينا في رجعيتها ستكون متقدمة عن الرأي الذي تعتنقه الأغلبية

الساحقة من المواطنين» فهم لا يتبنون من الفتاوى إلا الفتاوى «المتقدمة» على ما يعتقده الناس، ولا يظهرون من فتاوى العلماء إلا ما كان مساعدًا لهم على إقناع الجمهور بترك ما يعتقده من آراء، أما الفتاوى المعارضة لما يريدونه، فهم يعارضونها ويبالغون في كتمانها والتضييق عليها وعلى أصحابها، وأرجو ألا يكون لهم من الأمر شيء حتى لا يفعلوا ذلك.

٥ - إن الأمر والنهي والحكم على الأشياء هو عندهم للقرار السياسي «كان في حاجة إلى قرار سياسي وقد كان». ولا خلاف أن الموضوع عندنا حسم بقرار سياسي» أما الفتاوى فهي تستخدم كمؤيدة له إذا كانت موافقة «تبعته الفتوى» لكن لا دخل لها ابتداء في شيء، وهذا طبعًا ليس من فصل الدين عن الدولة!!

٦ - إنهم يرون - وهذه من البشائر بحمد الله والفضل ما شهدت به الأعداء - أن التيار الإسلامي في تقدم، «والظروف هذه الأيام مع المد الذي تعرفه» فهو في مد بحمد الله، ويعترفون بأن الأغلبية الساحقة من المواطنين مع هذا التيار «عن الرأي الذي تعتنقه الأغلبية الساحقة من المواطنين» وهم بطبيعة الحال يكرهون هذا الوضع، ولكن لا حيلة لهم فيه «لا تسألني لماذا؟ فالوضع ليس من صنعي». ويعتبرون أن هذه القضية قضية معقدة لا يصلح لمعالجتها إلا الجلسات الطويلة المغلقة «أحسب أن موضوعًا معقدًا يصعب أن يعالج بفاكسات مختصرة».

٧ - إنهم في صراع مع المد الإسلامي «والظروف هذه الأيام مع المد الذي تعرفه»، وسبب الصراع أن هذا المد الذي يمثل الأغلبية الساحقة من المواطنين على خلاف ما يريدون هم «أي أن فتوى مهما كان رأينا في «رجعيتها» ستكون «متقدمة» على الرأي الذي تعتنقه الأغلبية الساحقة من المواطنين»، ولذلك فهم يسعون بكل جهد لتغيير رأي هذه الأغلبية «احترام رأي هذه الأغلبية حتى يمكن تغييره»، لكنهم تختلف وجهة نظرهم حول

طريقة التغيير، فكثير منهم أهل صبر وتريث، يستعينون بالتخطيط الهادىء والتنفيذ الذكي في الوصول إلى ما يريدون من تغييرات في قيم المجتمع، ويزعمون أن هذه هي الديمقراطية «وأحسب أن المبدأ الأول في أي نزعة ديموقراطية هو احترام رأي هذه الأغلبية حتى يمكن تغييره». والقصيبي بطبيعة الحال من هذا الفريق، وفريق آخر يتعجل الوصول إلى الهدف، ويريد «فرض وصاية المثقفين» على المجتمع، ولذلك يثور إذا رأى بعض أصحابه لا يطرح ما يريدونه طرحًا قويًا «لماذا ننسب فضلاً إلى غير أهله.. أبو يارا. تكفى.. لا نريد أن نراك إلا كما عهدناك نسرًا يحلق في السماء» ومشكلته أنه لم يفهم مقالة القصيبي، لأن الأسلوب المؤدب الهادىء الذي طرح به القصيبي الموضوع أكثر تأثيراً من الأسلوب الصريح المواجه، ولا يعرف ذلك إلا المتأمل «لقد حاولت في المقال الذي أثارتك عبارة منه، وربما أكثر، أن أؤكد أن أمور التقاليد لا يجب أن تكون جزءًا من الشريعة، وأن أمور الشريعة قابلة للنقاش، وأن الفتاوى تتغير وليست وحيًا منزلاً».

٨ ـ إن هذه الطائفة تسعى إلى سلخ المجتمع من قيمه ومبادئه، وهي تعلم أن قيم هذا المجتمع منبعها ومصدرها الشريعة، ولذلك فهي تعمل على خلخلة إيمانه بهذه الشريعة «لقد حاولت أن أؤكد أن أمور التقاليد لا يجب أن تكون جزءًا من الشريعة، وأن أمور الشريعة قابلة للنقاش، وأن الفتاوى تتغير وليست وحيًا منزلاً» وهم لخوفهم يخفون أهدافهم ولا يسرون بها لأحد، لكنهم يحاولون جس نبض المجتمع بالتلميح إلى ما يريدون، وبعرضه بأساليب عامة لا تدل على ما يريدون مباشرة، وربما يدفع بعضهم الغرور إلى التصريح بشيء من أهدافهم، لاعتقاده أن الناس لن يفهموا ما يريد «ربما الغرور ـ وحده ـ هو الذي يصور لي أن هذه الأمور لم يقلها أحد من قبل علنًا» وسيظلون يعملون ويعملون، حتى يصلوا إلى المرحلة التي يتم فيها سلخ المجتمع، ويكون بإمكان كل ملحد وزنديق ومنافق وعلماني وفاجر

وفاسق أن يتكلم بما يشاء، وأن يناقش ما يريد «وإننا نتطلع إلى مرحلة يكون كل شيء فيها قابلاً للنقاش» لكن الله سبحانه لن يخلف عباده المؤمنين وعده، وسيظل التيار يمد المد الذي يعرفونه حتى يغرقهم **﴿وخسر هنالك المبطلون﴾**. [سورة غافر، الآية: ٧٨].

٩ - إن هذه الطائفة طائفة خطيرة، تعيش بيننا وتعرف أسرارنا، بل هي متمكنة حتى في أجهزة دولته «وأنت تعرف ظروف القرار وأجواءه وأسبابه».
«وكانت للقرار ظروفه وملابساته»، فهي متغلغلة في داخل الأجهزة تعرف ظروف القرارات وأسبابها وأجواءها وملابساتها، بل ربما هي التي تصنع القرارات المخالفة لديننا وقيم مجتمعنا، وتمرر ذلك على المسؤولين بحجج ودعاوى ماكرة «تعرف ظروف القرار. . ومن كان وراءه» ولذلك فحكومتنا الرشيدة بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز وفقه الله وحفظه مدعوة إلى اتخاذ خطوة حازمة مع هذه الطائفة التي لو لم يظهر من خطورتها على البلاد والمجتمع إلا ما في هذا الفاكس، لكان كافيًا ومبررًا لاتخاذ خطوة جريئة تقطع دابر هذه الفئة المفسدة.

١٠ - إني أنا عبدالرحمن بن عبدالله بن جبرين كاتب هذه السطور، أشهد إخوتي المسلمين ممن يقرأ هذه الكلمات، بأني بعد اطلاعي على هذا الفاكس الصادر عن الدكتور القصيبي، والمكتوب بخط يده، والمذيل بتوقيعه، والذي قد أقر بصدوره عنه من خلال فاكس آخر أرسله لمعالي الدكتور راشد آل راجح مدير جامعة أم القرى حيث ذكر أن هذا الفاكس مسروق كما في الصورة المرفقة، وبعد إطلاعي على ما سطرته في هذه الرسالة من كلمات قالها الدكتور القصيبي في كتبه ومقالاته.
* أشهدكم - معاشر المسلمين - أني أتهم المدعو/ غازي بن عبدالرحمن القصيبي بالعلمانية، وبحربه للشريعة التي يريد أن تكون خاضعة

للنقاش، وبمعاداته للعلماء والدعاة الذين يسميهم بالكهنوت، ويعد فتاواهم رجعية.

وأنا أدعوه لتقديم دعوى ضدي بسبب إصداري هذه التهمة إلى المحكمة الشرعية بالمملكة العربية السعودية بلدنا جميعًا، وأتحمل ما تتخذه المحكمة ضدي من إجـراء، وأحذر المدعو/ غازي القصيبي إن كان يزعم أنه ديموقراطي من استعداء السلطة علي، أو اتخاذ أي إجراء مخالف للشريعة الإسلامية التي تطبقها هذه البلاد.

بسم الله الرحمن الرحيم

معالي الأخ الكريم الدكتور راشد آل راجح
مدير جامعة أم القرى — حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

• اطلعت على رسالة إسمها "ويكون الدين كله لله". لشخص اسمه محمد بن سعيد القحطاني — والرسالة قد توحي أنها صادرة رسمياً من قسم العقيدة بجامعة أم القرى، لتكرار إسم القسم على الغلاف وفي الداخل، فإن كانت صادرة من القسم فأرجو التلطف بإشعاري، وإن كانت صادرة من صفة الشخصية فلعلكم تشاركونني الرأي أنه ما كان له أن يزج بإسم الجامعة والقسم في رسالة تمثل وجهة نظره الشخصية.

• وقد استوقفت نظري فيها قول "ألفرزدق" عن إفتراءات العمر والصورة والقرن "جرحت خير الناس وأعظم الناس بعد نبي الله صلى الله عليه وسلم"!! مثلاً — وكل ما أتمناه، صادقاً، ألا يكون هذا الكلام ما يتلقاه أبناؤنا في الجامعة من أساتذتهم!

• كما لفت نظري أنه استخدم "فاكس" حصل عليه بطريق السرقة.. ولست أدري هل قام المذكور بسرقته بنفسه.. أم أوصى من قام بذلك نيابة عنه.. أم اكتفى باستخدامه بعد سرقته.. وفي أي حالة أرجو ألا يدرس هذا الشخص أبناؤنا الأعزاء أنه السرقة جائزة.. وأن الاستفادة بالمسروقات حلال.. خصوصاً. وهو استاذ "عقيدة"!

• كما لفت نظري "كذبة" فظيعة مشابهة جهة منسوبة إلى الحق إذ قال "ولست أعلم إلى هذه اللحظة، رغم كثرة سؤالي عن هذه القضية، أن الدكتور غازي قد رجع عن هذا الكلام أو صدر عنه ما يكذبه" — وكان الطبيعي أن يسألني... ولم يفعل — فكان كاذباً حين تحدث عن كثرة سؤاله!!

تجدون طيه بعض المنشورات المتعلقة بالفقرة المشار إليها آنفاً شاكراً لو تلطفتم بإيصالها إلى الشخص المذكور.

وانتهز هذه الفرصة لأبعث إليكم بأطيب تحياتي وفائق مودتي

أخوكم

غازي

غازي بن عبدالرحمن القصيبي
١٤١٩/٨/٢٣

صورة مع التحية لمعالي وزير التعليم العالي بالنيابة، للإحاطة.
صورة مع التحية لمعالي الأخ الكريم الدكتور عبدالله التركي — مع المرفقات.. برجاء التكرم بإيصالها إلى أعضاء هيئة التدريس بجامعة الإمام من الذين يتكفلون على إصدار "ردود" مماثلة!!

---

٢ ـ صورة من الخطاب الموجّه من الدكتور غازي القصيبي، إلى الدكتور راشد آل راجح مدير جامعة أم القرى.

وأخيرا يا دكتور:

بعد هذا كله يا دكتور. . بعد هذا الصراع بينك وبين الدعوة والدعاة، الذي كنتُ فيه نصيراً لك وناصرًا لهم، متمثلاً قول النبي، ﷺ: «**أنصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**»[1].

بعد هذه الجولة مع أفكارك، التي كنتُ فيها مبينًا لأخطائك التي نشرتها بين الناس.

بعد هذا كله يا دكتور، أتظن أني سأتركك دون كلمة وداع.

* إني كنت يا دكتور ولا أزال ـ برغم ما كتبت عنك ـ من المعجبين بك. . بجدك ونشاطك. . بجلدك وصبرك. . بدقة مواعيدك. . بمتانة أسلوبك شعرًا ونثرًا. . بإيجابيتك وسرعة تعاملك. . بذكائك ودهائك. . بجرأتك وثقتك بنفسك، وإذا كان ما علمته فكتبته عنك لم يمنعني من إبداء إعجابي بك، كما أن إعجابي بك لم يمنعني من أن أنبه إلى أخطائك، فإني أحب أن تعلم ـ وأظنك تعلم ـ أن ما كتبته أنا وإخوتي ومشايخي عنك لم يكن لأنك غازي القصيبي فقط، ولم يكن ـ بحمد الله ـ حسدًا لك على الشهرة، أو على الوزارة، أو على السفارة التي نرجو الله أن يعينك على القيام بحقها.

لم يكن إلا إحقاقًا للحق وكشفًا للزيف، الذي لو حملت قلب واحد من قلوب هؤلاء المشايخ لكنت أول المشمرين لكشفه.

* إني يادكتور بعد كل مادار أخاطب فيك عقلاً أحسبه راجحاً، وفطرة أظنها سليمة وإيمانًا إخاله مازال قابعاً في فؤادك.

* إني أخاطب فيك هذه الثلاثة التي غطاها ركام الزيف وحجبتها ظلمة الشبهات والشهوات.

* أخاطب هذه الثلاثة التي أجزم أنك رضعتها مع اللبن من والدتك عليها ـ رحمة الله ـ، وتعلمتها وأنت في كنف والدك وجدتك ـ رحمهما الله تعالى ـ.

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أنس رضي الله عنه برقم /٢٤٤٣.

* أخاطبها يا دكتور لتقول لك قف يا غازي . . حاسب نفسك . . أنت مؤمن بالموت ففكر فيما بعد الموت . . أنت مؤمن بالحساب فماذا أعددت للحساب؟ ألا من توبة صادقة بها يمحى الذنب وتقال العثرة؟ ألا من توبة منيب تعود بها كيوم ولدتك أمك؟ ألا من إقلاع سريع تجعل به الشهوات تحت قدميك؟ ألا من دمعة ندم تغسل ما سلف من الخطايا؟ ألا من عزمة على التصحيح تبدل بها السيئات حسنات؟

* إني يا دكتور. . أقرأ قولك «أعتقد وإن كنت لا أعلم أنه حين تحين ساعة موتي فستجدني مستعدًا لها بقليل من الحسنات، وكثير من السيئات، وأمل شاسع في عفو الله، وشوق كبير إلى لقاء وجهه الكريم»[1]. إني أقرأ هذه الكلمات فأقول: اللهم صدِّق منه الكلمة، وعجل له التوبة.

إني يا دكتور أقرأ قولك:

أنا إسلامي أنا عزته — أنا خيل الله نحو النصر تعدو
أنا تأريخي ألا تعرفه — خالد ينبض في روحي وسعد[2]

إني أقرأ ذلك فأستنهض خالدًا وسعدًا اللذين ينبضان في روحك ليقولا لك: مه يا غازي . . أعد النظر في نفسك مرة بعد مرة. . في علاقاتك. . في كل شؤونك. . ثم انهض وردد قولك:

رب إن ترض لا يهم عظيم — أو كبير أو سيد أو شريف
ربي صني من أن أطاطيء رأسي — لضلال وإن طوتني الحتوف
واجعل الحق بغيتي لا تكلني — لوجود أساسه التزييف[3]

---

(1) سيرة شعرية /٢٣٥.

(2) المرجع السابق /١١٨.

(3) ديوان «أنت الرياض» دار العلوم ط ٢ سنة ١٤٠٠هـ صفحة /٦٨.

* إني يا دكتور حينما أدعوك إلى التوبة وترك ما أنت فيه ومن أنت معه، إنما أدعوك لأمر لا يفكر فيه إلا القلة من الرجال، ولا يقدم عليه إلا أقل القلة، إن ما أدعوك إليه يريد قلبًا شجاعًا ونفسًا طويلاً ونفْسًا أبية لا يخيفها الوعيد ولا تزعزعها الوعود.

إن هذه الطائفة التي تعرفها يا دكتور تعمل ضد دين المجتمع وقيمه وأخلاقه فهذا هو هدفها الحقيقي، وإن كل من خفي عليه هذا الهدف فهو مخدوع، وهي يا دكتور في حاجة إلى من يكشفها أمام الناس وينبه إلى خطرها وخططها، ولا أتم لهذا العمل من رجل ينظر لها من الداخل ويعرف خفاياها وأسرارها. فهل تقول يا دكتور: أنا لها؟.. وتجعل ذلك تكفير ما بدر منك من أخطاء نتيجة انخداعك بهذه الطائفة وشعاراتها.. إني أتعشم فيك ذلك يا دكتور.

* ولتعلم أنك ستلاقي في ذلك عنتًا وضيقًا.. ولكن.

- تذكر لذة السعادة بالإيمان إذا ذقت طعم الحرمان.
- وتذكر شرف الدفاع عن الدين إذا هددت بفقد المناصب والمراتب.
- وتذكر ما أعده الله لعباده المؤمنين إذا ضيق عليك في الحياة الدنيا.
- وتذكر أن الحياة كلمحة بصر إذا طال عليك الطريق.

* أخيرًا يا دكتور هل أجد عندك ما طلبت وفيك ما أملت؟

أرجو أن يكون الجواب: لبيك، والجواب ما ترى لا ما تسمع.

وأخيرا أخي القارئ:

قبل أن أضع القلم مودعًا لك في ختام هذه الجولة المضنية للقلب بل وحتى للجسم لكثرة ما فيها من هموم الأمة دعني أذكرك بالنقاط الآتية:

١ ـ أن هذا البلد بلد الإسلام منذ أن نزل ذلك النور في غار حراء وإلى قيام الساعة.

٢ ـ أن كتابة هذه الرسالة لا يقصد منها إثارة فتنة أو إحداث بلبلة، بل يقصد التنبيه إلى خطر داهم قادم، يجب أن نتخذ ضده موقفًا حازمًا قبل أن تصل النار إلى رؤوسنا.

٣ ـ أن إنكار وجود العلمانيين سخف وبلاهة، ولكن اتهام أشخاص بأعيانهم يحتاج إلى أدلة وإثبات، فالدولة مدعوة لأن تضع يدها في أيدي العلماء ليتم كشف هؤلاء ويتقى شرهم قبل أن يستفحل أمرهم.

٤ ـ أن ما قدمته لكشف العلمانيين أو بعضهم أو أحدهم في هذه الرسالة هو محاولة تحتاج إلى تطوير حتى يتم استيفاء جميع الوسائل والسبل التي تكشف هؤلاء وتفضحهم فهذه دعوة لعلمائنا ومفكرينا لإكمال الطريق.

٥ ـ إني أخاطب العلماء بجميع مستوياتهم وجميع تخصصاتهم ممن يملك حب الدين عليهم قلوبهم وتسيطر الغيرة على أفئدتهم. من أصحاب القلوب الرحيمة والنيات السليمة الذين ما فتئوا ينصحون لأمة محمد ﷺ.

- أخاطبهم بمنطق العقل وبمسلك الحذر الذي أمرنا الله سبحانه به أن يحذروا ويحذروا من هذه الطائفة التي أرى السنين تمر وهي تتقدم وتحتل مراكز النفوذ واحدًا بعد الآخر.
- أخاطبهم قبل أن يندموا كما ندم أمثالهم في بلاد مجاورة.
- أخاطبهم قبل ألا يسمع لهم رأي ولا يقبل منهم أمر.
- أخاطبهم قبل أن تشملهم جميعًا كلمات التزمت وعدم فهم الواقع والأصولية

والتطلع للحكم وتحريض الناس على الفتنة مما هو اليوم من نصيب بعضهم .

- أخاطبهم أن يسألوا عقولهم سؤال منصف : هل تمسك مجتمعنا بدينه خير منه قبل عشر سنوات أو لا؟ فإذا أجابوا بصدق علموا أن أهل الشر يمكنون لشرهم يومًا بعد يوم في الخفاء وبشكل لا يثير الناس وبأساليب النصح والإخلاص، فالحذر الحذر قبل أن نندم ثم لا ينفع الندم، وإنما ذكرته في هذه الرسالة لا يمثل إلا نسبة يسيرة ومن تأمل الواقع عرف الكثير.

٦ ـ **أن تضخيم أمر العلمانيين**، وادعاء أنهم أصحاب القرار، وبيدهم مقاليد الأمور خطأ فادح، وقد يفرحون بهذا ويحبون إشاعته حتى يرهبوا غيرهم، وهم في الحقيقة أفرادٌ خُدِعَ بهم بعض المسؤولين لما لديهم من خبرات مادية، وإن اقتناع المسؤولين بخطرهم كاف في القضاء على تأثيرهم، واتقاء شرهم، فعلى القادرين مناصحة المسؤولين بل ومصارحتهم في ذلك .

وختاما أقول: سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ألا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

وكتب

أبو عبدالله عبدالرحمن بن عبدالله بن جبرين

الرياض في ٢٣/ ٢/ ١٤١٢هـ

الفهـــرس

الموضوع **الصفحة**